بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

الكاتب والمؤلف محمد منير ادلبي في ذمة الله،

نرجوا الدعاء له بالمغفره والرحمة

سلسلة كتب "الإسلام الذي يجهلون"

للتواصل

Info@muniridilbi.com

www.muniridilbi.com

سلسلة الإسلام الذي يجهلون (**4**)

مات المسيح وما قام

(ملفّ المسيح يُفتح من جديد)

بقلم

محمد منير إدلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روحِ المسيح عيسى بن مريم، عبدِ الله ورسولِه

تقديم ..

* الخرافة السائدة

يسود في عامّة المسلمين وكثير من علمائهم اعتقادٌ خاطئ يتلخّص في أنّ الله قد رفعَ المسيحَ عيسى بن مريم الناصري، نبيَّ بني إسرائيل، عليه وعلى أمّه السلام، **إلى السماء** حين أراد اليهودُ قتلَه على الصليب، وذلك بعد أن ألقى شَبَهَه على تلميذه يهوذا الإسخريوطي الذي كان قد وشى به لدى اليهود مقابل ثلاثين قطعة من الفضة، فقتلوه بدلاً منه ظنّاً منهم أنّه المسيح.

ولا يتوقف خيال هؤلاء، في نسج هذه الخرافة، عند هذا الحدّ، بل يزيدون الطّين بِلّة بقولهم إنّ المسيح عيسى بن مريم لا يزال حيّاً خالداً في السماء، باقياً على حياته الأولى منذ ما يزيد على ألفي عام! ويقولون بأنّه سوف ينزل يوماً ما **من السماء** تحمله الملائكة فيكون—نبيٌّ بني إسرائيل هذا— في المسلمين إماماً مقسطاً وحكماً عدلاً، فيدعو الناس جميعاً إلى الإسلام، وتهلك في زمانه الملل كلّها، إذ يرفض الجزية فلا يقبل إلاّ الإسلام أو السيف، فينشرُ دينَ الله الإسلام في الأرض كلّها، ويؤمن به جميعُ المسلمين وجميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى وبقية أهل الأرض، فيكون هو بطلَ الإسلام وبطل السلام العالمي في الأرض كلّها، وتنعم البشرية في زمانه بالخير والأمن والسلام بشكل لم يكن له مثيل، وذلك بعد أن يملأ الأرض عدلاً

كما ملئت ظلماً وجوراً.

إذا ثبت أنّ هذا أمرُ الله وقضاؤه فنحن نؤمن به ونُسلم لله ربِّنا ونعتقد بما يريدنا أن نعتقد به في كتابه المقدس وبيان رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم. ولكن ماذا نفعل إذا كان بيانُ الله في قرآنه الكريم وبيان رسوله، خاتم النبيين محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام، يُخالفان، بكلّ صراحة ووضوح، هذه العقيدة الخرافية ويدحضانها وينسفانها من أصولها؟

لا شكّ في أنّ على المؤمن، إذا ما تَبيّن حقيقة الأمر، أن يؤمن بما أَثبته بيانُ الله ورسوله ويتمسك به، ويطرح كلَّ خطأٍ تَسلَّل إلى عقيدته من خلال الأقاويل الباطلة والتراث الخاطئ، مستغفراً الله وتائباً إليه ومسلماً له في كل أمر .

نجد في هذا البحث والتحقيق حقائق الملفّ المذهِل الذي فتحه الإمام المهدي والمسيح الموعود ميرزا غُلام أحمد القادياني عليه السلام، مؤسّس الجماعة الإسلامية الأحمدية، الذي شجّع على العمل على هذا البيان وتبليغه للناس، فقال: "طوبى لِمَن فَهِمَ وفَهَّم".

وبِهدفِ فَهْمِ بيان القرآن الكريم في هذه المسألة الخطيرة فقد صنّفتُ البحث في ملفّاتٍ ومسائل عَرَضْتُ في كلّ مسألة آيةً نتفكّر فيها، ندرسها ونتدبرها كما أمَرَنا ربُّنا لِنَعْلَمَ منها حقيقةَ البيان القرآني في مسألة حياة المسيح ووفاته في القرآن الكريم، ثم نفعل الشيء نفسه في بيان الحديث الشريف، وهكذا. وبعون الله أبدأ ..

الملفّ الأوّل

برهان موت المسيح من القرآن الكريم

*** المسألة الأولى ..**

قوله تعالى:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ}

آل عمران 144

* حقيقة الإجماع الأول للصحابة ..

القائلون بأنّ المسيح عيسى بن مريم الناصري لا يزال حياً خالداً باقياً في السماء على حياته الأولى منذ ولادته يزعمون بأنّ ثمة إجماعاً من علماء المسلمين على هذه العقيدة. وتقريباً للأفهام نسأل السؤال التالي: إذا ثبت في عِلْم المسلمين إجماعٌ للصحابة، ثمّ برز إعلانٌ عن إجماع مخالفٍ لعلماءٍ أو مشايخ من المسلمين جاؤوا من بعدهم، فبأيّ إجماع نأخذ؟

نقول: لا شكّ في أنّ علماءَ المسلمين، يستنيرون في أفهامهم الدينية بما

أُثر من فهمٍ لدى السّلف الصّالح من صحابة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وآل بيته الأطهار ويقيسون عليها حتى يومنا هذا. ولذلك فإنّ من البديهي أن نأخذ بإجماع الصحابة—إذا ثبت—ونُقيم به الحجة والبرهان في المسائل قيد البحث. وبعون الله نَشْرَع:

نقرأ في المواهب اللدنّية عن أبي هريرة رضي الله عنه الرواية التي روى مثلها ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنه وأوردها السيوطي في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، قال:

"لما تُوفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوفّي.` وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم **ما مات**، ولكنه ذهب إلى ربه **كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات**. ووالله ليَرجعنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم **كما رجع موسى**، فليقطعنّ أيدي رجالٍ وأرجلهم زعموا أنّ رسول الله مات.

وأقبل أبو بكر من 'السنح' على دابته حتى نزل بابَ المسجد، وأقبل مكروباً حزيناً وعُمرُ يكلّم الناس فلم يلتفت إلى شيء، فاستأذن في بيت ابنته عائشة رضي الله عنها فأذنت له، ودخل وَرَسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسَجّى في ناحية البيت عليه بُرد حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أقبل عليه فقبّله ثم قال: 'بأبي أنت

وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتَها، ثم لن تُصيبك بعدها موتةٌ أبداً.' ثم ردّ البُردَ على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وعُمَر يكلّم الناس، فقال: 'على رِسْلِك يا عمر، أَنصِتْ'، فأبى إلاّ أن يتكلم. فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

'أيها الناس! إنّه من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان، يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت' ثم تلا هذه الآية:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} 144 آل عمران

قال أبو هريرة رضي الله عنه: 'فَوَالله لكأنّ الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية قد نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ'.

قال عمر رضي الله عنه: 'والله ما هو إلاّ أن سمعتُ أبا بكر تلاها فعقرتُ حتى وقعتُ إلى الأرض ما تَحملني رجلاي، **وعرفتُ أنّ رسول الله قد مات**'." [1]

* تعالوا نتفكّر ..

---

[1] – راجع هذه الرواية في ص 373 374 من المواهب اللدنية الجزء الثاني. وانظر أيضاً في صحيح البخاري وابن كثير وجامع البيان للطبري ومسند ابن عمر وكنز العمال وغيرها من المصادر والمراجع.

عمر، رضي الله عنه، العاشقُ الفاني في حبّ سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم، يَسمع من الناس خبراً صاعقاً يضرب قلبَه، وينتزع السكينة من نفسه، ويزعزع هدوءَه واتّزانه، ويقتلعه من رسوخه ورباطة جأشه—"مات محمد!" هكذا سمع الناسَ يقولون. أبى تصوُّره هذا الخبر الصّاعق، ورفض قلبُه العاشقُ قبولَه، فطاش صوابُه، وقام يُكلّم الناس مهدِّداً:

'والله ما مات محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه ذهب إلى ربه **كما ذهب موسى بنُ عمران؛ فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات.** ووالله ليرجعنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم **كما رجع موسى...**'

هذا ما كان يؤمِّل به الفاروقُ عمرُ نفسَه ويتمنّاه: أن يكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد ذهب لمناجاة ربه كما ذهب موسى عليه السلام، وأن يرجع كما رجع موسى! نلاحظ هنا أنّه لم يقل إنّ محمداً قد رُفع إلى السماء حياً كما رُفع عيسى، وإنه سوف ينزل من السماء حياً كما سينزل عيسى. لابدّ من تذكُّر هذه الملاحظة لأنّ لها دلالة هامة جداً في بحثنا، وسنوردها في حينها—ونُتابع:

في مواجهة هذا الرفض الغاضب الذي أزبد فيه شدقا عُمر[1] والتهديد الاستنكاري الهادر منه، كان على أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يجد

[1] – جاء في مـ سند عمر عن عكرمة في كنز العمال و صفاً لغ ضب عمر في تلك الحادثة يقول: "فلم يزل عمر يتكلم، حتى أزبد شدقاه"

برهاناً مُلزِماً يُقنِع عُمرَ بالاستسلام والقبول بأنّ خَبَر موت المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلّم كان صحيحاً. ولو لم يأت ببرهان باتٍّ حاسِم لَمَا هدأ عمر، ولحدثت فتنةٌ كبيرة جَعَلَت الناس يختلفون في موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

فإلى ماذا لجأ أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، من أجل تقديم برهانه الفاصل؟

لجأ إلى كتاب الله الفرقان، فَتَلا على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قولَ الله عزّ وجل:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} 144 آل عمران

ولقد عَلِمنا أنّه بعد سماع عُمَر رضي الله عنه لهذه الآية، قال:

"والله ما هو إلاّ أن سمعتُ أبا بكر تلاها فعقرتُ حتى وقعتُ إلى الأرض ما تحملني رجلاي، **وعرفتُ أنّ رسول الله قد مات**."

إذاً وجدَ الفاروقُ عُمَرُ في هذه الآية الكريمة برهاناً قاطعاً على أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد مات، وكذلك وجد بقيةُ الصحابة، ولم يعترض أحدٌ منهم على بيان أبي بكر الصديق رضي الله عنه. لقد كان هذا إجماعاً من الصحابة على صحة استشهاد أبي بكر الصديق بهذه الآية للبرهان على

وفاة محمد صلى الله عليه وسلم——فماذا في هذه الآية؟

يقول الله تعالى:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} 144 آل عمران

*** المعنى اللغوي لكلمة "خَلَتْ" في المعاجم وآيات القرآن ..**

ونبدأ بما جاء في لسان العرب: "قال ابن الأَعرابي:

'خَلا فلانٌ إِذا ماتَ...'"

وفي المعجم الوسيط: "خَلا فلانٌ: مات"

وجاء في تفسير الجلالين: "{أمم قد خَلَت} أي هلكتْ .."

وفي موضع آخر: "{وقد خَلَت القرون} الأمم (من قبلي) ولم تخرج من القبور.."

وجاء في (شرح مسند الإمام أبي حنيفة للإمام علي القاري) التفسير التالي:

"{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}، أي مضوا وماتوا فيمضي ويموت مثلهم، كما أشار إليه تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أفإن مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُوْنَ *كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ المَوْت}، فالموت كأس وكلّ الناس شاربه والقبر

باب وكل الناس داخله."[1]

من الواضح أنّ الله تعالى يريد بيان أنّ رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو بشر مثل بقية رسل الله تعالى الذين ماتوا من قبله. وبما أنّ بقية الرسل السابقين لمحمد قد خلوا من قبله وماتوا، فهو كذلك كان لابدّ أن يموت مثلهم، ويجب ألاّ يكون موته سبباً للكفر والارتداد، لأنّ هذه سنّة الله تعالى في جميع رسله بدليل أنهم قد خَلَوا وماتوا جميعاً من قَبل محمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، واستمر إيمانُ أتباعهم الصادقين بهم حتى بعد موتهم.

من المحتّم في هذه الآية أن تكون قد أثبتَتْ موتَ جميع الرسل والأنبياء السابقين، لأنه لو كان قد بقي ولو مجرد واحد منهم حيّاً حتى نزول هذه الآية الكريمة لَبَطل البرهان بها ولقيل:'لا! إنّ فلاناً من الرسل ما يزال حياً باقياً على حياته الأولى في السماء وهذا يعني أنّ موت الرّسل ليس سنّة تسري على جميعهم، ولذلك فليس من الضروري أن يموت محمد كما مات غيره، بل يمكن أن يظلّ حياً كما بقي غيره من الرّسل حتى ولو كان واحداً فقط'.

إذاً كان من المحتم أن تُثبتَ هذه الآية موتَ جميع رُسُل الله الذين سبقوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم، وإلا لَبطل البرهان المقصود فيها. وبناءً على هذا البيان الفاصل فقد استَشهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بها

[1] – دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 1405 هـ / 1985 م.

ليُقنِع عُمَرَ وبقيةَ الصحابة بحقيقة موت محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، دون أن يترك في أذهانهم أيّةَ شُبهة من استثناء ولو حتى لرسول واحد.

ولو كان في عقيدة عمر والصحابة، حتى ذلك الحين، أنّ عيسى كان ما يزال حياً في السماء، لقالوا لأبي بكر إنّ الآية ليس فيها برهان على أنّ محمداً يموت، بل يمكن أن يخلو بالرفع حياً إلى السماء كما رُفع عيسى! ولكنّ واحداً منهم لم يفعل ذلك—مما يدلّ على أنّ الاعتقاد بأنّ المسيح عيسى بن مريم كان لا يزال حياً منذ ولادته لم يكن في ذهن أَحدٍ منهم على الإطلاق، بل نقرأ أنّ الصحابة كلّهم قد تلقّوا هذه الآية وقبلوها منه، تقول الرواية:

"والله لكأنّ الناس لم يعلموا أنّ الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقّاها منه الناس كلهم.."

وكذلك تلقّاها وقَبِلها عُمَر الذي قال:

"واللهِ ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرتُ حتى وقعتُ إلى الأرض ما تحملني رجلاي، **وعرفتُ أنّ رسول الله قد مات**."

وهكذا فقد **كان هذا الإجماعَ الأول للصحابة الكرام** بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على معنى هذه الآية وهو يؤكّد عقيدتهم رضي الله عنهم بأنّه: **مثلما مات جميعُ رُسل الله الذين خلوا من قَبل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، فكذلك قد خلا ومات المسيح عيسى بن**

مريم عليه السلام لأنه كان من جملة رُسُل الله الذين **خَلوا** من قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

ومع أننا قد أثبتا معنى {خَلَتْ} من معاجم اللغة العربية، فإننا نؤكّد أيضاً هذا المعنى من الآية الكريمة ذاتها حيث تُبَيّنُ معنى الخُلوّ المقصود بقول الله تعالى:{أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ} انقلبتم على أع وبعون الله أبدأ ..

قابكم. ومن المعلوم أنّ الإنسان يخلو إمّا بالموت أو القتل، وهو المعنى المقصود في الآية الكريمة.

* تفسير القرآن بالقرآن ..

وتأكيداً على أنّ معنى {خَلَتْ} في الآية الكريمة هو أنّ جميع الرسل قبل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قد ماتوا، نوردُ الآية القرآنية التالية التي استخدم اللهُ تعالى فيها التعبير ذاته حيث يقول:

{مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ} المائدة 76

من الواضح أنّ الله تعالى قد أراد في هذه الآية الكريمة أن يؤكد حقيقة أنّ المسيح عيسى بن مريم ليس إلهاً، وإنما هو رسولٌ بشرٌ كغيره من الرسل الذين ماتوا من قبله، وأنه كان لابد أن يخلو ويموت كما {خَلا} ومات جميعُ الرسل الذين خَلوا من قبله. ونرى هنا أنّ الله عزّ وجل—من أجل الدلالة على حتمية موت المسيح—استخدم التعبير {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ} ذاته الذي استخدمه في آية {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}. وبما أنّه ليس ثمة شكّ في أنّ جميع الرسل قبل المسيح قد ماتوا، فهذا يبرهن على أنّ قصد الله تعالى في آية {وَمَا مُحَمَّدٌ ...} هو أنّ جميع الرسل الذين جاؤوا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم قد ماتوا أيضاً— ومنهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام—وبذلك يَثْبُتُ برهانُ موتِ المسيح عيسى بن مريم الناصري من هذه الآية الكريمة في القرآن الكريم وبإجماعٍ من الصحابة الكرام كما برهنّا آنفاً، **وهو الإجماع الأول** بعد موت سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

وأختم هذه المسألة بالدّعوة إلى تدبّر الآيتين الكريمتين التاليتين:

يقول ربنا عزّ وجلّ:

{مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ} المائدة 76

ويقول تبارك وتعالى:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} 144 آل عمران

ولا شكّ في أنّ من يرفض هذا البيان القرآني العظيم لن يضرّ الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين الذين لا يخشون في الله لَومة لائم لأنّهم يؤمنون ببيان

الله عزّ وجلّ الذي أمَرَنا مُحَذِّراً:

{فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ} التوبة 13 صدق الله العظيم.

* المسألة الثانية ..

قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} الأنبياء 35

تُشكل هذه الآية برهاناً قرآنياً فاصلاً يؤكّد حقيقة موت المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأنّه قد توفّاه الله كما تَوفّى محمداً صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم وبقيّةَ الرّسل والأنبياء، عليهم وعلى آلِهِم صلوات الله وسلامه أجمعين—وإليكم البيان:

نبدأ بشرح المعنى اللغوي لأصل كلمة "الخُلد".

*** في معجم (المحيط) للإمام الفيروز آبادي ..**

"الخُلد: البقاء والدوام. وفي الأصل: الثبات المديد **دام أم لم يدم**. وخَلَد خَلْداً وخلوداً:أبطأ عنه الشيب، وقد أَسَنّ..وأخلد بصاحبه: لَزِمه. وخلد إليه: مالَ. والخوالد: الأثافي، والجبال، والحجارة".

* **وفي محيط المحيط ..**

"الخلود الدوام. وفي الكليّات كل ما يتباطأ عنه التغيّر والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأيام خوالد وذلك **لِطولِ مُكْثِها لا للدوام**."

لاحِظْ قولَه: " **لِطولِ مُكْثِها لا للدوام!**"

* **وفي لسان العرب ..**

"المخلَّد من الرجال:**الذي أَسَنّ ولم يشبْ كأنه مخلّد** لذلك، وخلد يخلد خلداً وخلوداً: **أبطأ عنه الشيب** كأنما خُلق ليخلد. **ويُقال للرجل إذا بقي سواد رأسه ولحيته على الكبر: إنه لمخلّد. ويُقال للرجل إذا لم تسقط أسنانه من الهرم: إنه لمخلّد. والخوالد:الجبال والحجارة والصخور لطول بقائها بعد دروس الأطلال**. وخلد إلى الأرض وأخلد: **أقام فيها**."

ويقول الإمام ابن الأثير في كتابه الشهير (النهاية في غريب الحديث والأثر) حول معنى "خلد" ما يلي:

"'خَلَدَ' في حديثِ عليّ يَذُمّ الدُّنيا: "مَن دَانَ لهَا وأخْلَد إليها" أي **رَكَن إليها ولَزمها**. ومنه قوله تعالى {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} (الأعراف 177)

وهكذا تؤكّد معاجم اللغة العربية أنّ أصل معنى كلمة "الخُلد" و"الخلود" هو المدة الطويلة **سواء أدامت أم لم تدم**؛ وكذلك من معانيها لزوم حال معينة دون تغيير. فلو قيل عن فلان من البشر إنّه قد عاش عمراً طويلاً

فوق العادة ملازماً حياته التي كان عليها دون تغيير، لكان هذا يعني، بحسب اللغة العربية ومعاجمها، أنه قد خلد.

من هنا يمكننا أنّ نفهم معنى قوله تعالى:

{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} الأنبياء 35

يقول الله هنا أنّه لم يجعل لِبشرٍ قَبْل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حياةً طويلة تتجاوز المألوفَ الإنساني وطبيعتَه البشرية، وإلاّ فإنّه يكون قد خلد. وبما أنّ عيسى عليه السّلام هو بشر من عباد الله، فلا يمكن له أن يكون قد خلد قبل محمّد في حياة استمرّت حتى زمن محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم. وهذا برهان قرآنيّ آخر يؤكّد حقيقة موت المسيح وأنّه ليس حيّاً باقياً في السماء كما يزعمون!

وأمّا لو بقي المسلمون على الزّعم ببقاء المسيح عيسى بن مريم حيّاً خالداً في السّماء، لكان في اعتقادهم هذا تأييدٌ لعقيدة الكنيسة المسيحية بأنّه ابنُ الله وليس بشراً—بدليل أنّ الله قد جعل له الخلد وبقي حتى زمن محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعده، الأمر الذي يعني أنّه قد خلد لأنّه الله وابن الله كما تقول الكنيسة المسيحية وعامّة المسيحيين.

هذا ويعلم المطّلعون على سنن الله تعالى في القرآن الكريم أنّه عزّ وجلّ ينفي أن يَمنح إنساناً عمراً طويلاً دون أن يُضْعِفه ويُنَكِّسَه في الخَلق؛ يقول تعالى:

{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ **أَفَلا يَعْقِلُونَ**} يسن 69

{**أَفَلا يَعْقِلُونَ**}؟!

ولا شكّ في أنّ هذه الآية تبيّن قانوناً عامّاً وشاملاً من قوانين الله عزّ وجلّ وهو يَطالُ الجنسَ البَشريّ كلَّه دونما استثناء، وذلك لأنّه لا تبديل لسنن الله تعالى ولا تحويل لها؛ يقول ربنا سبحانه وتعالى في سورة فاطر:

{فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً} فاطر 43

وكذلك يبيّن لنا ربُّنا عزّ وجلّ في كتابه الحكيم أنّ من قضاء الله على الإنسان أنّه إذا امتدّ به العمر طويلاً فإنّ قواه الذهنية والعقلية تضعف ويفقد القدرة على تعلّم أيّ جديد؛ يقول تعالى في سورة الحج:

{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} النحل 71

ويظلّ هذا قانون الله الذي لا يغيره ولا يبدّله رغم أنّه الله على كلّ شيء قدير.

* المسألة الثالثة ..

قول الله تعالى عن المسيح وأمه: {كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ}، وذلك في قوله تعالى:

{مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ} المائدة 76

تؤكّد هذه الآية الكريمة حقيقة أنّ المسيح عيسى بن مريم قد توفّاه الله بالموت كغيره من النبيين، وتنقُضُ خرافةَ أنه لا يزال حيّاً باقياً على حياته الأولى منذ أن خلقه الله وبعثه حتى الآن، وإليكم البيان:

لو سمعتَ من طبيب في مشفى يقول لك عن معلِّم تعرفُه أنّه **'كان'** ينام مبكراً فماذا تفهم من قوله؟ لا شكّ في أنك تفهم أنّ ذلك المعلِّم لم يعد ينام مبكراً، بل صار ينام متأخّراً—وذلك بدلالة الفعل **"كان"** في تعبير ذلك الصديق.

ولو قال لك عنه أنّه **"كان"** يتمشى في حديقة المستشفى كلّ صباح؟ ستفهم أيضاً أنه لم يعد يفعل ذلك ربما بسبب انشغاله أو مرضه أو ضعفه أو غير ذلك من الأسباب.

ولو قال لك أنه "**كان**" يفطر كلّ صباح؟ ألا تفهم من ذلك أنه لم يعد يفطر في الصباح لسبب من الأسباب؟

ولننتقل إلى بُعدٍ أعمق في الفكرة فنسأل: ماذا لو قال لك الطبيب، في زيارة، قُمت بها بعد فترة طويلة، أنّه "**كان**" يتنفّس. لا شكّ في أنك ستفهم من ذلك أنه لم يعد يتنفّس. ولكن ماذا يعني أنّ شخصاً ما لم يعد يتنفّس؟ ألاّ يعني ذلك أنّه قد مات؟ طبعاً، لأنّ الإنسان بطبيعة الحال لا يستطيع العيش بدون هذه العملية الحيوية مطلقاً، ولذلك **لا يمكننا** اعتبار من "**كان يتنفّس**" ولم يعد يتنفّس أنه لا يزال حياً، بل نقول إنه قد مات.

ونفهم أنّ عِلْمنا بأنّ شخصاً ما قد توقف عن تناول وجبة معينة أو نوع من الطعام أنه لم يعد يتناول تلك الوجبة أو يأكل ذلك النوع من الطعام، ولكنه صار يأكل وجبة أخرى وطعاماً آخر بدلاً منه، ولكننا لا يمكن أن نقول عن شخص أنه كان يأكل الطعام، هكذا مطلقاً، ثم لم يعد يأكل الطعام نهائياً إلاّ إذا قصدنا أنه **قد مات**. عندئذ فقط نستطيع أن نقول إنه: "**كان يأكل الطعام**"ـــوهذا يعني أنه **قد مات** ولذلك لم يعد يأكل الطعام.

وهذا بالضبط ما بيّنه ربُنا عزّ وجل في شأن المسيح عيسى بن مريم وأمه حين قال: {كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ} وذلك في قوله تعالى:

{مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ

كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ} المائدة 76

ولابد هنا من ملاحظة أنّ لفظةِ {**كانا**}، في هذه الآية، قد جاءت في صيغة المثنّى، وهي تُشير أيضاً إلى الصدّيقة مريم بالإضافة إلى المسيح عيسى عليه السلام. وإذا ما تذكّرنا أننا نعتقد، كمسلمين أو حتى مسيحيين، بأنّ السيدة مريم عليها السلام قد ماتت كغيرها من البشر، فسيسهل علينا فَهْمُ أنّ معنى أنّها **كانت تأكل الطعام**، هو أنّها لم تعد تأكل الطّعام، وذلك لأنها قد ماتت كغيرها من البشر.

والآن إذا ما تفكّرنا جيداً في هذه الآية القرآنية {كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ} نجد أنّ الله عزّ وجل قد قَرَنَ المسيحَ مع اسم أمه **الميّتة** في أنهما **كانا كلاهما** يأكلان الطعام **ولم يعودا يأكلانه،** وذلك لأنهما قد ماتا ولم يعودا بحاجة إلى الطعام فهما لم يعودا حيين. وطالما أنه لا شكّ لدينا في موت مريم عليها السلام، فإنّ اقتران اسم المسيح مع اسم أمّه في أنهما {**كانا**} يعني **(لم يعودا)** يأكلان الطعام تُشير، دون أدنى شك، إلى حقيقة موتهما كليهما، وذلك من منطلق الآية ذاتها.

وللرد على القائلين بأنّ المسيح عليه السلام، باعتباره في السماء لم يعد في حاجة إلى الطعام بل قد بقي حياً **في جسده، ولا يأكل الطعام**—— نقول ينفي اللهُ عزّ وجلّ في سنّته أن يكون قد جعل أحداً من النبيين جسداً لا يأكل الطعام فيقول في قرآنه المجيد:

{**وَمَا جَعَلْنَاهُمْ** جَسَدًا **لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ**} الأنبياء 9

وكذلك نجد أنّ هذه الآية تنفي عن الأنبياء أن يكونوا خالدين. وسنأتي على بيان ذلك في حينه.

وهكذا نجد في هذه الآية الكريمة—موضوع المسألة الثالثة—برهاناً قرآنياً قاطعاً على حقيقة أنّ **المسيح عيسى بن مريم قد مات وتوفّاه الله تعالى** كما مات محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلّم وكافة الرسل والأنبياء السابقين الذين خلوا من قبل محمد وعيسى وغيرهم، عليهم صلوات الله وسلامه وبركاته أجمعين.

وردّاً على الذي يرفض هذا البيان القرآني ويكذّب به ويعتبره إفكاً نُذَكّر بتتمة هذه الآية الكريمة، حيث يقول تعالى:

{انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ **ثُمَّ انظُرْ أَنَّ يُؤْفَكُونَ**} المائدة 76

ونعوذ بالله من الذين يُكذِّبون ويُؤفَكون!

* المسألة الرابعة ..

قول ربنا تبارك وتعالى :

{أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} النحل 22

من هم هؤلاء الذين يقول الله عزّ وجلّ عنهم في كتابه المجيد بأنّهم: {أَمْوَاتٌ} ثم يؤكّد بأنّهم {غَيْرُ أَحْيَاءٍ} ثمّ يؤكّد بأنّهم {مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}؟

تعالوا نفهم هذا الموضوع القرآني من أوّله.

يتحدّث القرآن المجيد عن اليهود والنّصارى بأنّهم اتّخذوا أشخاصاً دَعَوهم أرباباً من دون الله، فَمَن هم هؤلاء، يقول ربّنا عزّ وجلّ:

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}

(التوبة 31)

نجد هنا أنّ الله عزّ وجلّ يُخبرنا في كتابه المجيد أنّ النصارى بالإضافة إلى اتّخاذهم رهبانهم أرباباً من دون الله فقد اتّخذوا بشكل خاصّ المسيحَ بن مريم ربّاً ودعوه إلهاً من دون الله—كما هو معلوم.

إذاً المسيحُ بنُ مريم، بحسب هذه الآية، هو من ضمن البشر الذين أَشرك

بِهم النّاسُ ويدعونهم أرباباً من دون الله.

ما هي حال هؤلاء الذين يُدْعَون من دون الله؟ يُخبرنا القرآن الكريم بحقيقة أنهم **بشر لا يخلقون شيئاً بل هم يُخلقون**، ويُبيّن حقيقة وضعهم، حال نزول الآية، فيقول:

{**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ** وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (النحل 22)

تعالوا نقرأ الآية من أوّلها:

{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * **أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ** وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (النحل 21-22)

وبما أنّ المسيح بن مريم هو بحسب الآية السّالفة من ضمن أولئك الذين يَدعوهم النصارى من دون الله، فهو بحسب هذه الآية **ميت من الأموات**، غير الأحياء، الذين لا يشعرون أيّان يُبعثون.

اقرأ الآيتين معاً وانتبه خصوصاً إلى قوله تعالى {مِنْ دُونِ اللَّهِ} وتفكّر جيّداً فتتبيّن لك الحقيقة التي أنزلها الله عزّ وجلّ في قرآنه العظيم، وهي أنّ المسيح عليه السلام هو من البشر الذين {لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} **وأنّه من الأموات، غير الأحياء**؛ ومن الذين {مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}.

والآن اقرأ الآيتين معاً:

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ **وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**}

(التوبة 31)

{**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * **أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ** وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (النحل 21-22)

وهكذا يبين لنا ربُّنا وهو العليم الخبير أنّ الأحبارَ والرّهبان والمسيحَ ابن مريم الذين يدعوهم الناسُ أرباباً من دون الله هم، في حقيقة أمرهم، رهن حالات ثلاث:

1. أموات ..
2. غير أحياء ..
3. ما يشعرون أيّان يُبعثون.

وبما أنّ المسيح بن مريم هو واحد من هؤلاء، حيث أنّه من الذين يُدْعَون إلهاً من دون الله، فهو أيضاً ميت، غير حيّ ، وما يشعر أيّان يُبعث.

وإذا كانت كلمة أموات تعني أيضاً أنهم أموات لا محالة، فقوله عزّ وجلّ: {غَيْرُ أَحْيَاءٍ} يبين بكل وضوح أنّهم في حالة مغايرة للحياة—**وهي الموت**. ولذلك فهم لا يشعرون أيّان يُبعثون.

ومن الواضح أنه لا يمكن القول للحيّ أنه لا يشعر أيّان يُبعث، لأنه أساساً حيّ وفي حالة الحياة، وإنما يكون البعث من حالة الموت، وليس من حالة الحياة، وبما أنّ هؤلاء الذين يُدعون من دون الله **هم أموات غير أحياء** وفي عالم الأموات **لذلك هم لا يشعرون أيّان يُبعثون**.

وللتأكّد من صحة هذا المعنى لابدّ من الانتباه إلى الاستثناء من حالة

الحياة بكلمة {غَيْر} الواردة في الآية الكريمة والتي تفيد الاستثناء كما هو معلوم.

ورد في مراجع اللغة العربية أن كلمتي: (سوى) و (غير) تفيدان الاستثناء وتجرّان ما بعدهما. وجاء في قاموس محيط المحيط:

(وإنْ استُثني بكلمة "غير" جرّت ما بعدها).

وهذا ما ورد في هذه الآية الكريمة حيث أنها استثنت الذين يُدعون من دون الله مِن كونهم أحياء، وبذلك وَضَّحَت وحَدَّدَت معنى كلمة {أموات} الواردة في الآية؛ إذ كان يكفي القول إنّهم {أموات} ولكن كي لا يُعتقد أنّ المقصود هنا فقط هو أنهم أمواتٌ لا محالة، أكَّد ربُّنا عزّ وجلّ بقوله {غَيْرُ أُحْياءٍ} مستثنياً إيّاهم من الحياة، ومؤكّداً حقيقة أنّهم **أموات** ولن يعودوا إلى الحياة إلاّ حين يُبعثون—ومنهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وهكذا نجد أنّ كتاب الله يؤكّد هنا أيضاً، باللفظ الصريح، أنّ جميع من كان يدعوهم المشركون آلهة أو أرباباً من دون الله، في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم أموات، غير أحياء، ولا شكّ في أنّ المسيح بن مريم عليه السلام هو واحد منهم كما تمّ لنا البيان من الله تعالى.

* المسألة الخامسة ..

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} آل عمران (55)

وذلك في معرض قوله تعالى:

{**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}

آل عمران 55-56

والمسألة التي نحن بصدد بيانها هنا هي فقط في ما يخصّ قول ربنا عزّ وجلّ:

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} آل عمران (55)

أمّا فيما يتعلّق ببقيّة الآية فسيأتي شرحه في حينه ومكانه من هذا البيان.

* تمهيد لفهم هذه الآية :

لو علمنا أنّ مَلِكاً عظيماً كان يضع في مكانٍ معيّنٍ خزنةً كبيرة جمعَ فيها كلَّ كنوزه وأمواله؛ وسمعنا أنّه، حِماية لخزنته من تَسلّل اللصوص إليها ليلاً بُغية سرقة الكنوز والأموال التي فيها، أَمَر الملكُ بِوَضْعِ مصباحٍ كبير في

مكان الخزنة ليسطَعَ في الليل بنورٍ شاملٍ يكشف كلَّ مَن يحاول التّسلل أو الاقتراب من هذه الخزنة الملكية العظيمة.

ولو سمعنا أنّ عصابةً من اللصوص في ذلك البلد أعدّت خطةً مُحكمةً لكسر ذلك المصباح الساطع، فمكروا لذلك مكراً شديداً حتى لا يكشفهم الملك وحرّاسه أثناء سَطْوهم على الخزنة.

ولو علمنا أنّ ذلك الملك العظيم، حين سمع بمكر اللصوص، أعلن أنه قد أعدّ، هو أيضاً، خطّةً ومكراً يَرُدُّ به على مكر اللصوص ليُفَشّلهم فلا تتحقق غايتهم من كسر المصباح.

ولو قيل لنا إنّ خطة هذا الملك المشهور بالعقل والعلم والحكمة كانت أنّه قد أمَرَ جنودَه بفكّ المصباح وحفظه سليماً ونقله إلى مكان آخر وذلك لإحباط خطّة اللصوص والحيلولة دون كسرهم إيّاه.

فماذا كنّا سنفهم من هذه القصة؟

هل كنّا سنفهم أنّ مَكْر ذلك الملك كان حكيماً عظيماً بحيث أنّه بإزالته للمصباح قد أَبطل خطّةَ اللصوص ومكرَهم الهادف إلى التّسلّل والاستيلاء على خزنة الملك وسرقة كنوزه ؟

ألا يكون ذلك المِلك قد قام بفعل غبيّ حقَّق به غايةَ اللصوص وهدَفَهم، وذلك حين أمرَ بإزالة المصباح فصار مكان الخزنة مظلماً بحيث يمكن للصوص أن يتسللوا في الظلام ويستولوا على ما يريدون؟

وهل يكون مَكْرُ الملك في هذه الحالة هو الغالب؛ أم يكون مَكْر اللصوص لتحقيق غايتهم في إظلام المكان هو الذي قد تحقّق——ودونما جهد أو تعب منهم؟

لاشكّ في أنّ مكر اللصوص يكون هو الذي غلب ونجح في هذه الحال!

يفيدنا، قبل شرح بيان هذه الآية الكريمة أن نذكر بإيجاز العقيدةَ السائدة بين عامّة المسلمين ومشايخهم والمفهوم المشهور عن المكر الذي مكره الله باليهود كي لا يقتلوا عيسى عليه السلام. وسنعيد شرح هذا الأمر بالتفصيل عند ذكر بياننا لقول ربّنا عزّ وجلّ {ولكن شُبّه لهم}.

* من مختصر تفسير ابن كثير نقرأ ما يلي:

"روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: 'لَمّا أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين، فخرج عليهم ورأسُه يقطر ماء، فقال: إنّ منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال، ثم قال: أيّكم يُلقى عليه شَبَهي فيُقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنّاً، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: هو أنت ذاك، فأُلقي عليه شبه عيسى ورُفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشّبَه فقتلوه، ثم

صلبوه..ʻ"

في هذه الرواية نجد أنّ مكر الله كان بتحويل واحد من حواريي عيسى إلى شَبه عيسى، فقتلَ اليهودُ هذا الشّبه، فيما رُفع عيسى إلى السماء!

* من جامع البيان للطبري

ويتحدّث الطبري في جامعه عن مفهوم مكر الله باليهود لإنقاذ المسيح من القتل، فيقول:

"{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} (النساء 158) يعني: وما قتلوا عيسى وما صلبوه، ولكن شُبّه لهم.

واختلف أهلُ التأويل في صِفة التشبيه الذي شُبه لليهود في أمر عيسى، فقال بعضهم: لما أحاطت اليهود به وبأصحابه، أحاطوا بهم، وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه، وذلك **أنهم جميعا حُوِّلوا في صورة عيسى**، فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى، عيسى من غيره منهم، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى، فقتلوه وهم يحسبونه عيسى .."

ومن هذه الرواية الخرافية نجد أنّ الله قد حَوَّل جميعَ أصحاب عيسى إلى شبهه، فأخذ اليهودُ واحداً منهم وقتلوهّ!

* وفي الجامع لأحكام القرطبي، نقرأ:

"{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (آل عمران 55)

قوله تعالى: {وَمَكَروا} يعني كفار بني إسرائيل الذين أَحسَّ منهم الكفر، أي قتْله. وذلك أنّ عيسى عليه السلام لما أخرجه قومُه وأمَّه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهمّوا بقتله وتواطؤوا على الفتك به، فذلك مكْرهم.

ومكرُ الله: استدراجُه لعباده من حيث لا يعلمون؛ .. وأصل المكر في اللغة الاحتيال والخداع ..

وقيل: "مكْرُ الله" إلقاءُ شَبَه عيسى على غيره ورفْعُ عيسى إليه، وذلك أنّ اليهود لما اجتمعوا على قتل عيسى دخل البيت هارباً منهم فرفعه جبريل (من الكوة)[1] إلى السماء، فقال مَلِكُهم لرجلٍ منهم خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه فاقتله، فدخل (يهوذا) الخوخة فلم يجد هناك عيسى، وألقى اللهُ عليه شَبَه عيسى، فلما خرج رأوه على شبه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه. ثم قالوا: وجهه يشبه وجه عيسى، وبدنه يشبه بدن صاحبنا؛ فإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ فوقع بينهم قتالٌ فَقَتَل بعضهم بعضا؛ فذلك قوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}. وقيل غير هذا على ما يأتي.."

وهكذا تعددت التفاسير الخرافية!

[1] – لماذا من الكوّة؟ ألم يكن جبريل قادراً على رفعه عبر الـ سّقف دون أن يؤذى وهو الذي كان سيأخذه لينفذ به أقطار الـ سماوات بأمر اللّه؟ / هكذا هو شأن الفبركة. فهي تنقض نفـ سها بنفـ سها، وعلينا أن ننتبه كي لا نكون من الأغبياء!

*** البيان ..**

كان الله تبارك وتعالى قد أرسل إلى اليهود رسولَه الكريم موسى عليه السلام وأنزل عليه التَّوْرَاةَ {فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ}. فقام فيهم نبيّاً ورسولاً ليهديهم إلى صراط الله الحقّ وينقذهم بنور كتاب الله وشريعته من الظلم والظلام اللذين كانا قد أحاقا بهم.

ولكنّ بني إسرائيل ظلّوا ينتقلون من انحراف إلى انحراف، ومن ضلالة إلى أخرى رغم سلسلة النبيين الذين بعثهم الله لهدايتهم. فأرسل اللهُ، في خاتمة الأمر، إليهم المسيحَ عيسى ابن مريم مُصدّقاً لما بين يديه من توراة موسى وليُعيدهم إلى صراط الإيمان القويم من خلال تنوير أفهامهم وقلوبهم بالبيان الصحيح الذي في شريعة موسى عليه السلام؛ فأعلن لهم قائلاً:

{«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. *فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ} إِنْجِيلُ مَتَّى 5 : 17-18)

{ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلاً:«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي **فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ»**} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 8 : 12)

كان المسيح نوراً من الله لليهود ليهديهم ويُبيّن لهم السبيل السّوي

فيخرجهم من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان الحق.

كشفَ نورُ المسيح ظلمات شيوخ اليهود وعلمائهم، وفضح للناس جهالاتهم وضلالاتهم، فأثار بيانُه أحقادَ عُلماءِ اليهود وأحبارهم وأشياخهم فتآمروا ومكروا وقرّروا أنّه لابدّ من القضاء على المسيح للخلاص من نور دعوته والحفاظ على ظلماتهم وضلالاتهم التي يسيطرون بها على أتباعهم.

كان ذلك هو الهدف من مكرهم: الخلاصُ من بيان المسيح ونوره السّماوي الذي جعل الناس ينفضّوا عنهم وينجذبوا إلى نور بيانه الإلهي العظيم الذي يُبدّد ظُلماتهم ويفضح جهلهم ويقوّض سلطانهم.

وإذا كان مكرهم يهدف إلى إنهاء وجود المسيح في الناس خوفاً من أثر نوره وبيانه، فكان لابدّ من أن يكون مكر الله باليهود هو الإبقاء على المسيح في الناس ليُتمّ نوره ودعوته التي أرسله الله بها ليهدي قومَه ويُنيرهم بنورها السّماوي المبين. وهكذا نقرأ في القرآن العظيم قول ربّنا عن هذه الحادثة بقوله:

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}

نبدأ بالمعنى اللغوي:

*** جاء في قاموس محيط المحيط:**

" **المكر**: صرف الإنسان عن مقصده بحيلة، وهو نوعان:

محمود يقُصد به الخير ..

ومذموم يُقصد به الشرّ ."

والآن بالعودة إلى الآية الكريمة، نجد أنها تتحدّث عن مَكرين:

1. مكر اليهود
2. مكر الله

فما هو مكر اليهود، وماذا كان المقصود منه؟

* الغاية من مكر اليهود:

في حين كانت الغاية من مكر اليهود هي القضاء على دعوة عيسى عليه السلام وتبشيره لأنها كانت تشكّل خطراً ساحقاً على سلطانهم؛ إذ من البديهي أنّ عيسى عليه السلام كإنسان عادي ما كان ليؤثّر عليهم في شيء لولا دعوته السّماوية وتبشيره وكشفه جهالاتهم وضلالاتهم للناس ولولا تأثُّر الناس به وتقبّلهم له ولدعوته الجديدة ونور هدايتها. ولذلك فإنّه لو تمَّ لليهود القضاء على دعوة المسيح عليه السلام سواء بالقتل أو بأي شكل من الأشكال يُنهي وجودَه بين الناس لَتَمَّ لهم ما أرادوا ولَتحققت الغاية من مكرهم بنفيه من الأرض، وتعطيل دعوته وإبطال استمرار انتشار نورها بين الناس.

إذن ماذا يكون الردّ من الله العزيز الحكيم على مكرهم لإبطال غايتهم؟

جواباً عن هذا السؤال بيَّن لنا ربُنا تبارك وتعالى فِعْله الذي أبطل به مكر اليهود فقال: {وَمَكَرَ اللّهُ}.

فبما أنّ مكر اليهود كان يهدف إلى قصدٍ معين، إذن كان لا بدّ أن يأتي مكرُ الله لإحباط هذا القصد. فإذا كان الهدف من مكر اليهود هو إطفاء نور دعوة المسيح عليه السلام وتعطيلها بقتله والخلاص منه ونفيه من الأرض، فهل من المعقول الاعتقاد بأنّ مكر الله المقابل كان تعطيل نور دعوة المسيح في الأرض وبين اليهود برفعه إلى السماء في الوقت والزّمن الذي أراده اليهود وحدّدوه لقتله؟!

فلو أنّ الله تعالى كان قد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حينما أراد اليهود قتْلَه وصلْبَه ألا يكون سبحانه قد حقَّق لهم الغايةَ من مكرهم دون أن يبذلوا جهداً أو ينتابهم نَصَبٌ لتحقيق غايتهم في متابعة سيطرتهم لنشر ضلالهم وظلاماتهم بعيداً عن نور دعوة المسيح وهداياته؟

وهكذا فإنّ النتيجة الحتمية لهذه العقيدة هي أنّ مَكْر اليهود هو الذي تحقَّق وانتصر على مَكْر الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً!

إنّ هذه العقيدة مجرّد عقيدة خرافية ولا تصحّ مطلقاً. فقد قال ربّنا عزّ وجلّ في كتابه المجيد:

{كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} المجادلة 22

وقال:

{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} التوبة 32

هذا هو الحقّ المبين. فالله ربّنا هو القوي العزيز الناصر لدينه ورسله، البالغ أمره، والمتمّ لنوره ولو كره الكافرون.

لذلك—وكما سنبيّن لاحقاً—فقد مَكَر الله عزّ و جلّ بحيث أنّ اليهود لما أرادوا قَتْل عيسى عليه السلام وصَلْبَه شَبَّه اللهُ عليهم قَتْلَه وصَلْبَه فظنّوا أنّهم قد أفلحوا، لكنَّ الحقيقة كانت أنْ مَكَر اللهُ عزّ وجلّ لإنقاذه من بين أيديهم ليتابع دعوته وتبشيره لباقي الأسباط من بني إسرائيل وهم الأسباط العشرة الباقية الذين كان قد شّردهم 'نبوخذ نصر' خارج فلسطين، في حين لم يكن في فلسطين سوى سبطين فقط. لذلك فقد يَسَّرَ الله لرسوله المسيح (النبي السيّاح) أن يخرج من فلسطين—الأرض التي تآمر فيها اليهود على قتله فيها—وساح في الأرض متتبِّعاً قبائل وأسباط بني إسرائيل حتى أكمل الرسالة وأدّى الأمانة كما هي سنة الله في جميع رسله.

ولقد جاء في (كنز العمال) الكتاب الجامع لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثٌ شريف يؤكّد حقيقةَ أنّ المسيح عليه السلام كان نبياً سيّاحاً في الأرض يسوح من مكان إلى مكان، إذ يقول الحديث:

(أوحى الله إلى عيسى أن يا عيسى انتقل من مكان إلى مكان لئلا تُعرَف فتؤذى.)

كما جاء في المصدر نفسه عن جابر رضي الله عنه الحديث عن عيسى بن مريم أنّه كان:

(إذا أمسى أكل بقل الصحراء وشرب الماء القراح.)

وجاء في التفسير الكبير لفخر الرازي ما يوضِّح حقيقةَ أنّ المسيح عليه السلام كان سيّاحاً في الأرض، فقال:

"قال أحمد بن يحيى: "سُمّي (المسيح) مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها، ومنه مساحة الأرض."

كما نقل صاحب كتاب التصريح فيما تواتر في نزول المسيح "عن جمهرة من العلماء قولهم في سبب تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح:

"وقيل: لأنه كان يمسح الأرض بسياحته فلم يكن يستكن في كنّ ولا بيت."

ومن هذا يتأكّد لنا أنّه بعد أن مكر اليهود لقتل المسيح عليه السلام انطلق سائحاً خارج فلسطين باحثاً عن خراف إسرائيل الضالة إلى أن استقرّ به المقام في ربوةٍ ذات قرار ومعين كما بيَّن القرآن الكريم حيث قال ربُنا تبارك وتعالى في شأنه وأمه:

{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}

(المؤمنون 51)

وسيأتي بيان رحلة المسيح عليه السلام بعد نجاته من حادثة الصلب في

حينه، إن شاء الله تعالى .

وهكذا فمن كان على يقين من أنّ مكر الله تبارك وتعالى هو الغالب على أمره، وأنّه يستحيل أن يغلِب مكرُ البشر مكرَ الله عزّ وجلّ، لا يستطيع مطلقاً الاعتقاد بأنّ اليهود استطاعوا بمكرهم أن يطفئوا نور الله وأن يوقفوا ويُعطّلوا دعوة المسيح عليه السلام من متابعة دعوته، في ذلك الوقت، بقوّة مكرهم الذي حقّق لهم هدفهم في نفيه من الأرض، وذلك بأنْ رَفَعه الله سبحانه وتعالى إلى السماء. بل الحقيقة هي أنّ اللهُ العظيم قد خيَّب، بمكره المعجِز، مكرَ اليهودَ؛ وحَفِظ عبدَه المسيحَ من القتل كي يُتِمَّ دعوتَه وينشر نورَه، كما أراد هو تبارك وتعالى، فأبقاه في الأرض حيّاً حتى أتمّ دعوته، وبلّغ رسالته؛ ثمّ توفّاه فمات ودُفن في الأرض كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ودُفنَ في الأرض أُسوة بجميع الأنبياء والرّسل، وما كان بدعاً من أحد منهم.

أمّا عن الشكل الذي تمّ فيه مكر الله باليهود لإنقاذ نبيّه ودعوته، فسنذكره بعون الله تعالى في مكانه من هذا الكتاب——والله وليّ التّوفيق.

* المسألة السادسة ..

قول ربنا تبارك وتعالى:

{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} **آل عمران 56**

* تمهيد ..

بعد أنّ ضلّ اليهود وفسدت عقيدتُهم وضاع إيمانهم وتَمَلّك حبُّ الدّنيا قلوبهم، أرسلَ الله إليهم المسيحَ عيسى بن مريم رسولاً مُصلِحاً ومُجدّداً ليُصلِح لهم دينهم ويُعيدهم إلى الفهم الصّحيح لشريعة موسى عليه السّلام، وليملأ قلوبهم بالإيمان. ولأنّ اليهود كانوا قد طال عليهم الأمد فَقَست قلوبُهم رفضوا المسيحَ عليه السّلام وكذّبوا دعوته واتّهموه بالكفر والضلال. ومع ذلك فقد اعتبره علماءُ اليهود وأحبارهم خطراً كبيراً على دولتهم وسلطانهم بين النّاس بسبب ما كان يُعلنه من تعاليم ومفاهيم روحانية جديدة تشدّ النّاس إليه وتجعلهم يقبلون دعوته ويدخلون فيها راجين سُبُل الهداية إلى الله عزّ وجلّ. لذلك مَكَرَ أشياخُ اليهود وأحبارُهم ودبَّروا لقتل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليخلصوا من دعوة الحقّ كي يعود إليهم سلطانهم ونفوذهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى مكرهم هذا بقول الله تعالى: {وَمَكَرُوا

وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}، كما بيّنا آنفاً.

لاشكّ في أنّ أشياخ اليهود قد سعوا بمكرهم إلى قتل المسيح عيسى بن مريم؛ ولكنّهم، لِخبثهم، لم يكونوا يريدون أيَّ قتل، بل أرادوا قتله **على الصّليب** حصراً. وهنا يبرز السؤال:

لماذا؟

وماذا في قتل المسيح على الصّليب دون قتله بأيّةِ وسيلة أخرى؟

نجد الجواب في الكتاب المقدّس!

لقد أراد علماءُ اليهود وأحبارُهم استغلالَ عقيدة قومهم في توراة موسى ليصرفوهم عن تصديق المسيح وذلك بمكرهم للبرهان لهم أنّه لم يكن نبيّاً ولا رسولاً، بل كان كاذباً وملعوناً. فكيف كان يمكنهم فعل ذلك؟

بقتله على الصليب!

وكيف يكون ذلك؟

تقول توراة موسى عليه السلام:

{«وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ * فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، **لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ**}. (اَلتَّثْنِيَة 21 : 22-23)

وليس ثمّة خطية حقّها الموت أكبر من أن يزعم أحدٌ أنّه نبيّ وهو ليس

نبيّاً، بل مجرّد حالمٍ يجب قتله، نقرأ في سفر التثنية حُكم التوراة:

{ذلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ ذلِكَ الْحُلْمَ **يُقْتَلُ**}. (اَلتَّثْنِيَة 13 : 5)

ونقرأ بيان الله في الكتاب المقدّس:

{وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ}. (اَلتَّثْنِيَة 18 : 20)

وهكذا وَجد أشياخُ اليهود فرصتَهم!

فلو تمكّنوا من قتل المسيح على الصّليب لَبرهنوا بذلك لأتباعهم وعامّة قومهم على أنّ المسيح لم يكن نبيّاً من عند الله، بل كان كاذباً ببرهان أنّهم قد تمكّنوا من قتله على الصليب، لأنّ الذي يموت معلّقاً على الصليب يكون—بحسب عقيدتهم—ملعوناً من الله.

كان هذا مكرهم!

وكان له هدفان رئيسان:

1. أن يموت المسيح مقتولاً، فمكروا لقتله.

2. أن يتمّ قتلُه على الصّليب ليتمّ البرهان على أنّه كان ملعوناً من الله وكاذباً ووضيعاً، وليس ذا مقام رفيع عند الله عزّ وجلّ، كما يكون النبيّون دائماً.

ولذلك فقد نزل على عيسى وحيُ الله وبشارته، بقول الله، يا عيسى:

1. {**إنّي** متوفّيك}ـــــأي لن يقتلك أحد.

2. {ورافعك إليّ}ـــــأي أنني سأرفع لك مقامك فأجعلك{وجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}، ولن يتمكّن أشياخُ اليهود من قتلك وإقناع النّاس أنّك ملعون ومُبعدٌ من الله.

* والآن إليكم الحكاية من أوّلها..

يُخبرنا اللهُ في قرآنه العظيم قصّةَ بشارته التي أنزلها على عبده المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقول:

{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى **إِنِّي** مُتَوَفِّيكَ **وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} آل عمران 56

بهذه الآية الكريمة يحتجّ عامّة المسلمين وعلماؤهم بأنّ الله سبحانه وتعالى قد رفع عيسى إلى السماء، وأنه لا يزال هناك حيّاً باقياً حتى يُنزِله منها في آخر الزمان قرب السّاعة. ويزعمون أنّ علماء المسلمين قد أجمعوا على هذه العقيدة، في حين أنّك تقرأ في مصادر عديدة من كتب التفسير وشروح الأحاديث قولَ أئمة الباحثين بأنّ المسلمين قد **اختلفوا** في موت عيسى ولم يُجمعوا عليه.

* بطلان دعوى الإجماع ..

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه الشهير (فتح الباري في شرح البخاري):

".. وقد اختُلِف في موت عيسى عليه السلام.."[1] ولاشكّ في أنّ الاختلاف يُناقض ويُبطِل دعوى الإجماع.

ويقول:

"واختُلف في عمره حين رُفع فقيل ابن ثلاث وثلاثين وقيل مائة وعشرين."[2]

ونقرأ في مختصر تفسير ابن كثير تأكيداً على اختلاف المفسرين في معنى قوله تعالى {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}، حيث يقول:

"**اختلف** المفسرون في قوله تعالى:{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}"[3]. ويشير قولُه "**اختلف المفسرون**" إلى أنه ليس من الصحيح الزعم بأنّ المفسرين قد أجمعوا على تفسير الآية المذكورة، إذ إنّ القول: "**اختلف المفسرون**" لا يمكن أن يعني: "أجمع المفسرون" كما لا يخفى كل ذي منطق سليم.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس

---

[1] – راجع ذلك في شرحه لقوله تعالى (وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ..) آل عمران 56

[2] – المرجع السابق؛ و سنبحث في مسألة أنّ المسيح قد وصل إلى 120 سنة من عمره في المكان المناسب من هذا الكتاب.

[3] – انظر تفسير هذه الآية في المرجع المذكور.

في قوله {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} يقول: 'إنّي مُميتك.'

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي نقرأ:

"روى ابن طلحة عن ابن عباس معنى متوفيك: 'مميتك'"

كما نقرأ في المرجع ذاته:

*خرّج مسلم عن ابن عباس (قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال: ... ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** فأقول كما قال العبد الصالح: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذّبْهُمْ فَإِنّهُمْ عِبادُكَ وإن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، قال: فيقال لي إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم). الجامع لأحكام القرآن—القرطبي

وجاء تفسير النّص كما يلي:

"قوله تعالى: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} أي حفيظا بما أمرتهم. {مَا دُمْتُ فِيهِمْ}: {ما} في موضع نصب أي وقت دوامي فيهم. {فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ} قيل: هذا يدل على أنّ الله عز وجل توفّاه قبل أن يرفعه..."

*وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي نقرأ:

(أخرج إسحق بن بشر وابن عساكر عن الحسن قال: لم يكن نبي كانت العجائب في زمانه أكثر من عيسى إلى أن رفعه الله، وكان من سبب رفعه أنّ .. ملك بني إسرائيل هو الذي بعث في طلبه ليقتله، وكان الله أنزل عليه الإنجيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة[1]، ورُفع وهو ابن أربع وثلاثين سنة من ميلاده. فأوحى الله إليه {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني: ومخلّصك من اليهود فلا يصلون إلى قتلك.)

*وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن وهب قال:

(تَوفّى اللهُ عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه.)

وأخرج ابن عساكر عن وهب قال:

(أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ورفعه.)

وأخرج الحاكم عن وهب أنّ الله:

(توفى عيسى سبع ساعات ثم أحياه..) المرجع السابق

وورد توفّي المسيح بهذا المعنى في صحيح البخاري مرويّاً عن ابن عبّاس كما ذكرنا. وكذلك ورد المعنى ذاته عن محمد بن اسحق، وقد تمسّك ابن حزم بهذا المعنى وقال بموته، وذهب إلى ذلك أيضاً الإمام مالك والرّبيع بن أنس. /راجع الجزء الأوّل من (مجمع البحار)/ وقد جاءت هذه التفسيرات أيضاً في المجلّد الثامن الصفحة 74 من التفسير الكبير للإمام فخر الرّازي، وقد ذُكِر

[1] – هذا رأي صاحب النّص وليس رأينا.

أنّ الإمام أبو حنيفة لم يُخالف الإمام مالك في هذا الرّأي—**فأين الإجماع المزعوم إذاً؟**

ومن الجدير بالذّكر أنّ كلمة التّوفّي قد وردت في القرآن الكريم 25 مرّة كلّها بمعنى الإماته إلاّ تلك التي وردت مع قرينة النّوم. ومن المعلوم جيّداً أنّ هذا هو المعنى اللغويّ الصحيح في جميع معاجم اللغة العربية. ومن المشهور أنّ القاعدة التفسيرية تقول: "يظلُّ المطلَق على إطلاقه إلاّ إذا جاء مقيَّداً بقرينةٍ تصرفه عن معناه المطلق."

ومن الواضح هنا أنّ لفظة {**متوفّيك**} في الآية الكريمة قيد البحث قد جاءت مُطلَقة، ولذلك فهي لا يُمكن أن تعني إلاّ (**مُميتك**) كما قال ابن عبّاس وغيره من كبار الأئمّة رضي الله عنهم.

* معنى {متوفّيك} من معاجم اللغة العربية ..

نقرأ في معاجم اللغة العربية أنّه "إذا كان المتوفِّي هو اللهُ تعالى، والمتوفَّى ذا روح، فلا يكون التوفّي عندئذ **إلاّ الموت**." (لسان العرب)، ونقرأ:

"**توفّى اللهُ فُلاناً: أي قبضَ روحه.**" (أقرب الموارد)

"**توفّاه الله: أي قبضَ روحه.**" (القاموس المحيط)

"**توفّاه الله: إذا قبض نفْسه.**" (لسان العرب)

"**توفّاه اللهُ: أماته .. توُفِّي فُلانٌ: قُبِضتْ روحه ومات.**" (المنجد)

وهكذا يتبيّن لنا أنّ القول بوفاة المسيح عليه السلام ليس قولاً جديداً ولا مُبتدَعاً ولا مستغرباً، بل هو الأصل الذي ذهب إليه كبار الأئمّة، وهو المعنى الذي يدعمه القرآن الكريم وأحاديث خاتم النبيين صلّى الله عليه وآله وسلم وإجماع الصّحابة الكرام رِضوان الله تعالى عليهم.

* وقفة تفكّر في بشارة الله لعيسى: {ورافِعُكَ إِلَيَّ}

يقول ربُّنا عزّ وجلّ في كتابه المجيد:

{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (يونس 25)

على ضوءِ اعتقاد العامّة بأنّ الله تعالى قد رفع عيسى إلى السّماء حيّاً بجسده المادّي، يحقّ للمتفكّر في آيات الله أن يسأل:

عندما بشّر اللهُ عيسى بقوله {ورافعك إليّ}، هل كان الله في السّماء ولم يكن في الأرض؟

وأين كانت السماء بالنسبة إلى عيسى عندما رفعه الله؟

هل كانت فوق؟

أم كانت تحت؟

وكم كانت المسافة بين عيسى وبين الله عندما رفعه إليه؟

وماذا كان يوجد في هذه المسافة بين الله وبين عيسى؟

يقول ربُّنا عزّ وجلّ في كتابه المجيد: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} (الحديد 5)

فهل كان الله مع عيسى قبل أن يرفعه إليه أم لم يكن معه؟

وإذا كان عيسى في الأرض، فأين كان الله؟

هل كان الله فوق السماء وكانت السماء تحدّه من تحته فصعد عيسى مرتفعاً إليها ثمّ اخترقها وبقي عليها عند الله؟

أم كان اللهُ فوق السماء وتحت السماء وعلى الأرض وفي كلّ مكان؟

وإذا كان الله في كلّ مكان فكيف ارتفع عيسى وإلى أين ارتفع؟

ولاشكّ في أنّ ثمّة الكثير والكثير من الأسئلة التي يمليها العقل على قوم يعقلون، والتفكّر على الذين يتفكّرون، كما أمَرَنا ربُّنا تبارك وتعالى وإنّ {شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ} (الأنْفال 23)

{ويَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ} (يونس 101)

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ **لا يَعْقِلُونَ**} (العنكبوت 64)

و{وإنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً **لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} (النحل 68)

وكذلك قال ربّنا عزّ وجلّ:

{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ **لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} (يونس 25)

عاملين بقول ربّنا لقوم يعقلون ويتفكّرون نُتابع بحثنا، ونبدأ بالبيان اللغويّ

لمعنى الرّفع.

* من معجم لسان العرب نعلم ما يلي:

"**رَفَعَ**: في أَسْماء الله تعالى الرافِعُ: هو الذي يَرْفَعُ المؤْمن **بالإِسعاد** وأَولياءَه **بالتقْرِيب**. **والرَّفْعُ: ضدّ الوَضْع**، رَفَعْته فارْتَفَع فهو نَقيض الخَفْض في كل شيء .. وقوله تعالى في صفة القيامة: {خافِضةٌ رافِعة}؛ قال الزجاج: المعنى أَنها تَخْفِض أَهل المعاصي **وتَرْفَع أَهل الطاعة**. وفي الحديث: إِنّ اللهَ تعالى **يَرفع العَدْلَ** ويَخْفِضُه؛ قال الأَزهري: معناه أَنه **يرفع القِسط** وهو العَدل فيُعْلِيه على الجَوْرِ وأَهله، ومرة يخْفِضه فيُظهر أَهلَ الجور على أَهل العدل ابْتلاءً لخلقه، وهذا في الدنيا والعاقبةُ للمتقين.

ويقال: ارْتَفَعَ الشيءُ ارْتِفاعاً بنفسه إِذا عَلا ..

وفي التنزيل: **وفُرُشٍ مَرْفوعة**؛ أَي **مُقَرَّبةٍ لهم**، ومن ذلك رَفَعْتُه إِلى السلطان ..

ويقال: **نساء مَرْفُوعات أَي مُكَرَّمات** من قولك **إِن الله يَرْفَع من يَشاء ويَخْفِضُ**.

ورفَعه إِلى الحَكَمِ رَفْعاً ورُفْعاناً ورِفْعاناً: **قرّبه منه وقَدَّمه** إِليه ليُحاكِمَه .. **ورَفَعْتُ قِصَّتي: قَدَّمْتُها .. ارْتَفَع الشيء: أَي تقدَّم، وليس هو من الارْتِفاعِ الذي هو بمعنى العُلُوّ ..**

والرِّفْعة: نقيض الذِّلّة. والرِّفْعة: خلاف الضّعة، رَفُع يَرْفُع رَفاعة، فهو رَفيع **إذا شَرُف** ..

وقوله تعالى: في **بيوت أَذِنَ الله أَن تُرْفَع**؛ قال الزجاج: قال الحسن تأْويل **أَن تُرفع أَنْ تُعَظَّم**؛ قال: وقيل **معناه أَن تُبْنَى**، كذا جاء في التفسير ..

وقال غيره: رَفُعَ رِفْعة **أَي ارْتَفَعَ قَدْرُه** .."

بعد هذا البيان اللغوي المبين نستطيع متابعة التفكّر لفهم معنى قوله تعالى {وَرَافِعُكَ إِلَيّ}

قبل كلّ شيء، يجب الملاحظة أننا لا نجد أيّ ذِكرٍ للسماء في هذه الآية، والحقيقة هي ذاتُها في جميع الآيات التي ذُكر فيها الرّفع إذ ليس فيها ذِكر للسماء على الإطلاق، وكذلك لم يثبت من الأحاديث الشريفة أيّ ذِكر للسماء في هذا الصدد. وهذا أكيد ومُثبَت علينا الانتباه له.

وتأكيداً لهذا البيان نستأنس بذكر بعض الوثائق التي من شأنها أن تفيدنا في تَبَيُّن حقيقة هذا الموضوع الذي إنْ لم نُنقِذ نحن المسلمين أنفسَنا من ضلالته الماحقة فلن تقوم حياةٌ لديننا وإيماننا الحقّ المبين.

في كتاب (قصص الأنبياء) للأستاذ عبد الوهاب النجّار نقرأ:

"وأمّا صعوده (أي عيسى) إلى السّماء فلا يوجد فيه نصّ قاطع الثّبوت والدلالة، ولا حجّة للجمهور في القول بأنّه رُفِع إلى السماء، وذلك لأنّه لا يوجد ذِكر للسماء بإزاء قوله تعالى:{ورافعك إليّ}. وكلّ ما تدلّ عليه هذه

الآية أنّ الله مُبعِده عنهم إلى مكان لا سُلطة لهم فيه، وإنّما السلطان فيه ظاهراً وباطناً لله تعالى: فقوله {إليّ} لا يدلّ على السّماء نصّاً، بل هو كقول إبراهيم عليه السّلام:{إنيُ مُهاجر إلى ربّي} (العنكبوت 26)، إذ ليس معناه إنّي مهاجر إلى السماء."

ونُضيف هنا قول إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم:

{إنّي **ذاهب إلى** ربّي} الصافّات 99

فهل هذا يعني أنّ إبراهيم عليه السلام قد ترك قومَه وذهب إلى السّماء؟

ويرفض الإمام فخر الرّازي في تفسيره الكبير التأويل الخاطئ القائل بالرّفع إلى السماء وذلك في سياق عرضه لما قاله المفسّرون، فقال:

".. والمشبّهة يتمسّكون بهذه الآية في إثبات المكان لله تعالى وأنّه في السّماء. وقد دلّلنا في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدّلائل القاطعة على أنّه يمتنع كونه تعالى في المكان، **فوجب حمل اللفظ (الرّفع) على التأويل**، وهو على وجوه:

أنّ **المُراد 'إلى محلّ كرامتي'**، وجَعَل ذلك **رفعاً إليه للتفخيم والتّعظيم**؛ ومثله قوله تعالى:{إنّي ذاهب **إلى ربّي**}، وإنّما ذهبَ إبراهيم عليه السّلام **من العراق إلى الشّام**. وقد يقول السّلطان: **ارفعوا** هذا الأمر **إلى القاضي**، وقد يُسمّى الحُجّاج **زوّار الله**، ويُسمّى المجاوِرون **جيران الله**، والمراد من كلّ ذلك التّفخيم والتّعظيم، فهكذا هنا." التفسير الكبير، الجزء الثامن ص 76

وجاء في التفسير ذاته قولُ الإمام الرّازي:

"من صفات عيسى قول الله عنه: {ومُطهِّرك مِنَ الّذين كَفَروا}. **والمعنى مُخرِجك من بينهم.** وكما **عظّم شأنه بلفظ الرّفع إليه،** أخبر عن **معنى التّخليص بلفظ التّطهير؛ وكلّ ذلك يدلّ على المبالغة في إعلاء شأنه وتعظيم منصبه عند الله.**" أي لا يعني الرّفع بالمعنى الحرفي.

وهكذا نعلم أنّ قول ربّنا عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام {وَرَافِعُكَ **إِلَيّ**} لا يعني مُطلقاً الرّفع إلى الله بالمعنى المادّي، كما أنّه لا يعني الرّفع من الأرض إلى السّماء أو إلى مكان ما من ملكوت الله عزّ وجلّ، كما جاء في كتاب فضيلة الشيخ المرحوم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (كُبرى اليقينيات الكونية) الطبعة الثامنة 1402هـ، إذ يقول في الصّفحة 322 تحت عنوان نزول عيسى:

"ومعنى نزوله، أنّه يهبط إلى الأرض بعد احتجابه عنها كلّ هذه الحقبة الطّويلة من الدّهر، **في مكان ما من ملكوت الله** عزّ وجلّ، **وهو لا يزال يتمتّع بحياته الأولى** التي أحياه الله بها إذ كان في الأرض رسولاً ونبيّاً.."

ويؤكّد الدكتور المرحوم في الصفحة 325 من كتابه أنّ عيسى في السماء وأنّه قد رُفع إليها فيقول:

".. إنّ عيسى ابن مريم لدليل على قيام الساعة، وإنّما يكون ذلك **بنزوله من السّماء** حكماً مُقسِطاً عادِلاً .."

وأعتقد هنا أنّ من الخطأ فَهْمُ نزول عيسى بأنّه نزول منّ السّماء[1] بل لابدّ من الأخذ بحقيقة معاني النّزول المناسِبة التي تُخبرنا عنها معاجم اللغة العربية كما يلي:

"نَزَلَ: **النُّزُول: الحلول**، وقد نَزَلَهم ونَزَل عليهم ونَزَل بهم **يَنْزل نُزُولاً** ومَنْزَلاً ومَنْزِلاً.

والنَّزِيلُ: الضّيف؛ وقال: **نَزِيلُ القومِ أَعظمُهم حُقوقاً**، وحَقُّ اللهِ في حَقِّ النَّزِيلِ، وقال سيبويه: رجل نَزيل **نازِل. والنُّزُل أَي الضيافة**. وقال الزجّاج في قوله: أَذَلكَ **خيرٌ نُزُلاً** أَم شجرة الزَّقُّوم؛ يقول: أَذلك خير في باب الأَنْزال التي يُتَقَوَّت بها وتمكِن معها الإِقامة أَم **نُزُل أَهلِ النار**؟

والنُّزْل ما يهيَّأُ للنَّزِيل وفي الحديث: اللهم إِني أَسأَلك **نُزْلَ الشهداء**؛ النُّزُل في الأَصل: قِرَى الضيف وتُضَمّ زايُه، يريد ما للشهداء عند الله من الأَجر والثواب؛ ومنه حديث الدعاء للميت: وأَكرِم نُزُله. والمُنْزَلُ: الإِنْزال، تقول: أَ **نْزِلْني** مُنْزَلاً مُباركاً. والمنْزِل والمنْزِلة: موضع النُّزول. وحكى اللحياني مَنْزِلُنا بموضع كذا، قال: أُراه يعني موضع نُزولنا. وفي حديث ميراث الجدِّ: أَن أَبا

[1] – وكذلك أخطأ علماء اليهود وأحبارهم الذين كذّبوا المسيح لأنّهم كانوا ينتظرون نزول النّبيّ إيليّا الذي كانوا يعتقدون أنّه قد رفع إلى السماء، حيث نقرأ في الكتاب المقدّس لديهم **إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ**. (اَلْمُلُوكِ الثَّانِي 2 : 11). ولهذا كانوا ينتظرون نزوله من السماء قبل مجيء المسيح؛ ولكن عندما جاءهم المسيح دَحَضَ هذه العقيدة الخرافية القائلة بإمكانية أن يُرفع أحد إلى السّماء فقال: **وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ**. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 3 : 13). وهكذا يتبيّن أنّ هذه العقيدة الخرافية هي من الإسرائيليات التي تسعى إلى تعظيم مكانة عيسى على حساب مكانة سيّدنا خاتم النّبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

بكر أَنزله أَباً **أَي جعل الجدَّ في منزلة الأَب** وأَعطاه نصيبَه من الميراث. **والنازِلة: الشديدة تنزِل بالقوم**، وجمعها النَّوازِل. المحكم: **والنازِلة الشدَّة من شدائد الدهر تنزل بالناس**، نسأَل الله العافية. وفي التهذيب: يقال **تنزَّلَت الرحمة**. المحكم: نزَلَتْ عليهم الرحمة ونزَل عليهم العذاب كِلاهما على المثل. **ونزَل به الأَمر: حلَّ**."

وإذا ما أردنا الاستئناس بما بيَّن لنا اللهُ في كتابه عن معنى النّزول فإننا نجد من القرآن الكريم أنّ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله قد نَزَلَ من عند الله، حيث نقرأ:

{قَدْ **أَنْزَلَ** اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا*رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ} الطّلاق 11-12

نجد من هذه الآية الكريمة أنّ الله عزّ وجلّ قد أنْزَل إلينا الرسول الكريم محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم، من عنده—**فهل أنزله من السّماء؟**

بل إنّ لفظة {**أَنْزَل**} هنا تدلّ على كون الرسول الكريم نعمةً عظيمة وفضلاً ورحمة من الله تعالى.

ونجد مصداق ذلك في بيان أهميّة معدن الحديد من حيث كونه نعمة عظيمة من الله إذ يقول:

{**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ** فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} (الحديد 26)

فهل نزل الحديد من السّماء؟

ونجد بياناً من الله عن الأنعام باعتبارها نعمة عظيمة منه على خلقه، وذلك بقوله:

{**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ** ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} (الزمر 7)

فهل أنزل اللهُ الأنعام علينا من السّماء؟

فإذا ما تفكّرنا بهذا كلّه نجد أنّ نزول المسيح يعني أنّه نعمة ورحمة من الله للمؤمنين، ونازلة شديدة على الكافرين، وأنّه سينزل عند مجيئه موضع تكريم في العالمين وسيحلّ مكرّماً من الله ومن أتباعه المؤمنين إلى أن يبلِّغ دعوته التي ستكون رحمة للعالمين باعتباره يدعو إلى دين محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه سيكون من أتباعه المسلمين ويمشي على قدمه.

وهكذا فهو لا يهبط على الأرض من مكان ما في ملكوت الله، ولا ينزل من السّماء كالغزاة من الفضاء والكواكب الأخرى، كما في أفلام الخيال العلمي؛ بل يكون مجدِّداً مبعوثاً من أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، يُنزله الله مُنزلاً كريماً، يرحم به عباده المؤمنين، ويكون نازلة شديدة على كُفر الكافرين بما يأتي به من بيان ربّ العالمين الذي يدمغُ به الباطلَ، ويصعقُ به الضّلالَ، ويُقوِّض به كُفرَ الكافرين وإلحاد الملحدين، ويُبدّد تُهَم المفترين ودجلَ الدّجالين.

وردّاً على ادّعاء البعض أنّ في هذه الآية تقديما وتأخيرا، بمعنى أنّ المراد منها هو:(رافِعُكَ وَمُتَوفّيكَ) ، يقول الإمام الرّازي:

"**إنّ على هذا التقدير يختلّ النّظم**، ويقع فيه تقديم وتأخير **لا يليق بكلام الفصحاء**."

ونقدّم برهاناً آخر على عدم ورود تقديم وتأخير أَورده أبو القاسم راغب الأصفهاني في (المفردات) لدى تفسيره لقول الله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (القصص 51)، قال: "أي أكثرنا لهم القول **موصولاً** ببعض."

وورد في الحديث عن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه: "(كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون. ثم رجع إلى الركن فاستلمه. ثم خرج من الباب إلى الصفا. فلما دنا من الصفا قرأ: {إن الصفا والمروة من شعائر الله} "**أَبدأ بما بدأ الله به**"، فبدأ بالصفا. فرقيَ عليه. حتى رأى البيت فاستقبل القبلة**!**) صحيح مسلم

وكذلك جاء في جامع الترمذي قولُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: (**نبدأ بما بدأ الله به**).

فإذا كان سيّدنا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد بيّن لنا أنّه لا يُخالِف ترتيب الله في كتابه، فكيف نستطيع موافقة من يجرؤ على مخالفة الترتيب الذي أورده ربُّنا تبارك وتعالى في آياته الكريمة، فنُخالف بذلك أيضاً هَدْيَ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

وإتماماً للبرهان يفيدنا أن نذكر فيما يلي آيات بيّنات من كتاب الله تعالى

تُبيّن حقيقة معنى لفظة (الرّفع) في مواضع مختلفة من القرآن الكريم لعلّنا نستفيد منها. يقول تعالى:

{**يَرْفَعِ** اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (المجادلة 12)

فهل هذه الدرجات هي سلّم في السّماء؟

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ **تُرْفَعَ**} (النور 37)

وهل هذه البيوتُ تُرفع إلى السّماء؟

{وَلَوْ شِئْنَا **لَرَفَعْنَاهُ** بِهَا} (الأعراف 177)

رفعناه إلى أين؟ السّماء؟

{وَإِذْ **يَرْفَعُ** إِبْرَاهِيمُ **الْقَوَاعِدَ** مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ} (البقرة 128)

لقد بَنى إبراهيمُ القواعد من البيت كما يُبنى كلّ بناء، ولم يرفعها إلى السّماء.

{مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ** دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (البقرة 254)

وورد في الصّحيح عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الكثير مما يؤدّي هذا المعنى أيضاً، مثلاً:

(إنّ الله **يرفع** بهذا الكتاب أقواماً **ويضع** به آخرين.)

مسلم وابن ماجة عن عمر.

فها أقوام بكاملها يرفعُها الله.

وكذلك نعلمُ بيان سيّدنا خاتم النّبيين، حيث قال:

(ما **تواضع** أحدٌ لله إلاّ **رفعه.**) مسلم والترمذي عن أبي هريرة

وحتّى أنتَ إذا أحببتَ أن يرفعك اللهُ؛ تواضع له يرفعك.

حيث جاء في الدّعاء المأثور الذي يرفعه كلّ مسلم في صلاته فيقول:

(ربّ اغفر لي وارحمني واجبُرني **وارفعني.**) ابن ماجة

وهذا رجاءُ كلّ مؤمن بالله: أن يرفعه الله.

ولمن يبتغي الاستزادة ننقل رأياً معاصراً أورده صاحب تفسير (في ظلال القرآن) الذي في الجزء السابع ص 1001 يقول:

"وظاهر النصوص القرآنية يُفيد أنّ الله قد تَوفّى عيسى بن مريم ثم رفعه إليه. وبعض الآثار تُفيد أنّه حيّ عند الله. وليس هنالك—فيما أرى—أيّ تعارض يُثير أيّ استشكال بين أن **يكون اللهُ قد توفّاه من حياة الأرض** وأن يكون حيّاً عنده. **فالشّهداء كذلك يموتون في الأرض وهم أحياء عند الله.** أمّا صورة حياتهم عنده فنحن لا ندري لها كيفاً. وكذلك صورة حياة عيسى عليه السّلام، وهو يقول هنا إنني لا أدري ماذا كان منهم بعد وفاتي."

ولقد ذَكَرَ المرحوم الدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (كبرى اليقينيات الكونية) رفْضَ بعض الباحثين من علماء المسلمين أن

يكون المسيح قد رُفِع إلى السّماء، فقال في الصّفحة 327-328 من الطّبعة الثامنة ما يلي:

"المسألة الأولى: أنّ بعض الكاتبين من تلامذة مدرسة الشيخ محمد عبده أنكروا أن يكون عيسى بن مريم عليه الصّلاة والسّلام قد رُفِع بجسمه إلى السّماء، قالوا: إنّما هو ارتفاع الرّوح والدّرجة، ومن ثمّ فإنّهم أنكروا نزوله إلى الأرض أيضاً قرب قيام السّاعة. وقد كتب في ذلك الشّيخ محمود شلتوت[1] مقالاً في مجلّة (الرّسالة) عدد 462 أعقبه بمقالات أخرى في نفس المبحث؛ وكان الذي انتهى إليه في مقالاته تلك، هو تأويل الآيات الواردة، والإعراض عن الأحاديث الكثيرة الثابتة، زاعماً أنّها أحاديث آحاد لا يصحّ أن يُقام عليها الاعتِقاد!"

ثم يستأنف الدكتور البوطي الرّد على ما أسماه "الاضطراب والتخبّط الأعمى" فيقول:

"بيد أنّ كلاًّ من الاضطراب والتخبط الأعمى اللذين لا يبالي أن يقع فيهما دعاة تلك المدرسة وأتباعها، يتمثّل في محاولة التوفيق والجمع بين التمسك بالإسلام والتمسّك بإنكار الخوارق والمعجزات.."

ثمّ يتابع الدكتور قائلاً:

"فهذا التخبط في محاولة التوفيق، هو الذي جعل واحداً **مثل الشّيخ**

---

[1] – وهو المرحوم إمام الأزهر سابقاً الملقّب بالإمام الأكبر كما هو معلوم. (الـ شرح من المؤلّف ولم يرد في كتاب الدكتور البوطي.)

شلتوت لا يُبالي أن يُكذِّب سبعين حديثاً، وأن يُخطِّئ عامّة المفسرين لكتاب الله منذ عصر الصّحابة إلى بزوغ مدرسة أستاذه—في سبيل أن تسلم له عقيدة إنكار الخوارق والمعجزات."

وهكذا فقد أكّد الدكتور المرحوم إنكارَ إمام الأزهر السابق، الإمام الأكبر محمود شلتوت، والإمام محمد عبده لِعقيدة رَفْعِ المسيح إلى السّماء ونزوله منها. وإذا ما تذكّرنا ما أوردناه في هذا الكتاب من إنكار عدد من علماء السّلف الصّالح يتأكّد لنا من جديد بُطلان القول بالإجماع على بقاء عيسى حيّاً وعلى رفعه إلى السّماء.

هذا وإنّ من الواضح للباحث المحقِّق في آيات القرآن العظيم وأحاديث سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يملك إلاّ أن يوافِق العلماء والمفسّرين الذين رفضوا الخُرافة القائلة بأنّ عيسى رُفع إلى السماء وأنّه لا يزال حيّاً خالداً في السّماء—أو مكان ما من ملكوت الله[1]—حتى الآن!

واستنارةً بالمزيد من البيان القرآني العظيم في معنى قوله تعالى {متوفّيك} نورد الآيات القرآنية التالية:

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} (الزمر 43)

هذا هو التعريف القرآني الفصل في معنى الوفاة عند الله تعالى. فلو سأل سائلٌ: 'متى يَتوفّى اللهُ الأنفُسَ؟' نستطيع إجابته بقول الله تعالى: {حينَ

[1] – على ما يقول الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه الشهير (كبرى القينيات الكونية).

مَوتِها}، إلاّ أن تكون وفاةَ النوم التي يشترك فيها خلقُ الله جميعاً، ولا خصوصية فيها لعيسى بن مريم. ونتعلّم من كتاب الله المزيد، إذ يقول:

{**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا** وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ} (الأنعام 62)

{فَكَيْفَ إِذَا **تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ** يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} (محمد 28)

{حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ **رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ** قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (الأعراف 38)

{وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي **يَتَوَفَّاكُمْ**} (يونس 105)

{رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا **وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**} (الأعراف 127)

{**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا** وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} (يوسف 102)

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ **ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ** وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} (النحل 71)

{**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي** كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المائدة 118)

{**إِذْ** قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى **إِنِّي** مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (آل عمران 56)

وبالرّغم من جميع هذه البيانات الملزمة نجد إصراراً عجيباً من بعض السّادة من العلماء الأفاضل على أنّ تَوفّي الله عيسى كان بمعنى أَخْذه وقبْضه واستيفائه بلحمه ودمه بشكل كامل، وأنّه قد أبقاه الله في السّماء "وهو لا

يزال يتمتّع بحياته الأولى التي أحياه الله بها إذ كان في الأرض رسولاً ونبيّاً."[1]

ونعمد الآن إلى بحث مسألة قرآنية جديدة، وعلى الله قصد السبيل.

* المسألة السّابعة ..

قول ربنا تبارك وتعالى:

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا} (الزخرف 62)

يدَّعي كثيرٌ من الناس والعلماء أنّ هذه الآية الكريمة تؤكِّد على أنّ عيسى عليه السلام لا يزال حياً باقياً في السماء، وأنه سينزل منها قبل يوم القيامة ليكون دليلاً على قيام السّاعة، وذلك بدليل قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا}. ونقرأ مثالاً على هذا الاعتقاد في ما أورده صاحب كتاب (كُبرى اليقينيات الكونية)، إذ يقول:

"والمعنى إنّ عيسى بن مريم لدليل على قيام السّاعة، وإنّما يكون ذلك بنزوله **من السّماء** حَكَماً مُقسطاً عادلاً، وتدل له القراءة السبعية الأخرى:{وإنّه لَعَلَمٌ لِلسّاعة}، أي إشارة ورمز لها. **ولا ينبغي أن يكون**

[1] – انظر (كبرى اليقينيات الكونية) ط 8 ص 322، 325.

للآية أيّ معنى غير هذا[1]." ط 8 ص 325

مع احترامنا لفهم فضيلة المؤلّف المذكور والآخذين بفهمه، فإنّ من المفيد أن نتحقّق معاً من هذا الفهم لنستيقن عمّا إذا كنّا نستطيع أن نأخذ به أو أنّ ثمّة بيانا آخر يمكن أن يكون هو الحقّ الذي من عند الله.

ونبدأ تحقيقنا بضرب المثل التالي:

'لو أن شخصاً ما قال لقوم في زمن قديم إنّ طوفاناً سيغمر الأرض في نهاية فترة زمنية معيّنة، وأنَّ على الناس تصديقه، فسألوه أن يأتي ببرهان يؤكد صحة نبوءته، فأجابهم قائلاً إنّ الدليل على صحة ما يقول هو أنّ أمطاراً غزيرة ستنهمر في نهاية تلك الفترة المقبلة، وينابيع فوّارة ستتفجر من الأرض مما سيؤدي إلى حدوث الطوفان.

لو أنّ ذلك كان برهانه فهل كان أحد سيوافق على صحة ادّعائه؟ وهل يكون قد أقام الحجّة على الناس فيما ادّعى؟

طبعاً لا!

والسبب واضح، وهو أنّه ادّعى نبوءةً مستقبلية لم تتحقّق، وبرهن عليها أيضاً بنبوءة مستقبلية أخرى لم تتحقق بعد. ولذلك فإنّ برهانه سيكون مرفوضاً بسبب عدم قيامه على واقعٍ مُحقَّق.

وهكذا فإنّ القائلين بأنّ هذه الآية الكريمة تبرهن على بقاء المسيح حيّاً

[1] – لماذا!

في السماء، وعلى نزوله من السماء مُستقبَلاً، قبل يوم القيامة، قد سقطوا في هوّة خطأً فادح وهو البرهان على أمرٍ لم يثبت بأمرً آخرَ لم يَثبت بعدُ أيضاً! وإليكم البيان:

نجد في هذه الآية الكريمة أنّ ربنا تبارك وتعالى يطلب حتى (من الذين نزل القرآن في زمنهم) عدم التكذيب بالساعة بقوله:{فَلا تَمْتَرُنَّ بِها} وذلك لأنّه عزّ وجلّ قد قدّم الدليل عليها بقوله:{وإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}.

فبما أنّ هذا الدليل (مجيء المسيح الموعود) ما كان قد ظهر بعد فكيف كان سبحانه يقضي بالتصديق بالسّاعة من غير دليل ولا برهان واقع؟

لا شكّ في أنّنا نؤمن بحكمة وعزّة كلام الله تعالى، ونؤمن أنه يعلو بحجته وبلاغته وبيانه ولا يُعلى على بيانه شيء، ولذلك فلابدّ من أن تكون هذه الآية قد أقامت الدليل الوافي على الساعة المذكورة. ولهذا فقد جاء قولُ ربِّنا تبارك وتعالى في الآية الكريمة:{فَلا تَمْتَرُنَّ بِها} (أي لا تُكذّبوا بها)، كلاماً محكماً بليغاً مُلزِماً بالحجّة والبيان. فكيف تَثبت الحجة؟ وكيف نفهم قولَ ربِّنا تبارك وتعالى:{فَلا تَمْتَرُنَّ بِها}؟

يجب أولاً أن ننتبه هنا إلى أنّ الخطاب في هذه الآية الكريمة إنما هو لليهود الذين كذّبوا بعيسى عليه السلام، وكذلك كذّبوا بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لأنهم كانوا يطمعون أن يكون الرسول منهم، من بني إسرائيل، وليس من بني إسماعيل.

ورداً على هذا الاعتقاد لفتَ القرآنُ الكريم انتباهَ اليهود إلى الإنذار الذي جاء في كتابهم المقدس من الله عزّ و جلّ بأن النبوّة ستُنزع من بني إسرائيل وتنتقل إلى بني إسماعيل، وأنّ مجيء عيسى عليه السلام من غير أب كان دليلاً على مجيء (الساعة)، وهي زمن وساعة هذا الانتقال، إذ أنّ المسيح من حيث الأب لا ينتمي إلى بني إسرائيل لكونه دون أب، وهذا إنذار من الله لليهود بأنّ ساعة انتقال النبوة منهم إلى أمة ثانية قد أَزِفَت، ولذلك فإنّ عليهم أن يُصدِّقوا بالنبي الذي سيأتي من بني إسماعيل عليه السلام، ألا وهو محمد خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم . فقد جاء في سفر التثنية (18:18)، في كتابهم المقدّس، قولُ الله عزّ وجلّ لنبيّه موسى عليه السلام:

{أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا **مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ** مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ}. (اَلتَّثْنِيَة 18 : 18)

وجاء في إنجيل متى على لسان المسيح عليه السلام مصداقاً لهذا الكلام، حيث أنذر قومه، بني إسرائيل، قائلاً:

{لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: **إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ** تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 21 : 43)

وهكذا فقد كان مجيء المسيح عيسى من غير أب، من بني إسرائيل، عَلَماً لساعةِ انتهاء عهد النبوّة في بني إسرائيل، وانتقاله إلى بني إسماعيل. وكان على اليهود أن يصدّقوا بهذه السّاعة وألاّ يمتروا بها، لأنّهم لو كذّبوا بها لفشلوا في تصديق النبيّ الجديد من بني إسماعيل—محمد، خاتم النّبيين، صلى الله

عليه وآله وسلّم.

ومن ناحية أخرى، فقد كان ثمّة بين اليهود، فرقة يُقال لهم (الصديقيون) وكانوا كافرين بالساعة والقيامة وبعثِ الناس، وقد ذَكَرهم مرقس في إنجيله كما يلي:

{وتقدم إليه بعض الصدوقيين **الذين يعتقدون أنّ القيامة لا تكون**، وسألوه..} إنجيل مرقس (12 : 18)

ولذلك فقد بَكَّتَ اللهُ عزّ وجلّ، بهذه الآية، هؤلاء المكذِّبين بالساعة وجعل ولادةَ المسيح من غير أب آيةً إعجازية تُبرهن لهم على قيام الساعة ليؤمنوا بها، ولذلك خاطبهم قائلاً:

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ **فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا**} (الزخرف 62)

أي لا تكذّبوا بها، بل عليكم أن تصدقوا بمجيء الساعة بدليل قيام الحجة عليكم بمجيء المسيح من غير أب—الأمر الذي يبرهن على وجود الله القادر على كلّ شيء وعلى بعث الناس ليوم القيامة.

وهكذا تكون الحجة على اليهود قائمة وثابتة **بكونها قد حصلت وتمّت** وليست بكونها مستقبلية تنتظر الحدوث والتحقق. ومن هذا يتبيّن أنّ مطالبة القرآن الكريم بالتصديق بالساعة {فَلا تَمْتَرُنّ بها} بعد قوله تعالى:{وإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَة} هي بيانٌ راسخ في حجته وبرهانه، ومُلزِمٌ بالإيمان والتصديق.

أما أن يَطلب ربُّنا من المكذّبين بالساعة الإيمانَ بها بتقديم دليل مستقبلي

لم يثبت بعد على أمر مستقبلي لم يثبت بعد، فهذا خطأ في الاستدلال والمنطق وسبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل قد قدَّم ربُّنا الحجةَ الثابتة المِلزِمة مسبقاً، ثم أقامَها دليلاً على الساعة، وله تبارك وتعالى الحجة البالغة—والحمد لله ربّ العالمين.

ثمّة سؤال أخير: على حدّ زعم أنّ نزول المسيح القادم سيكون عِلْمًا للساعة وأنّ على الذين يوجَدون زمن نزوله أن يؤمنوا بالسّاعة بدليل نزوله—فما هو مصير الذين ماتوا ويموتون قبل نزوله؟ هل هم مُعفَون من الإيمان بالساعة قبل أن يروا آية نزول عيسى من السماء؟ أم أنّ عليهم أن يؤمنوا بالساعة حتى لو لم يروا عيسى ينزل من السماء؟

وهنا يخطر سؤال آخر: إذا كان الأمر كذلك فما هي ميزة آية نزول عيسى من السماء؟

أقول ذلك رغم إيماني بنزول المسيح كما بشّر به سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، ولكن ليس بشكل خرافي يتنافى مع العقل والمنطق السليم.

* المسألة الثامنة ..

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (المائدة 117-119)

في كتابه الشهير، (كبرى اليقينيات الكونية)، وتحت عنوان (نزول عيسى ابن مريم)، يقول الشيخ المرحوم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ما يلي:

"وهو (أي نزول عيسى) من أهم أشراط الساعة، ومن أخطر الأحداث التي تكون بين يديها.

ومعنى نزوله، أنّه يهبط إلى الأرض، بعد احتجابه عنها كلّ هذه الحقبة الطويلة من الدّهر، في مكان ما من ملكوت الله عزّ وجلّ، وهو لا يزال

يتمتّع بحياته الأولى التي أحياه الله بها إذ كان في الأرض رسولاً نبيّاً[1].
فيمكث في الأرض مدّة من الزّمن يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية التي بُعث هو والأنبياء كلّهم لإقامتها، ويُنفِّذ الشريعة الإسلامية النّاسخة لجميع الشرائع السابقة والتي بُعث عليها محمد عليه الصلاة والسلام، **دون أن يؤيَّد خلال ذلك بوحي جديد من الله عزّ وجل**.[2]" ط 8 ص 322-323

ومن خلال نقله عن ابن كثير يؤكّد الدكتور المرحوم بأنّ المسيح عيسى ابن مريم **باق حيّ** وأنّه سينزل لأداء مهمته لإصلاح عقيدة العالمين كما ذَكَر فيقول:

".. ثم إنّه رَفَعَهُ إليه وإنّه **باقٍ حيّ**[3]، وإنّه سينزل قبل يوم القيامة .."

وهل المقصود هنا من نزول المسيح قبل يوم القيامة أنّه بعد أن يَنصر الإسلامَ ويُصلح النّاس، ستقوم القيامة؟ وهل تقوم القيامة على الصالحين، الذين أصلحهم الله بدعوة المسيح الموعود عليه السلام، بعد إصلاحهم؟ وإلاّ ما المقصود من "يوم القيامة" هنا؟

ويُتابع الدكتور البوطي رحمه الله نَقْلَه عن ابن كثير ذِكرَ مهامّ عيسى

[1] – يعني دون أن تُؤخذ منه صفة النبوّة والر سالة إذ يبقى نبيّاً ور سولاً على كلّ حال/ ألا يتناقض هذه مع كون محمد صلى الله عليه وآله وسلّم خاتم النبيين ولا نبيّ بعده؟

[2] – (وكيف يكون نبياً من دون وحي؟ وكيف سيعلم زمنَ نزوله دون وحي من الله؟ ومن سيخبره بمهمته التي يجب عليه النّزول لأدائها، خا صّة وأنّه يـضع الجزية، الأمر الذي لم يُـسمح لمحمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم به. وكيف يضعها دون أن يأمره الله بذلك؟ وكيف يأمره الله بذلك من دون وحي؟)

[3] – أليس الله وحده هو الحيّ الباقي؟

فيقول:

" .. فيَقتل مسيحَ الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، **بل لا يقبل إلاّ الإسلام أو السّيف**[1]، فأخبرتْ هذه الآية الكريمة أنّه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ **ولا يتخلّف عن التّصديق به واحد منهم**[2]."

(كبرى اليقينيات الكونية) ط 8 ص324

وهكذا بناءً على هذه العقيدة الخرافية، فإنّ المسيح عليه السّلام هو حيّ باق في السّماء التي حفظه الله فيها من أجل أن يُنزله منها قبل يوم القيامة لينشر دعوة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ودينه وكتابه، ويكسر صليب النصارى ويُبطل الملل كلّها بحرب لا يقبل فيها أَخذَ الجزية، بل الإسلام أو السيف وقَطْع الرّقاب حتى يصير الناس جميعاً على ملّة الإسلام وحده '**ولا يتخلّف عن التّصديق به واحد منهم**' ، بل يصير جميعُ النصارى واليهود وباقي أهل العقائد والملل مسلمين موحِّدين من أتباع المسيح عيسى بن مريم الناصري نبيّ اليهود من بني إسرائيل. ولا شكّ في أنّ المسيح سيكون عارفاً بهذه الأحداث كلّها لأنّه سيكون على رأسها والإمام الذي جاء ليُنجزها بالتمام والكمال.

على ضوء هذا التمهيد نَعمَدُ الآن إلى تفصيل الآيات الكريمة المتعلّقة

---

[1] – وهل من دعوة الإسلام الإكراه على الدّين، وإلاّ فالسّيف؟

[2] – هل يؤمنون بسبب إدراكهم لجمالات الإسلام، أم خوفاً من سيف عيسى؟!

بهذه المسألة ..

نجد في هذه الآيات الكريمة أنّ ربنا عزّ وجلّ يسأل عيسى عليه السلام عن حقيقة الشرك الذي يدين به النصارى الذين اتّخذوا المسيحَ بن مريم وأمَّه إلهين من دون الله، فيسأله عزّ وجلّ إن كان أَمَرَهم بذلك، والله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير.

ومن الواضح هنا أنّ المسيح ينفي أن يكون قد أَمَر أتباعه إلاّ بالتوحيد الخالص، وهذا ما يشهد له به القرآن الكريم في موضع آخر، حيث جاء في سورة المائدة ما ذكره الله تعالى عن المسيح عليه السلام:

{وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ **رَبِّي وَرَبَّكُمْ**} (المائدة 73)

كما أنّ الكتاب المقدّس لدى النصارى لا يزال يشهد للمسيح على هذا الأمر بالتوحيد الخالص لله عزّ وجلّ، حيث جاء في إنجيل لوقا، الإصحاح الرابع، رقم 8:

{حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: **لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ**»} (إِنْجِيلُ مَتَّى 4 : 10)

كما وصف المسيحُ ربَّه في مكان آخر في الكتاب المقدّس بقوله:

{وَإِلهِي وَإِلهكُمْ».} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 20 : 17)

ولا شكّ في أننا – نحن المسلمين – نؤمن أنه لم يأت نبيٌّ إلاّ بأمر التوحيد

الخالص والعبادة لله وحده، وذلك كما علَّمنا القرآن الكريم وبيَّن لنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم. إلاّ أنّ هذه الآيات الكريمة تعلِّمنا شيئاً آخر أيضاً وهو أنّ عيسى عليه السلام يشهد لأتباعه المؤمنين بالتوحيد وعدم الشّرك **طوال مدّة حياته وبقائه بينهم، ودون انقطاع؛ ولقد كان شهيداً عليهم بذلك إلى أن توفّاه الله تعالى**؛ وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم فيقول إنّ جواب عيسى عليه السلام لله عزّ وجلّ هو:

{مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ **رَبِّي وَرَبَّكُمْ**[1] وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المائدة 118)

أي إنّ بقاء عيسى، عليه السلام، في قومه لم ينقطع إلاّ بوفاته، وإذا تذكّرنا أنّ هذا الحوار يكون يوم القيامة، وذلك بحسب الآية، تتبين لنا الحقيقة التالية: وهي أنّ عيسى، عليه السلام، قد لبث في قومه يدعوهم إلى التوحيد الخالص ويأمرهم به، وأنه ظلَّ شهيداً على قومه في أنهم أقاموا هذا التوحيد إلى أن توفّاه الله، وأما بعد ذلك فهو لم يدرِ شيئاً ممّا أحدثوه من شِرك بالله، لأنّ الله كان قد توفّاه، وبقي هو، عزّ وجلّ، الرقيبَ والشهيد عليهم، ولذلك يقول عليه السلام:

{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي **كُنْتَ أَنْتَ** الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

---

[1] – قال عيسى في الإنجيل عن ربّه: «وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ». (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 20 : 17)

والسؤال المتفكِّر هنا هو: لو كان المسيح بن مريم الناصري هو ذاته الذي سيعود إلى الدنيا ليكسر الصليب، ويبطل عقيدة الشرك بالله، ويهدي آلاف الملايين من المشركين – الذين اتّخذوه وأمّه إلهين من دون الله – إلى الإسلام، فكيف لا يكون عالِماً بشرك قومه من بعده بحيث يُنكِر، أمام الله، عِلْمَه بهذا الشرك؟ وكيف يشهد بالإيمان لقومه طوال مدّة بقائه فيهم، إذا كان بقاؤه سيشمل حتى زمنَ عودته إلى الأرض في آخر الزمن الموعود ومحاربته للشرك ودعوته للتوحيد؟

إنّ هذه الآيات الكريمة تبيّن بكل وضوح عَدَمَ معرفةِ المسيح بما فعل قومُه بعد وفاته، وأنّه يَردُّ العِلمَ بذلك إلى الله وحده.

ويؤيِّد هذا الفهم لهذه الآيات الحديثُ الصحيح الذي ورد في الجامع الصغير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسِّراً هذه الآيات بحيث لا يبقى مجال للتأويل:

عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال:

(يا أيها الناس إنكم تُحشرون إلى الله .. ألا وإنّه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** فأقول كما قال العبد الصالح: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}، فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.) عن ابن عباس./ انظر البخاري والجامع الصغير للسيوطي/ في رياض الصالحين، متفق عليه.

ولقد رَكَنَ غيرُنا أيضاً، من أصحاب التفاسير المشهورة، إلى هذا الفهم الواضح، ونورد مثالاً على ذلك ما قاله صاحب الظلال في معرض تفسيره لهذه الآية حيث يقول:

" .. وهو هنا يقول لربّه: **إنني لا أدري** ماذا كان منهم **بعد وفاتي**: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } .. وينتهي إلى التفويض المطلق في أمرهم "[1] .

إنّ هذا الحديث الصحيح يُفَسِّر بكلٍّ وضوح أنه كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يكون دارياً بما أحدثه أصحابه من بعده، كذلك فإنّ عيسى عليه السلام لن يكون عارفاً بأنّ النصارى قد اتّخذوه وأمَّه إلهين من دون الله، ولذلك نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل في هذا الحديث **الكلمات نفسها التي قالها عيسى** عليه السلام ليبيّن أنه لم يدرِ بما أحدث قومُه بعد وفاته.

ولمزيد من البيان في أنّ المسيح، بحسب القرآن، لم يدرِ بما أحدثه النصارى من بعده نُورد ما جاء في تفسير الإمام فخر الرازي، حيث يقول:

"إنه لما قال الله لعيسى عليه السلام {**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**} عَلِمَ –أي عندئذٍ– أنّ قوماً من النصارى حكوا هكذا عنه."

[1] – (في ظلال القرآن) ، الجزء السابع ، الصفحة 1001 .

كما جاء في التفسير نفسه:

{**وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**}: يعني أنت الشهيد لي حين كنت فيهم، وأنت الشهيد عليهم **بعد مفارقتي لهم**."

هذا هو الفهم الذي قال به هؤلاء الأئمة من العلماء والمفسرين من السلف الصالح رضي الله عنهم.

فلو كان عيسى حيّاً باقياً في السّماء وسينزل منها قبل يوم القيامة ليدعو قومَه وجميعَ أهل الأديان والملل إلى الإسلام والتوحيد فلا يبقى منهم أحد إلاّ ويؤمن به فسيكون جوابه هذا، الذي أَورده القرآنُ الكريم، كذباً على الله، والعياذ بالله، إذ كيف يقول لله، عزّ وجلّ، إنني لا أدري بالشرك الذي أحدثه النّاس من بعدي، لو كان هو الذي سيُنزله الله من السّماء ليُبطل شِركَ قومِه وشِركَ جميع المشركين على الأرض؟

وهكذا نجد أنّ هذه الآيات الكريمة تضيف برهاناً جديداً إلى حقيقةِ أنّ وفاة المسيح كانت بعد انتهاء حياته بين قومه الذين بُعِثَ إليهم، ولهذا فقد شهد لهم بأنهم كانوا موحِّدين طالما كان حيّاً بينهم إلى أن توفّاه الله الذي بقي هو وحده عزّ وجلّ الرقيبَ على قوم عيسى بعد وفاته. ولذلك فقد كان جواب عيسى الصّادق على سؤال الله له:

{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المائدة 118)

وبذلك نجد أنّ القرآن الكريم لا يوافق مطلقاً على الزعم الباطل بأنّ عيسى عليه السلام لا يزال حيّاً خالداً باقياً في السّماء إلى الآن، وأنّه سيعود إلى الأرض ليكون نبياً بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون بطلَ الإسلام والسلام العالمي بالرغم من أنّ ربنا تبارك وتعالى قد حدَّد دعوته (دعوة عيسى) ورسالته فقط ببني إسرائيل فقال عنه:

{ورسولاً إلى بني إسرائيل} آل عمران 49

في حين أنّه تبارك وتعالى قد أكّد عالميّةَ رسالةِ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ **كَافَّةً لِلنَّاسِ** بَشِيرًا وَنَذِيرًا} سبأ 28

وبيَّن تعالى في كتابه الحكيم أنّ محمداً عليه وعلى آله الصلاة والسلام هو وحده خاتم النبيين، فقال:

{**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**} الأحزاب 40

ولذلك فإنّه ما كان لله أن يأتي بنبيٍّ بني إسرائيل بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ليُظهر به دينَه عزّ وجلّ على الدّين كلّه، بل لا بدّ أن يكون هذا المصلح الموعود إماماً من أتباع سيّدنا محمّد خاتم النبيّن وخادماً من خدّامه الكرام الذين يسيرون على قدمه عليه الصلاة والسّلام ويدعون إلى دينه والكتاب الذي أُنزل عليه من الله الأحد تبارك وتعالى.

*** المسألة التاسعة ..**

{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} (النساء 160)

من الشائع بين مشايخ المسلمين وعامّتهم الاعتقاد بأنّ هذه الآية تعني أنّ المسيح عيسى بن مريم لا يزال حيّاً خالداً في السماء وأنّه سينزل منها في آخر الزمان، وسيؤمن به عندئذٍ جميعُ أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون استثناء، إذ لا يبقى منهم أحد دون أن يؤمن به[1]، وذلك لأنّ كلمة {إنْ} في هذه الآية نافية وتعني: ما من أحد من أهل الكتاب إلاّ وسيؤمن بعيسى قبل موت عيسى—على حدِّ فهمهم!

وللأسف الشديد أنّك تجد من القائلين بهذا الفهم من يأخذ بهم الحماس إلى الحدّ الذي يجعلهم يُكَفِّرون من لا يقول به؛ ولكن الدارس المحقّق في هذه الآية الكريمة من التفاسير وعلى ضوء بيان القرآن الكريم وبيان الأحاديث الشريفة يجد أنّها لا تعني بأيّ حال من الأحوال أنّ عيسى عليه السلام لا يزال حيّاً باقياً في السماء، بل يجد أنّ هناك من علماء المسلمين الأفاضل من يقرأ الآية قراءة مختلفة ويقول بتفسير مختلفٍ تماماً عما ذهب

---

[1] – انظر كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (كبرى اليقينيات الكونية) ص 324

إليه غيرُهم ـــــمّا ينقض دعوى الإجماع على معناها الشّائع.

وبناءً عليه فإنّنا نبيّن فيما يلي:

أولاً :عدم وجود إجماع على هذا الزّعم الشّائع لهذه الآية.

ثانياً : حجّتَنا في قبول رأي الفريق المخالف لهذا الفهم من السادة العلماء.

ثالثاً : تفسيرنا لهذه الآية الكريمة مع البرهان على أنّ القرآن الكريم يؤكّد التفسير الذي ذهبنا إليه من خلال المنطق والسياق والسباق والتوافق بين معنى الآية وما جاء به كتاب الله الحكيم المحكم.

* سبب الاعتقاد الخاطئ ببقاء عيسى في السماء حيّاً؛ وموضع الإشكال فيه ..

إنّ سبب الإشكال في هذه الآية هو تعليق الهاء في كلمة {موته} وإرجاعُها خطأً إلى عيسى عليه السلام، وبذلك يصبح المعنى، على هذا الزعم، أنّ عيسى لم يمتْ بعد، لأنّ جميع أهل الكتاب لم يؤمنوا **به** بعد؛ إذ أنّ الآية الكريمة تقول:{قَبْلَ مَوتِهِ}

وبذلك يفهمون أنّ كلّ فرد من أهل الكتاب لا بدّ أن يؤمن الإيمان الصحيح بعيسى عليه السلام قبل موت عيسى. ولقد أورد المرحوم مؤلّف كتاب (كبرى اليقينيات الكونية) هذا الرأي في كتابه دون أن يتعرّض فيه

مطلقاً لآراء العلماء الذين خالفوا هذا الرأي بكلّ صراحة ووضوح، كما سنبيّن حالاً[1].

إنّ التفسير الذي أورده الدكتور البوطي في كتابه المذكور ليس إلاّ رأياً من الآراء المختلفة في تفسير هذه الآية الكريمة ولذلك فهو لا يُعَدّ إجماعاً ولا مرجعاً حاسماً ولا يحقّ لأحد تكفير الآخرين بسبب عدم أخذهم به وحده دون غيره كما يصرّ على ذلك بعض الناس وبعض السادة العلماء.

نورد فيما يلي مختصرَ ما ورد من بيان وتفسيرات تتعلّق بالمعنى المخالف لهذا الاستنتاج الخرافي القائل بأنّ عيسى في السماء وأنّه "لم يمتْ بعد"!:

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية:

"**اختلف** أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: يعنى **قبل موت عيسى** .. وقال آخرون: الضمير الأول –أي 'الهاء' في قوله تعالى: {لَيُؤمِنَنَّ بِه}– لعيسى، والثاني في قبل موته **للكتابي**، والمعنى: إلاّ ليؤمننّ بعيسى **قبل أن يموت هذا الكتابي** إذا عاينَ عِلم الحقّ من الباطل، لأنّ كلّ من نزل به الموت لم تخرج نفْسُه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه".

---

[1] – راجع في ذلك بيان الدكتور البوطي في (كبرى اليقينيات الكونية) حيث يقول:

"ومحلّ الشاهد قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والمعنى: لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السّلام إلاّ آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. فالضمير في ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ عائد، كما هو واضح من سياق الآيات، إلى عيسى بن مريم، وهو نصّ على أنّه عليه الصلاة والسّلام **لم يمت بعد**." ط 8، ص 324

وهذا يعني أنّ القضيّة لا تتعلّق بالبرهان على أنّ عيسى لم يمت.

وروى ابن عباس ما يصحّ أن يؤيِّد هذا المعنى، قال:

(لا يموت يهوديّ حتى يؤمن بعيسى. وقال:

قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}، قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة: المعنى ليؤمننّ بالمسيح {قبْلَ مَوتِهِ} **أي الكتابي**؛ فالهاء الأولى عائدة على عيسى، **والثانية على الكتابي**؛ وذلك أنه ليس أحد من أهل الكتاب اليهود والنصارى إلاّ ويؤمن بعيسى عليه السلام إذا عايَنَ الملَك، ولكنّه إيمانٌ لا ينفع؛ لأنّه إيمان عند اليأس وحين التلبّس بحالة الموت؛ فاليهودي يُقرّ في ذلك الوقت بأنّه رسول الله، والنصراني يُقرّ بأنّه كان رسول الله.) / انظر الجامع لأحكام القرطبي

(وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} قال: اليهود خاصة {إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: **قبل موت اليهودي**.) / الدرّ المنثور

(وأخرج الطيالسي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } قال: هي في قراءة أُبَيّ: {**قَبْلَ مَوْتِهِم**}.

(وأخرج ابن المنذر عن أبي هاشم وعروة قالا: في مصحف أُبَيّ بن كعب: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِم } الدرّ المنثور

وعن مجاهد:

(كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى **قبل موت صاحب الكتاب**.)

ولقد ذكرنا تأييداً لهذا التفسير في **قراءة أُبَيّ بن كعب**، وهو أحد الأربعة الذين أَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ القرآن عنهم، حيث قرأ: {إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِم}.

فقراءة أُبَيّ وهذه الأسانيد الصحيحة عن ابن عباس وغيره تؤيّد هذا الرأي الثاني القائل بأنّ المعنى هو: **قبل موت الكتابي، وليس قبل موت عيسى** عليه السلام[1]. وبذلك لا يمكن أن يكون موت الكتابيّ برهاناً على أنّ عيسى لم يمت!

ولا شكّ في أنّ من يراجع التفاسير المختلفة سيطالع هذا التفسير المشهور؛ وقد ورد، كما ذكرنا، في معالم التنزيل أيضاً ذِكْرُ قراءة أُبيّ بن كعب {قَبْلَ مَوْتِهِم}، أي أهل الكتاب، وكذلك أخرج ابن المنذر وغيره عن ابن عباس أنه فسّر الآية كذلك[2]، كما ذكرنا آنفاً.

وكذلك أورد صاحب الظلال في الجزء السادس من تفسيره قوله:

" .. وقال جماعة: وما من أهل الكتاب من أحد إلاّ ليؤمننّ بعيسى قبل موته ... أي موت الكتابي –وذلك على القول بأنّ الميت، وهو في سكرات

[1] – راجع ابن كثير .

[2] – راجع (روح المعاني والطبري وابن كثير والرازي) .

الموت، يبيَّن له الحق، حيث لا ينفعه أن يعلم. ونحن أمْيَل إلى هذا القول الثاني، الذي ترشح له قراءة أُبيّ: {إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}.. فهذه القراءة تشير إلى عائد الضمير **وأنه أهل الكتاب** .. وعلى هذا الوجه يكون المعنى: أنّ اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام وما زالوا على كفرهم به، وقالوا إنهم قتلوه وصلبوه، ما من أحد منهم يدركه الموت، حتى تُكشف له الحقيقة عند حشرجة الروح، فيرى أنّ عيسى حق، ورسالته حق فيؤمن به، ولكن حين لا ينفعه إيمان .. ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً." ص 803

وهنا أيضاً لا نجد في تفسير هذه الآية برهاناً على أنّ عيسى "لم يمت" على حدّ قول القائلين بأنّه لا يزال حيّاً باقياً!

* سبب أَخْذِنا بقراءة أُبَيّ: {قبل موتهم}

أوّلاً: كلمة {إنْ} في هذه الآية نافية وتعني: ما من أحد من أهل الكتاب حصراً إلاّ وسيؤمن بعيسى عليه السلام، فإذا كانت (الهاء) في {قبل موته} عائدة إلى عيسى عليه السلام فيصير المعنى عندئذٍ: **ما من أحد من أهل الكتاب إلاّ وسيؤمن بعيسى قبل موت عيسى**—وهذا مرفوض عقلاً ومنطقاً وقُرآناً، وحديثاً—كما سأبيّن حالاً..

فإذا كان عيسى عليه السلام لا يزال حيّاً خالداً في السماء، على ما يقولون، منذ حوالي ألفي سنة وحتى الآن، فهذا الاعتقاد لابدّ أن يقودنا عندئذٍ إلى الفهم التالي: وهو أنّ **جميع من مات من أهل الكتاب منذ زمن**

عيسى عليه السلام وحتى الآن قد مات على الإيمان الصحيح، كما أنّ **الذين يموتون الآن وإلى حين نزوله أيضاً يموتون على الإيمان الصحيح به**[1]، وكذلك عندما ينزل أيضاً سيؤمن به جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون أن يمتنع أيّ واحد منهم، وذلك لأنّ كلمة {إنْ} هنا هي، كما قلنا، نافية وتعني: {ما من أحد} من أهل الكتاب إلاّ وسيؤمن بعيسى قبل موته.

ولكنّ السؤال البالغ هنا: **هل من المعقول أن لا يموت أحد من اليهود والنصارى منذ زمن عيسى عليه السلام وحتى نزوله إلاّ على الإيمان الصحيح به؟**

ثمّ ألا تستلزم هذه العقيدة أيضاً أن يبقى جميع أهل الكتاب أحياءً منذ بعثة عيسى وحتى نزوله قبل يوم القيامة—على ما يعتقدون؟

وإذا ما كان هؤلاء جميعاً قد ماتوا ويموتون على هذا الإيمان الصحيح كما يزعم الزّاعمون، فَلِمَ كانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم؟ ولِمَ كان أهل الكتاب مسؤولين عن الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام؟

ثمّة من الناس والسادة العلماء من تهرَّب من هذا الفهم غير المعقول للآية بقولهم: إنّ هذا الإيمان لن يكون إلاّ عند نزول عيسى عليه السلام في آخر

---

[1] – انظر الـ صفحة 324 من كتاب (كبرى اليقينيات الكونية) الطبعة الثامنة حيث أورد الدكتور البوطي هذا الفهم لهذه الآية الكريمة عن ابن كثير فقال: "فأخْبَرَتْ هذه الآية الكريمة أنّه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ **ولا يتخلّف عن التّصديق به واحد منهم.**"

الزمان وعندئذٍ سيؤمن به جميع اليهود والنصارى دون استثناء وسيتبعونه.

إنّ هذا الفهم باطل أيضاً، ليس فقط لكونه لا يستند إلى القرآن الكريم في شيء، بل لأنه يخالفه أيضاً مخالفة مبينة، وذلك لأنّ كتاب الله المجيد يناقض ويرفض هذا المعنى بكل وضوح؛ إذ لو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الإيمان الصّحيح بعيسى، دون أن يتخلّف منهم أحد، وصدّقوا به جميعاً للزم من ذلك أن تزول من بينهم العداوة والبغضاء لأنّهم سيصيرون أمّة واحدة، وعلى إيمان صحيح واحد. ولكنّ القرآن ينفي اجتماعهم على إيمان صحيح إلى يوم القيامة، كما ينفي زوال العداوة والبغضاء بينهما إذ يقول:

{فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء **إلى يوم القيامة**} المائدة 14

{وألقينا بينهم العداوة والبغضاء **إلى يوم القيامة**} المائدة 64

وهكذا فإنّ بيان ربنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم يؤكّد أنّ العداوة والبغضاء بين اليهود والنّصارى ستظلّ قائمة إلى يوم القيامة بسبب اختلافهم في العقيدة.

وكذلك جاء في القرآن الكريم عن بني آدم جميعاً قولُ ربنا عزّ وجلّ:

{**وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**} هود 119-120

فإذا كان جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى سيؤمنون الإيمان

الصّحيح، وسيدخلون في دين الإسلام، ويتبعون عيسى عليه السلام حين نزوله بالشكل المزعوم، فكيف لا تزول من بينهم حينئذٍ العداوة والبغضاء؟ وكيف ستبقى قائمة بينهم إلى يوم القيامة؟

لا شكّ في أنّ هذا المعنى بادي الخطأ من حيث العقل والمنطق السليم، وبادي الجهل بآيات كتاب ربنا الحكيم، ولذلك فإنّ الاعتقاد به يجعل الناس مخالفين للقرآن الكريم ولِلفهم الذي يرضي الله عزّ وجلّ، سواء أعرفوا ذلك أم جهلوه.

ومن هذا المنطَلَق فإنّ المعنى الذي نعتقد به، ويوافقنا عليه الكثير من العلماء والأئمة الكرام كما بَيَّنّا آنفاً، هو أن الضمير (الهاء) في قوله تعالى {قَبْلَ مَوْتِهِ} إنما يعود على الفرد من أهل الكتاب بحيث يصير المعنى كالتالي:

وليس من يهودي أو نصراني من أهل الكتاب إلاّ وسيؤمن بعيسى قبل موت هذا اليهودي أو النصراني. وقد بَيَّنّا أنّ هذا المعنى أخرجه ابن المنذر وغيره عن ابن عباس على أنه فسّر الآية كذلك. [1]

كما جاء في تفسير ابن جرير عن مجاهد:

(كل صاحب كتاب ليؤمننّ بعيسى قبل موته: **أي قبل موت صاحب الكتاب.**) هذا بالإضافة إلى ما أوردناه ببرهان قراءة أُبيّ بن كعب:

{إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِم} النساء 160

[1] – راجع (روح المعاني ومعالم التنزيل) .

ولِنزيدَ البيانَ وضوحاً نَذكر ما أورده الإمام فخر الرّازي في التفسير الكبير عن فهم العلماء من السلف الصالح ممن قالوا إنّ {موته} تعني الكتابيّ من اليهود والنصارى.

في الصفحة 103 من المجلّد السادس وفي معرض تفسير قوله تعالى {وإنْ من أَهْلِ الكِتابِ إلاّ لَيؤمنَنَّ به}، يقول الإمام الرّازي ما يلي:

"واعلم أنّه تعالى لما ذَكَر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم، وشرح أنّهم قصدوا قتل عيسى عليه السّلام .. بيّن تعالى أنّ هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداوته لا يخرج أحد **منهم** من الدّنيا إلاّ بعد أن يؤمن به..

واعلَم أنّ كلمة {إنْ} بمعنى "ما" النّافية كقوله {وإنْ مِنْكُم إلاّ وارِدُها}، فصار التقدير 'وما أحدٌ من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به'. ثمّ إنّنا نرى أكثر اليهود يموتون ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام. والجواب من وجهين. الأوّل: ما روي عن شهر بن حوشب، قال: قال الحجّاج إنّي ما قرأتها إلاّ وفي نفسي منها شيء، يعني هذه الآية؛ فإنّي أضرب عنُق اليهوديّ ولا أسمع منه ذلك. فقلت: إنّ اليهوديّ إذا حضره الموت ضربتْ الملائكةُ وجهه ودُبره، وقالوا يا عدوّ الله أتاك عيسى نبيّاً فكذّبتَ به، فيقول آمنتُ أنّه عبد الله، وتقول للنصرانيّ: أتاك عيسى نبيّاً فزعمتَ أنّه هو الله وابن الله، فيقول: آمنتُ أنّه عبد الله؛ فأهل الكتاب يؤمنون به حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان .. وعن ابن عباس أنّه فسّره كذلك .. ويدلّ عليه قراءة أبَيّ {إلاّ ليؤمنُنّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِم} بضمّ النّون على معنى وإنْ منهم أحد إلاّ سيؤمنون به قبل موتهم

لأنّ أحداً يصلح للجميع. قال صاحب الكشّاف: والفائدة في إخبار الله تعالى بإيمانهم بعيسى قبل موتهم أنّهم متى عَلموا أنّه لابدّ من الإيمان به لا محالة، فلأن يؤمنوا به حال ما ينفعهم ذلك الإيمان أولى من أن يؤمنوا به حال ما لا ينفعهم ذلك الإيمان." التفسير الكبير للإمام فخر الرازي الجزء 6 السادس ص 103

هذا وإنّ دلالة القرآن المجيد في أنّ العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى ستظل قائمة إلى يوم القيامة تكفي بياناً واضحاً لِمن يريد الإيمانَ بالبيان الحق. ولقد استدلّ ابن كثير بهذا البيان القرآني على استمرار العداوة والبغضاء بين أهل الكتاب إلى يوم القيامة، فقال:

"أي فألقينا بينهم العداوة والبغضاء بعضهم بعضاً، **ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة**، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يُكفرِّ بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً، فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تَلِج معبدها"[1].

إذن الاعتقاد بأنّه لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلاّ وسيؤمن بعيسى الإيمان الصحيح قبل موته (موت عيسى) يستلزم الإيمان بالأمور التالية:

1. أنّ جميع من مات من اليهود والنصارى، منذ زمن المسيح أو يموت الآن وإلى قيام السّاعة، إنّما يموت على الإيمان الصّحيح—وهذا باطل بالبداهة!

[1] – راجع (تفسير نسمات القرآن) حيث نُقِل ما أوردناه عن ابن كثير .

2. أن يبقى جميع اليهود والنصارى أحياء منذ زمن المسيح وحتى يوم القيامة—وهذا أيضاً باطل بالبداهة!

3. أنّ العداوة والبغضاء ستزول من بين اليهود والنصارى بعد إيمانهم بعيسى عند نزوله. وهذا يرفضه القرآن الذي يقول: {وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة}.

جميع هذه النتائج المنطقية تمنعنا من الأخذ بقول القائلين أنّ هذه الآية دليل على أنّ عيسى لم يمت بعد.

* والآن نتحقّق معاً من التفسير الصحيح لهذه الآية ..

وبعون الله نتبيّن:

يقول ربّنا تبارك وتعالى ما من أحد من أهل الكتاب من اليهود والنّصارى إلاّ وسيؤمن بعيسى قبل موت الكتابيّ ذاته.

آخذين بعين الاعتبار النتائج التي تَوصّلنا إليها نجدّ أنّه لابدّ لنا من التفكّر بهذه الآية بشكل منطقيّ وبحسب مُعطياتها.

{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} (النساء 160)

تقول هذه الآية الكريمة إنّ أحداً من اليهود والنصارى من أهل الكتاب

لا يموت إلاّ وهو يؤمن بموت عيسى عليه السّلام. فكيف يكون ذلك؟

لابدّ لنا أوّلا من أن نَعرف طبيعةَ هذا الإيمان الذي سيجمع اليهود والنصارى من أهل الكتاب على **إيمان واحد**.

تُتابع هذه الآية الكريمة لبيان هذا الإيمان الواحد لليهود والنّصارى فتقول {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} أي ليؤمننّ بعيسى.

ويجد العارف بعقيدة اليهود والنّصارى أنّ **كلا الفريقين يتّفقان ويجتمعان على ضرورة أن يؤمنوا بموت عيسى على الصّليب** كما سنبيّن حالا.

فماذا في موت عيسى على الصّليب بالنسبة إلى اليهود؟

وماذا في موت عيسى على الصّليب بالنسبة إلى النّصارى؟

نجد ذلك في عقيدة كلٍّ منهما في الكتاب المقدّس. ونبدأ بعقيدة اليهود:

نقرأ في الكتاب المقدّس، العهد القديم، أنّ علامة النبيّ الكاذب أنّه يموت، أي يموت قتلاً، حيث نقرأ:

{وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ[1]، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، **فَيَمُوتُ** ذلِكَ النَّبِيُّ.} (اَلتَّثْنِيَة 18 : 20)

ويقول الكتاب المقدّس أيضاً:

{وَذلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ ذلِكَ الْحُلْمَ **يُقْتَلُ**، لأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ

[1] – أي يكذب على الله!

إِلهِكُمْ}. (اَلتَّثْنِيَة 13 : 5)

وجاء في سفر التثنية 21 : 22-23 ما يلي:

{وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ}. (اَلتَّثْنِيَة 21 : 22-23)

فإذا ما ثبت لليهودي أنّ عيسى لم يمت قتلاً رغم ادّعائه أنه من عند الله، فهذا يعني أنّه (أي عيسى) ليس كاذباً وليس حالماً ولم يُطغِ أحداً، بل هو نبيّ صادق من عند الله **ويجب** الإيمان والتصديق به.

وأمّا إذا ثبتَ أنّه قد **مات** قتلاً على الصّليب فيكون، بحسب الكتاب المقدّس، كاذباً وملعوناً. ولذلك فإنّ الرّكن الأساس في عقيدة اليهودي، **ليبرّر كفره** بدعوة المسيح وبأنّه نبي ورسول من الله، هو **أن يؤمن بأنّه قد مات قتلاً على الصّليب** وبذلك يكون كاذباً وملعوناً ولا يَلزم اليهود أن يؤمنوا به.

* عقيدة النصارى:

وكذلك نجد في عقيدة النّصارى أنّ **الإيمان بموت عيسى على الصّليب** هو أيضاً الرّكن الأساس في إيمانهم.

ولا شكّ في أنّ عقيدة النّصارى هذه مبنيّة على إعلان القدّيس بولُس

الذي يقول فيه:

{اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ **صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا**[1]، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»}. (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ 3 : 13)

ويقول بولس في الإنجيل أيضاً:

{فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ **إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ}. (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ 6 : 14)

وهذا يعني أنّه لا فخر في عقيدة بولُس إلاّ في موت المسيح ملعوناً على الصّليب.

ونجد شاهداً على إيمان المسيحيين بهذه العقيدة في ما أعلنه القسيس (ألفرد نلسن) المبشر الدانمركي المشهور، حيث قال:

"إنّ أعظم شيء في الديانة المسيحية وأهمّه **هو موت يسوع المسيح وقيامه،** كما يظهر أيضاً من الرسائل والمواعظ الموجودة في سفر أعمال الرسل."

وهكذا تقوم عقيدة القدّيس بولس ومن خلاله عقيدة المسيحيين—الذين هم أهل الكتاب طبعاً—على أنه إذا لم يكن المسيح قد صُلِب ومات وقام من الموتى فهذا يعني أنّ المسيحية دين باطل وأنّ الإيمان والكرازة (التبشير)

---

[1] – أي مات ملعوناً على الصّليب.

بها عمل باطل أيضاً، حيث يقول في رسالته إلى أهل كورنثوس:

{وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ[1]، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ، *وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ}.

(رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ 15: 14-15)

وهكذا فإنّ النصراني من أهل الكتاب أيضاً لا يبقى نصرانياً إلاّ إذا كان يعتقد بموت عيسى على الصّليب تماماً كما يجب أن يعتقد اليهودي، وذلك بحسب البيان التالي:

1. اليهودي يجب أن يؤمن **بموت المسيح على الصّليب**، وبذلك يكون (المسيح)، بحسب الكتاب المقدّس، كاذباً **وملعوناً** – كما بيّنت آنفاً – ولا يصحّ الإيمان به وبدعوته.

2. والنصرانيّ أيضاً لابدّ أن يؤمن **بموت المسيح ملعوناً على الصّليب** فداءً عن الخاطئين الذين **يؤمنون بموته** وقيامته، وبهذه العقيدة وحدها أعلن بولُس افتخاره، فقال:

{فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ}. (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ 6 : 14)

كذلك أكّد بولس بضرورة الإيمان بأنّ موت المسيح على الصليب قد جعله ملعوناً من أجل فداء الناس، فقال:

---

[1] – أي مات على الصّليب ثمّ قام.

{اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، **إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا**[1]} . (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ 3 : 13)

وهكذا فإنّه لا بدّ للمسيحي أن يظلّ **(حتى موته)** مؤمناً **بموت المسيح ملعوناً على الصليب** كي يظلّ مسيحياً و (يموت مسيحياً) بحسب عقيدته.

وكذلك لا بدّ لليهودي أن يظلّ **(حتى موته)** مؤمناً **بموت المسيح ملعوناً على الصليب** كي يظلّ يهودياً محافظاً على عقيدته (المخالفة لدعوة المسيح) الجديدة.

وأما من كَفَر من أهل الكتاب، يهودياً كان أم نصرانياً، بهذه العقيدة (موت المسيح على الصليب) قبل موته، فلا يعود، بحسب عقيدته، مؤمناً؛ ولذلك فلا بدّ لكل فرد من أهل الكتاب (يهوديّاً كان أو نصرانيّاً) أن يظلّ على هذه العقيدة طوال عمره، قبل موته.

ولمن يظنّ أنّ لفظة الإيمان لا تُستعمل إلاّ للإيمان الحقّ نذكر الآيات التالية من القرآن الكريم عسى أن يكون فيهما الجواب الشافي. يقول ربّنا عزّ وجل:

{وَالَّذِينَ **آمَنُوا بِالْبَاطِلِ** وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

(العنْكبوت 53)

{**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ** وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} (النحل 73)

---

[1] – أي مات ملعوناً على الصّليب.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ **يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**} (النساء 52)

وهكذا يتبيّن لنا بطلان الزّعم بأنّ الآية موضع البحث برهانٌ على بقاء عيسى حيّاً خالداً في السّماء وأنّه سينزل منها ليقيم الدّين للعالمين.

* المسألة العاشرة ..

قوله تعالى:

{إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} (الزخرف 60)

يعلم المسلمون أنّ الله عزّ وجلّ قد أنزل علينا في كتابه العزيز بَيانَه الكريم الذي يقول فيه:

{**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ** رَسُولٌ} (يونس 48) وقال:

{كُلَّ مَا جَاءَ **أُمَّةً رَسُولُهَا**} (المؤمنون 45)

{وَهَمَّتْ **كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ** لِيَأْخُذُوهُ} (غافر 6)

وهكذا نعلم من القرآن المجيد أنّ الله عزّ وجلّ قد أرسل **لكلّ أمّة من**

النّاس رسولَها الخاصّ بها ومنها لكي يفهموه ويقبلوا دعوته التي كُلِّف بها من ربّ العالمين ليهديهم إلى صراطه المستقيم وليكونوا عليه من الشاهدين. وهكذا فقد **كانت دعوة كلّ نبيّ محصورة بقومه، ولم يكن مسموحاً لأيّ نبيّ أن يخرج في دعوته عن قومه الذين أُرسل إليهم خاصّة**. وأمّا سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، ولكون الله قد جعله خاتم النبيين، **فهو وحده** الذي أَذن الله له ألاّ يحصر دعوته بقومه خاصّة، بل **كان عليه** أن يُبلّغ دعوته إلى الناس عامّة. ولقد أخبَرنا هو، عليه الصّلاة السّلام، بذلك فقال في حديث رواه جابر بن عبد الله قال:

(قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أُعطيتُ خمساً **لم يُعطّهنّ أحد من الأنبياء قبلي** /وذكر منها/: **وكان كلّ نبيّ يُبعث إلى بني قومه خاصّة، وبُعِثتُ إلى النّاس عامّة.**)

ويؤكّد القرآن الكريم مصداق هذا الإعلان النبوي الشريف بقول الله عزّ وجلّ:

{قُلْ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ **جَمِيعًا**} (الأعراف 159)

وقوله تبارك وتعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ **كَافَّةً لِلنَّاسِ** بَشِيرًا وَنَذِيرًا} (سبأ 29)

وقوله عزّ وجلّ:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ **رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**} (الأنبياء 108)

وبهذا نؤمن أنّ محمّداً **هو وحده** رسولُ الله إلى العالمين، لأنّه **هو وحده خاتم النبيين،** وليس لأحد ممّن كان قبله من النّبيين أن يكون رسولاً للعالمين.

وهكذا فإنّ كتاب ربّنا عزّ وجلّ يؤكّد أنّ **مهمّة 'العالمية'** في هداية الناس كافّة قد **اختصّ اللهُ بها فقط نبيَّه ورسولَه محمّداً** صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولم يُعطها، أو يسمح بها، لأحد سواه؛ وهو لذلك عندما ذَكر المسيحَ عيسى بن مريم في كتابه المجيد بَيَّن بتأكيد شامل أنّه لم يُرسله إلاّ لبني إسرائيل، ولم يجعله **إلاّ** مثلاً لهم فقال عنه:

{إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ **مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**}

(الزخرف 60)

{ **مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**} فقط.

النبيّ يكون مثلاً لقومه بلا شك، وقد جعل اللهُ عيسى {مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} حصراً، كما هو واضح من هذا البيان الإلهي الحكيم في هذه الآية الكريمة.

ولو طالعْنا بيانَ المسيح في الإنجيل لوجدنا أنّه قد أكّد لقومه أنّه كان رسولاً إلى بني إسرائيل دون غيرهم، وبيّن منذ البداية أنّ دعوته محدّدة فقط ببني إسرائيل، فقال:

{لَمْ أُرْسَلْ **إِلاَّ** إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 15 : 24)

وكان ذلك عندما طَلبتْ منه المرأةُ الكنعانية أن يهدي ابنتها ويشفيها مما

بها، فانصرف عنها، كما يُخبرنا الإنجيل، ولم يستجب لها. وعندما طلب منه تلاميذه مساعدتَها بَيّنَ لهم قائلاً:

{لَمْ أُرْسَلْ **إِلاَّ** إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 15 : 24)

ويُخبرنا إنجيل متى عن استغاثة المرأة به، طالبة العون منه، حيث قالت:

{«يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» فَأَجَابَ وَقَالَ:«لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَب»}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 15 : 25-26)

وفي إنجيل متى الإصحاح 10: 5-6 نقرأ نَهْيَ عيسى لأتباعه أن ينشروا دعوته في غير بني إسرائيل كما يلي:

{هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً:

«إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ **لاَ تَمْضُوا**، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ **لاَ تَدْخُلُوا**. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ}[1].

(إِنْجِيلُ مَتَّى 10 : 5-6)

وهكذا نفهم كيف أنّ القرآن الكريم قد صادق على بيان المسيح في

[1] –يؤكّد الإنجيل ظنّ بعض اليهود من أنّ الم سيح ربّما كان يُزمع الخروج خارج فل سطين للتب شير بدعوته، ولكنّم أخطأوا فظنّوا أنّه كان يريد الذهاب إلى اليونانيين بدلاً من اليهود المشرّدين خارج فلسطين من بني إسرائيل، حيث نقرأ في إنْجِيلُ يُوحَنَّا ما يلي: □فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. 34 سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا». 35 فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: «إِلَى أَيْنَ هذَا مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى لاَ نَجِدَهُ نَحْنُ؟ أَلَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمَ الْيُونَانِيِّينَ؟□ يوحنا (7: 34-35)

الإنجيل أنّ الله لم يُرسله ولم يجعله مثلاً **إلاّ** لبني إسرائيل **حصراً**، فلو كان هو الذي سينزل من السماء بأمر الله ليهدي العالم جميعاً وليملأ الأرض عدلاً وليكون هو الحَكم العدل والإمام المقسط، أفلا يعني ذلك أنّه كان سيكون قد بُعث أيضاً ليس فقط إلى بني إسرائيل، بل إلى العالمين جميعاً، مناقضاً بذلك أحاديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّه هو وحده المبعوث للناس عامّة، ومخالفاً القرآن العظيم في بيان الله الحكيم عنه:

{وَجَعَلْنَاهُ **مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**}؟ (الزخرف 60)

ولأنّ الله قد جعله مثلاً لبني إسرائيل **فقط**، فلا يمكن أن يكون قد أبقاه حيّاً عنده متجاوزاً زمن بعثته لبني إسرائيل ليبعثه من جديد وليجعله مثلاً للعالمين إلى يوم الدّين!

*** المسألة الحادية عشر ..**

قول ربنا تبارك وتعالى:

{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (مريم 32–34)

لا شكّ في أنّ أنبياء الله تعالى وجميع رسله يُطبّقون أوامر الله عزّ وجلّ بكلّ أمانة وإخلاص؛ وهم يظلّون على إخلاصهم هذا في تطبيق كلّ ما أمَرهم وأوصاهم به الله ماداموا أحياءً يُرزَقون وإلى أن يَلقوا وجهَ ربّهم الكريم.

في هذه الآية الكريمة نجد أنّ الله عزّ وجلّ قد أوصى المسيحَ عيسى بن مريم بممارسة ثلاثة أمور **ما دام حيّاً** وأن لا ينقطع عنها طوال بقائه حيّاً، وهي:

1. الصلاة
2. الزكاة

3. البِرّ بوالدته

ولا شكّ في أنّ عيسى عليه السلام قد التزم التزاماً كاملاً بممارسة ما أوصاه الله أن يفعل طوال حياته وطالما بقي حيّاً وإلى أن توفّاه الله تعالى، كما يذكر القرآن الكريم.

وبما أننا نعتقد بحقّ أنّ عيسى عليه السلام لابدّ وأن يَصْدُق في التزامه طوال عمره (ما دام حيّاً) بما أوصاه الله به؛ فإذا ما كان لا يزال حيّاً في السّماء، فهل هذا يعني أنّه لا يزال يُصلّي هناك، وأنّه سيُتابع صلاته عند نزوله الخرافي من السماء وهبوطه إلى الأرض ليدعو الناس إلى الإسلام. فهل سيُصلّي حينئذ الصلاة التي أُمِر بها بنو إسرائيل بحسب شريعة موسى، أم أنّه سيُخالِف الصلاة التي أُمِر بها بحسب تلك الشريعة وسيُصلّي صلاة المسلمين؟

ولو قَبِل عقلُ بعضِ النّاس هذا الكلام فماذا سيقولون حول تنفيذ أمر الله لعيسى بتأدية الزكاة التي أوصاه الله بأدائها ما دام حيّاً؟ وهل إذا ما كان حيّا حتى الآن فهو يقوم بإيتاء الزكاة؟ وما هي الزكاة التي يدفعها؟ هل يدفع مالاً، أم من الأنعام، أم من نتاج الأرض؟ ولمن يدفع الزكاة؟ هل يدفعها للملائكة؟ وماذا يعملون بها؟

ولنتفكّر الآن بقول عيسى:

{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا **أَيْنَ مَا كُنْتُ**} (مريم 32)

{**أَيْنَ مَا كُنْتُ**}

لو راجعتم التفاسير لوجدتم أنّ معنى {**مباركاً**} أي نفّاعاً بالخير، وكذلك هو المعنى أيضاً في معاجم اللغة العربية، وهذا يعني أنّ ربّنا تبارك وتعالى قد جعل عبدَه المسيحَ عيسى بن مريم، طوال مدّة بقائه حيّاً، نفّاعاً بالخير **أينما كان**، سواء في السّماء أو في الأرض. فإذا كان لا يزال حيّاً باقياً في السّماء إلى الآن، على حدّ قول القائلين، فمن يا تُراه ينفع الآن؟ هل ينفع الملائكة؟ أم الموتى، أم الأرواح الضّالة؟

ومن الشائع أيضاً أنّ المسيح حين رُفع إلى السّماء لم ترتفع أمّه معه، بل ظلّت في الأرض. فكيف يلتزم بوصيّة الله له أن يكون **بارّاً بوالدته مادام حيّاً** وهو الآن في السّماء بينما بقيتْ هي في الأرض؟ أم هل قَطَع برّه بها رغم بقائه حيّاً—على ما يزعمون؟

وهكذا نرى بكلّ وضوح أنه لا جوابَ مقنعاً على هذه الأسئلة المتفكّرة إلاّ أنّ عيسى قد التزم حقّاً بممارسة كلّ ما أمره الله وأوصاه به **ما دام حيّاً لأنّه بقي في الأرض ولم يرتفع إلى السّماء**، وعندما توفّاه الله بقي جسده الطّاهر في الأرض ودُفن فيها تماماً مثلما دُفن في الأرض سيُّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وباقي الأنبياء الذين خَلَوا من قبل، عليهم السلام.

وربما يحتجّ بعضُ الناس بقول ربّنا تبارك وتعالى على لسان عيسى عليه السلام: {وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (مريم 34)

بأنّه سيبعث بعد موته حيّاً ويرجع إلى الدّنيا بعد نزوله من السماء لإصلاح فساد الأمّة المحمّدية والناس أجمعين ورحمةً للعالمين.

إنّ بطلان هذا الاستدلال واضح بالبداهة، وذلك أنّ عقيدة المسلمين هي أنّ جميع النّاس سيُبعثون أحياءً ليوم الحساب، ومنهم عيسى عليه السلام، فهو ليس متفرّداً بكونه سيُبعث حيّاً، بل قد جاء في القرآن الكريم عن يحيى عليه السلام:

{وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ **يُبْعَثُ حَيًّا**} (مريم 16)

فهل هذه الآية تعني أنّ يحيى عليه السلام سيُبعث حيّاً برجوعه إلى الدنيا قبل يوم الحساب؟

ولنلاحظ هنا أيضاً أنّ عيسى يشهد لنفسه بقوله: {**والسّلام عليَّ**}، في حين أنّ **الله هو الذي يشهد ليحيى** بقوله عزّ وجل: {**وَسَلامٌ عَلَيْهِ**}.

* المسألة الثانية عشر ..

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}

النحل 90

{**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المائدة 118)

{**لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ** وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (الحج 79)

هكذا يُعلّمنا كتابُ الله المجيد أنّ الله يبعث في كلّ أمّة نبيّاً، **من أنفسهم**، يكون يوم القيامة **شهيداً على أمّته**. ولا يمكن أن يكون الشهيدُ على أمّةٍ أحداً غير نبيّها الذي بعثه الله إليها. ولذلك فإنّ الشهيد على أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم **لابدّ أن يكون محمداً خاتم النّبيين ذاته** ولا أحد سواه.

والآن لو كان المسيح عيسى بن مريم (نبيّ بني إسرائيل) هو ذاته الذي سيُبعث ليكون إماماً ومُصلحاً في أمّة محمّد، ألا يكون عند ذلك شهيداً عليهم ما دام فيهم رغم أنّه ليس من أنفسهم؟ ألم يقل في القرآن الكريم لربّنا عزّ وجلّ {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا **مَا دُمْتُ فِيهِمْ**}؟

أليست هذه شهادته يوم القيامة لمن دام فيهم؟

ألن يكون، بحسب الشيوخ وأتباعهم، في أمّة محمّد قبل يوم القيامة، حكماً عدلاً وإماماً مُقسطاً ويدوم في دعوته إلى أن يتوفّاه الله، فكيف لا يشهد لهم وقد شَهِد، بحسب القران، لمن دام فيهم—{**مَا دُمْتُ فِيهِمْ**}؟

وكيف يشهد لمن **ليس هو من أنفسهم**؟ بل كان من بني إسرائيل، كما

هو معلوم؟

ألا يتناقض هذا مع الآية الكريمة التي ذكرناها ويقول الله فيها:

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ **مِنْ أَنْفُسِهِمْ**} (النحل 90)

{مِنْ أَنْفُسِهِمْ}، وليس من غيرهم، من بني إسرائيل؟

وهذا هو ما يتطلّبه منطق العدل والإمكان. ولا خلاف على الإطلاق في أنّ عيسى بن مريم **كان مثَلاً لبني إسرائيل وشهيداً عليهم**، لأنّه كان هو ذاته من بني إسرائيل، وهو ليس من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، كما ذكرنا، ولن يكون مثَلاً أو أسوة لهم أو للعالمين، لأنّ هذه مهمّة سيّدنا خاتم النّبيين، محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وحده.

وهكذا يُبرهن القرآن المجيد على أنّ المسيح عيسى بن مريم، نبيَّ بني إسرائيل، لن ينزل في أمّة محمّد لإصلاحها ولن يكون شهيداً عليها، فهو قد مات ولن يعود إلى الدّنيا. وأمّا عن السؤال من هو الإمام الموعود الذي سيُبعث باسمه، فهذا سؤال للجواب عليه مكان آخر وبحث آخر[1].

[1] – يمكن للقارئ الكريم الاطلاع على هذا البحث في كتابي (النّبأ العظيم) / الناشر دار الأوائل.

* المسألة الثّالثة عشرة ..

قول الله عزّ وجلّ:

{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ} الأنبياء 9

يخبرنا الله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة عن الأنبياء الكرام ويؤكّد بأنّهم بشر كغيرهم، لهم جميع لوازم البشر من حاجات، فهم ليسوا مجرّد جسد يبقى جسداً على حاله، بل هم يأكلون الطّعام ليبقوا أحياء. وكذلك لهم حاجات الجسد البشري بما يترتّب عليه نتيجة أكل الطّعام. ولذلك فهم لا يمكن أن يعيشوا في السّماء بأجسادهم البشرية ذاتها التي عاشوا فيها قبل الموت والتوفّي، وذلك لأنّهم في حاجة لأن يأكلوا الطعام ويهضموه في معدتهم وأمعائهم ثم يخرجون فضلات الغذاء المهضوم مثل باقي البشر، **وهذا بالتأكيد ليس محلّه السماء، بل الحياة الدنيا**.

ومن هذا يتأكد لنا أن عيسى ليس حيّاً في السّماء لأنه، كبقية البشر والنبيين لم يجعله الله جسداً لا يأكل الطّعام، لأنّه لو لم يكن في حاجة إلى الطّعام وهو حيّ، حتى الآن، لكان خالداً. ولكنّ الآية تتحدث عن الحقيقة البشرية لجميع الأنبياء والرّسل فتقول: {وَمَا كَانُوا خَالِدِين}. أي أنّهم قد

توفّاهم الله جميعاً ورَفَعهم إلى السّماء، والسماء محلّ الأرواح التي يكون غذاؤها روحيّاً، وليست كالأجساد التي غذاؤها الطّعام الذي إن لم تتناوله يوميّاً فإنها تموت، وبعد أن تتناوله تصير في حاجة لطرحه، كما هي طبيعة البشر.

في معرض تفسيره لهذه الآية، يقول الإمام فخر الرازي:

"بيّن الله تعالى أنّ هذه عادة الله في الرّسل من قبل، وأنّه لم يجعلهم جسداً لا يأكلون الطّعام، **ولا يخلدون في الدّنيا، بل يموتون كغيرهم**."

التفسير الكبير فخر الرازي مج 11 ص 144

إنّ قول الإمام الرّازي: "**بل يموتون كغيرهم**" يؤكّد أنّ الذي لا يموت في الحياة الدنيا كغيره، بل يتجاوز عمره الحدودَ الطبيعية للبشر يكون كمن خلد؛ ولكنّ الحياة البشرية تُبرهن أنّه حتى الأنبياء لا يخلدون في الحياة الدنيا إلى أجل يطول عن المألوف[1]، **بل يموتون كغيرهم**.

بكلّ تأكيد الأنبياء لا يخلدون في الحياة الدّنيا، مثلما لم يخلد سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، بل يموتون كغيرهم وهذا ليس بشهادة القرآن وحده، بل أيضاً بشهادة سيّدنا خاتم النّبيين محمّد عليه الصلاة والسّلام، كما نعلم من الحديث الشريف الذي رواه سعيد بن المسيّب عن أبيه، فقال: قال رسول الله:

---

[1] – سنشرح مسألة حياة نوح في حينه، ونبيّن أنها لم تكن خارج المألوف، بل عاش كما يعيش البشر ومات كغيرهم.

("أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون عليَّ الموت كأنه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أَنْعَ إليكم وتنعى إليكم أنفسكم؟ **هل خلدَ نبي قبلي فيمن بُعث فأخلد فيكم؟)** في الإحياء للحافظ العراقي

وهذه أيضاً شهادة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أن عيسى قد مات، كالنبيين الذين ماتوا من قبل، وأنّه ليس حيّاً خالداً حتى الآن—أليس هو من الأنبياء الذين بُعثوا من قبل محمد عليه الصلاة والسلام؟

* المسألة الرابعة عشر ..

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً}

(الرعد 39)

يُخبرنا ربّنا عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة عن سنّته في الأنبياء، وهو الذي ليس لسنّته تبديل ولا تحويل، يقول تعالى:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} (الرعد 39)

أيّ من سُنّة الله تعالى في أنبيائه أن يتزوّجوا ويكون لهم أولاد وذرّية، لأنّهم

بهذا يعيشون تجربة الحياة الزوجية والأبوّة التي هي من لوازم كمال تجارب النبيين وممارساتهم البشرية الطّبيعية، وإلاّ فسوف يفتقرون في حياتهم إلى هذه التجارب البشرية الهامّة ليكونوا فيها الأسوة الحسنة التي يستنير ويهتدي بها الناس بِهَدْيها.

وبما أنّ عيسى رسولٌ من رسل الله فلا بدّ أن يكون قد جعل اللهُ له زوجةً وجعل له ذريّةً، أُسوة بباقي النبيين؛ وهذا يعني أنّه عاش في الأرض وفي قومه حتى تزوّج وأنجب ولم يُرفع إلى السّماء. ولا ننسى هنا أنّ ثمّة من يزعم أنّه قد عاش ثلاثة وثلاثين عاماً قبل رفْعِه المزعوم. في حين يقول الإمام الحافظ ابن القيّم رحمه الله في كتابه (زاد المعاد) الجزء الأوّل:

"بعثه الله **على رأس أربعين**، وهي رأس الكمال، قيل ولها تُبعث الرّسُل. **وأمّا ما يُذكر عن المسيح** أنّه رُفع إلى السّماء وله ثلاث وثلاثون سنه، **فهذا لا يُعرف له أثر متّصل يجب المصير إليه.**"

*** المسألة الخامسة عشر ..**

قول ربنا تبارك وتعالى :

{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (النساء158-159)

يعتقد عامّة المسلمين أنه لما مَكَرَ اليهودُ وأرادوا أن يلقوا القبض على المسيح عليه السلام ليقتلوه، مَكَرَ اللهُ فرفعه من بين أيديهم إلى السماء بعد أن أَلقى شَبَهَه على أحد حوارييه وهو تلميذه يهوذا الإسخريوطي، الذي كان قد خانه ووشى به فأسلمه إلى اليهود الذين كانوا يريدون إلقاء القبض عليه وقتله، وبذلك خُدِع اليهود بالشّبيه فأخذوه وصلبوه ظنّاً منهم أنّه المسيح عيسى عليه السلام—هكذا يزعمون، كما ذكرنا!

وبذلك يعتقد هؤلاء أنّ هذه الآيات تعني أنّ عيسى عليه السلام لا يزال حياً خالداً في السماء وأنه لم يمت بدليل قوله تعالى:

{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ **وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**}

إلاّ أنّ المتدبِّر لهذه الآيات الكريمة لا يستطيع أن يفهم كيف توصَّل هؤلاء

الناس إلى هذا الفهم الخاطئ متجاوزين قواعد وأصول اللغة العربية وإحكام القرآن الكريم والعقل والمنطق!

وكي لا يكون كلامُنا مجرّد ادِّعاء؛ وليظلّ بحثُنا منسجماً مع ما يأمرنا به ربُّنا تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله:

{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة 112)

ها نحن ندلي بعون الله تعالى بالبرهان المبين من القرآن الكريم لنؤمن كما يُريد ربُّنا منّا أن نؤمن. وعلى الله قصد السبيل:

لا شكّ في أنّ الله تبارك وتعالى قد نفى القتلَ أو الصَّلب عن المسيح عليه السلام، ولكن مَن قال إنّ هذه الآية تعني أنه لا يزال حيّاً خالداً في السّماء وأنّه لم يمت إلى الآن؟ فهل لا يموتُ الإنسانُ إلاّ إذا قُتِل أو صُلِب؟

ألا يموت ميتةً طبيعية حتى لو لم يُقتل أو يُصلب؟

إنّ الآية التالية والتي يقول فيها ربنا عزّ وجلّ: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} لا تعني مُطلقاً أنه لا يزال حياً خالداً حتى الآن وأنّ الله لم يتوفّه. بل قد مرَّ معنا من أقوال الأئمة والمفسّرين أنّ الرفع هنا جاء رفعاً للمكانة والإكرام وإعلاءً لشأن المسيح عليه السلام—كما شرحنا آنفاً. بل إنّ هذه الآية قد أنزلها ربُّنا ردّاً على اليهود الذين زعموا أنهم صلبوا المسيح وأنه قد مات على الصّليب منحطّاً وملعوناً وأن روحه لن تصعد إلى السماء. ويجب ألاّ ننسى أنّ القرآن الكريم قد أثبت وفاةَ جميع الأنبياء السابقين عامّة والمسيح ابن

مريم خاصّة وذلك في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} (آل عمران 56) وكذلك قوله على لسان عيسى: {فَلَمّا تَوَفَّيتَنِي}.

ونعود الآن إلى دراسة الاستنباط الخاطئ وهو: أنّ الله سبحانه وتعالى قد أَلقى شَبَهَ عيسى على تلميذه **فصار وجْهُ هذا التلميذ** يشبه وَجْهَ عيسى فأخَذه اليهود وصلبوه بدلاً منه. وسنبرهن، بعون الله تعالى، على أنّ هذه الآية الكريمة تَرفُض هذا الفهمَ الخاطئ، بل إنّها هي ذاتها حجّة عليه، حيث نقرأ فيها:

{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ}

نلاحظ هنا أنّ الشخص المذكور في الآية هو **المسيح ذاته** وليس هناك أيّ ذكر لغيره على الإطلاق. وقبل أن نتابع دراسة هذه الآية الكريمة، من المهمّ والمفيد لنا أن نتذكر القاعدة اللغوية التي تقول إنّه لا يمكن للضمير في أية جملة أو قول أن يعود على غائب لم يُذكَر في النص. أي لا يمكنك، مثلاً، القول: "ذهب زيدٌ إلى السوق واشترى خبزاً"، ثم إذا ما سألك شخصٌ قائلاً: "من الذي اشترى الخبز ؟ " فتقول له: "عمرو".

إنّ هذا الكلام مرفوض لأنّه يخالف المنطق كما يخالف قواعد اللغة العربية، وذلك لأن عمرو لم يُذكر في النص أصلاً فكيف يعود الضمير المستتر 'هو' إليه بعد فِعْل "اشترى" الذي فاعله زَيد، بحسب النّص؟

وبالعودة إلى الآية الكريمة نجد أنّ الفهم السائد بين عامة المسلمين قد

أوقعهم في هذا الخطأ الفاضح، ذلك أنّه لم يَرِد في النّص أيّ ذكر ليهوذا أو غيره، بل **لم يُذكر فيه سوى المسيح** عليه السلام، وهم يعيدون الضمير في كلمة شُبِّهَ إلى تلميذ المسيح، يهوذا الاسخريوطي—رغم أنه لم يرد له ذِكرٌ في النّص— مخالفين بذلك المنطق العقلي والمنطق اللغوي أيضاً. وإليكم البيان في الآية الكريمة بكل بساطة:

يقول ربّنا في الآية الكريمة:{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ}. نلاحظ هنا أنّ **المذكور هو عيسى** عليه السلام، ثم يقول ربنا تبارك وتعالى:

{وَمَا قَتَلُوهُ} أي: **ما قتلوا عيسى،**

ثم يقول عزّ وجلّ: {وَمَا صَلَبُوهُ}، أي: **وما صلبوا عيسى؛**

ثم يقول: {وَلَكِنْ شُبِّهَ ..}، أي **شُبِّه عيسى،** أو شُبِّهَ **القتل والصلب لهم.**

وإلى هنا لا نجد أيّ ذكر لغير عيسى عليه السلام**!**

ولكي نفهم المعنى المقصود من كلمة {**شُبِّهَ**} يفيدنا أن نعربها إعراباً لغوياً لنعرف الضمير وبأيّ شيء يتعلّق، فنجد ما يلي:

شُبِّهَ: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره 'هو' **يعود على عيسى** عليه السلام. أي أنّ هذه الآية الكريمة تؤكّد وتبيّن بكل وضوح أنّ الشّبَه قد وقع على عيسى **ذاته،** أي أنّه هو الذي {**شُبِّهَ**}

وليس غيره.

إذن فماذا يقول هؤلاء؟

هل يقولون إنّ عيسى عليه السلام **شُبِّه بنفسه فصار يُشْبِه ذاتَه؟!**

يعني صار عيسى يشبه عيسى؟

أم كيف نفهم هذه الآية؟

إنّ هذه الآية تبيّن حقيقةً عظيمةً ومعجزةً باهرة وهي أنّ ربنا تبارك وتعالى قد مَكَرَ باليهود **فجعلهم يعتقدون أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم، وأنهم صلبوه**، وذلك بأنْ شبَّهَ لهم ذلك، **أي أنّ الضمير في "شُبِّهَ" يعود على القتل والصلب**، حيث اعتقد اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وتخلّصوا منه بصلبه، وأنّ الغاية من مكرهم قد تحققت، وبذلك فقد مَكَرَ اللهُ بهم – وهو خير الماكرين– وأنقذه من بين أيديهم ليكمل رسالته، ويُتِمّ دعوته، تحقيقاً لوعده تبارك وتعالى:

{كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (المجادلة 22)

وبعون الله سنشرح بيانَ حادثة الصّلب كما وقعت، وكيف أنّ ربّنا عزّ وجلّ قد مكر باليهود وأنقذ عبدَه المسيح عيسى بن مريم مصداقاً لوعده له في قوله {يَا عِيسَى **إِنِّي** مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} (آل عمران 56)

وسيأتي شرحنا هذا في موضعه من هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه.

ونعود الآن إلى متابعة شرح هذه الآية الكريمة التي نحن بصدد بيانها:

جاء في معاجم اللغة العربية: شُبِّهَ عليه الأمرُ أي صار مختلطاً عليه ولم يدرِ حقيقته يقيناً. وجاء أيضاً: شَبَّه عليه الأمر أي لَبَّسه عليه.

ومن المعلوم أنّ للتشبيه أركاناً أربعة هي: المشبَّه، المشبَّه به، أداة التشبيه، ووَجْه الشبه. ومعروف أيضاً أنّ للتشبيه أنواعاً: فالمرسَل: وهو ما ذكرتَ فيه أداة الشبه. والمؤكَّد: وهو ما حذفت منه أداة التشبيه. والمجمل: وهو ما حُذِف منه وجهُ الشَّبه. والمفصَّل: هو ما ذُكر فيه وجهُ الشّبه. وبذلك نُدرك أنّه لا بدّ لنا من إدراك الصّلة بين المشبه والمشبه به، ومعرفة وجه الشَّبَه.

فماذا قال المفسرون في ذلك؟

وجد الإمام فخر الرازي صاحب (التفسير الكبير) أنّ إعادة الشَّبَه **على غير عيسى** عليه السلام يوقع في إشكال كبير، فقال:

"في الآية سؤالان:

السؤال الأول: قوله {شُبِّه} مُسنَدٌ إلى ماذا؟

إنْ جعلته مُسنَداً إلى المسيح[1] فهو مُشَبَّهٌ به[2] وليس بمشَبَّه؛ وإن أسندتَه إلى المقتول[3] فالمقتول **لم يَجْرِ له ذِكْر**[4]."

---

[1] – معنى كلامه أن هذا ما يجب أن يكون بحسب أصول اللغة .

[2] – أي بحسب الاعتقاد السائد .

[3] – أي تلميذه بحسب الادّعاء الخاطئ .

[4] – – أي لا يجوز إسناد الشبه إلى شيء لم يجرِ له ذِكْرٌ في النص.

هذا يعني أنّ إسناد الشبه إلى تلميذ عيسى عليه السلام، في الآية المذكورة، هو خروج على قواعد اللغة العربية، وليس له سند لغوي صحيح في هذه الآية، ولا في قواعد اللغة العربية المعتمدة، ولذلك فهو مرفوض حتماً.

ومن الجدير بالذِّكر أنّ الإمام ابن حزم أيضاً رَفَض في كتابه (الملل والأهواء والنحل) أن يكون معنى {وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} على أنّ الشَّبَه قد أُلقي على غير عيسى عليه السلام، فقال:

"لو صحَّ ذلك لَبطلت الحقائق كلّها."

السؤال الثاني : يقول الإمام فخر الرازي:

"إنه إنْ جاز أن يُقال إنَّ الله تعالى يلقي شَبَه إنسانٍ على آخر **فهذا يفتح باب السفسطة**، فإنْ رأينا زيداً فلعلّه ليس بِزَيْد، ولكن أُلقي شَبَه زَيد عليه، **وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والملك وثوقاً به**، وأيضاً **يفضي إلى القدح في التواتر**، لأنّ خبر التواتر إنما يفيد العلم بشرط انتهائه في الآخر إلى المحسوس، فإذا جوّزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات **توجّب الطعنُ في التواتر، وذلك يوجِب القدحَ في جميع الشرائع ... وسيجب ذلك ألاّ يُقطع بشيء من المحسوسات ووجب ألاّ يُعتمد على شيء من الأخبار المتواترة ... وبالجملة فَفَتْحُ هذا الباب يوجِب الطّعنَ في التواتر، والطّعنُ فيه يوجب الطّعنَ في نبّوة جميع الأنبياء عليهم**

الصلاة والسلام، فهذا فرع يوجب الطعن في الأصول **فكان مردوداً**"[1].

وهكذا نجد أنّ هؤلاء الأئمة من المفسرين الكرام يرفضون العقيدة الخاطئة بكون شَبَه عيسى عليه السلام قد أُلقي على غيره فصُلب مكانه، في حين رُفِع هو إلى السماء.

ونطرح السؤال الواجب التفكّر فيه وهو:

فهل يُكَفِّر هنا عامَّةُ العلماء والمشايخ وأتباعُهم من يخالفهم من هؤلاء الأئمة لأنهم لا يوافقونهم على فهمهم الخاطئ لكتاب الله عزّ وجلّ، كما يُكفِّرون غيرهم من المسلمين؟

فإن كانوا لا يجرؤون على تكفيرهم فعليهم إذن أن يتريّثوا قبل أن يصدروا أحكاماً خاطئة على المؤمنين الذين يتفكّرون في كتاب الله تعالى والقرآن الكريم ويتدبّرون آياته بإيمان وإخلاص .

وها نحن قد برهنّا من خلال هذه الآية الكريمة، وبعون الله تعالى وتوفيقه، على بطلان خرافة: 'أنّ شَبَه عيسى عليه السلام قد أُلقي على شخص غيره، وأنّ عيسى عليه السلام قد رُفِع إلى السماء حيّاً بجسده المادّي، وأنه لم يزل إلى الآن حيّاً "لم يَمَتْ"، بل هو—على حدّ زعم الزّاعمين—خالد باقٍ هناك عالياً في السّماء'، في الوقت الذي يجثو فيه الجثمان الطاهر الشريف لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تحت التراب في ضريحه المكرّم

[1] – التفسير الكبير ـ المجلد (6) ـ الصفحة (101 ـ 102) .

في المدينة المنورة مصداقاً لقول الله تعالى:

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} (طه 56)

وقوله تبارك وتعالى :

{فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} (الأعراف 26)

ولنلاحظ في الآية الكريمة الأخيرة أنّ تقديم الظرف {فِيهَا} على الفعل {تَحْيَوْنَ} يُفيد الحَصْر وأنّ القانون الإلهي المذكور فيها عام وشامل، فقد قضى اللهُ تبارك وتعالى على خلقه جميعاً أن يحيوا في الأرض، وأن يموتوا {فيها}، ثم بعد ذلك يُخرَجون للحساب الذي سيقرّر مصيرهم.

* أسئلة للتفكُّر :

1. لَمْ يشهد أحد من المفسرين الذين قالوا بوقوع شبه عيسى على غيره حادثةَ الصلب. ولقد تَواتر النقلُ لدى النصارى في هذا الخبر. فكيف نردّ الخبر المتواتر بروايات ليس فيها نص قاطع من كتاب الله أو أحاديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم؟

2. اختلف المفسرون فيمن وقع الشبه عليه؛ فبعضهم قال على يهودي، وقال بعضهم الآخر أنّ الشّبه قد وقع على بعض أصحاب عيسى عليه السلام، ومنهم من قال على حارسه[1].

[1] – راجع الجلالين وابن جرير وروح المعاني .

3. ما الحكمة من أنّ الله قد ألقى شَبَه نبيّه عيسى على غيره إذا أراد رفعه أصلاً؟ ولماذا لم يرفعه علناً وبوضوح كامل فيكون ذلك آية له يقيم بها الحجةَ على اليهود كي يعلموا أنه لم يمت على الصليب، وليس ملعوناً، بل كان نبيّاً ورسولاً من عند الله وعليهم أن يؤمنوا به؟

4. إذا ثبت لليهود أنهم قد قتلوا الرّجلَ الذي آمن النصارى بأنه المسيح، فإنهم يكونون عندئذٍ على صواب في عدم الإيمان به، وذلك لأنهم مأمورون بحسب عقيدتهم في كتابهم المقدس أن يعدّوا من مات على الصليب كاذباً نجساً وملعوناً من الله ومطروداً من رحمته؛ فكيف إذن يؤمنون بكاذب ملعون؟

ونُذكِّر هنا بما جاء في الكتاب المقدس، العهد القديم، حيث يقول:

{«وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ، *فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، **لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ**. فَلاَ تُنَجِّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا}.

(اَلتَّثْنِيَة 21 : 22-23)

5. قال الإمام أبو حيان الأندلسي في المحيط:

"أما أن يُلقى شَبَهَه – أي عيسى – على أَحدٍ، فلم يصحّ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم."

وقد أيَّد هذا الرأي الإمام فخر الرازي والإمام ابن حزم وغيرهما من العلماء،

كما بيّنا.

وهكذا يتبيّن من هذه الدراسة المحقّقة لهذه الآية الكريمة الترابطُ اللغوي والمنطقي وحقيقةُ معنى {شُبِّه لَهُم} التي فيها آية عظمى من الله، حيث قَهَرَ مَكرُ الله مكرَ اليهود وأنقذ رسولَه من بين أيديهم ليتابع تبليغ دعوته والتبشير برسالته كما يريد الله دائماً لرسله أن يُتمّوا دعوتهم وينشروا نور الله في الأرض كما أمَرَ؛ ولا يمكن لقوة في الكون أن تُبدّل من سنّته التي قضى فيها في كتابه المجيد بقوله عزّ وجلّ:

{كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (المجادلة 22)

وكذلك قال ربنا العزيز الحكيم:

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ* وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} (الصافات 172-174) صدق الله العظيم

وسنتابع بعون الله تعالى، في المكان المناسب من هذا الكتاب، بيانَ معنى قوله تعالى: {وَلكِنْ شُبِّه لَهُم}.

* المسألة السادسة عشرة:

{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} (المؤمنون 51)

في تفسير هذه الآية الكريمة وفي معرض شرح معنى 'الرّبوة' فيها أورد الإمامُ السيوطي قولَه: عن ابن جرير وابن حاتم، وابن مردويه عن مرة البهزي /أنّ/:

"'الربوة': الرملة

'الرملة': أي هي الرملة. يعني قوله تعالى "وآويناهما إلى ربوة" (سورة "المؤمنون"، آية 50: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} هي رملة بيت المقدس، كذا شرحه الديلمي. وقيل هي الأرض المرتفعة. وقيل هي إيليا .. أرض بيت المقدس. وقيل دمشق وغوطتها. وقيل فلسطين. وقيل مصر."

التخريج (مفصلا): ابن جرير وابن حاتم، وابن مردويه عن مرة البهزي. تصحيح السيوطي: صحيح

نجد هنا أن ثمّة من قال أنّ الرّبوة التي آوى اللهُ إليها المسيح وأمّه مريم **هي في الأرض** وليست في الجنّة كما يزعم عامّة المسلمين، ولذلك فقد ذكر هؤلاء المفسرون أماكن مختلفة فيها. وإذا ما تذكّرنا أنّ الإيواء يكون بعد

تَشَرّد، وأنّ الآية تذكر مريم أمّ المسيح معه في الإيواء—ونحن لا نعتقد أنها قد رُفعت مع المسيح إلى السماء—فهذا يدلّ على أنّ الإيواء المذكور كان في الأرض وبعد محاولة صلب المسيح، ولم يكن بعد رفْعه إلى السماء كما يزعمون.

الملفّ الثاني

برهان موت المسيح من الحديث الشريف

البرهان على موت عيسى عليه السلام لا يقوم حُجّة من القرآن الكريم وحسب، ولكننا نجده أيضاً في مجموعةٍ من أحاديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وروايات العلماء والأئمة من السّلف الصالح المثبَتة في المراجع المشهورة.

ولا شكّ في أنّ برهان القرآن الكريم يعلو على كلّ برهان وتكفي آيةٌ واحدة منه لمن أراد البيان الحق، ولكنني أُورِد، فيما يلي، الأحاديثَ والروايات التالية إيماناً بضرورة الأخذ أيضاً بهدي سيّدنا خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، وتقديراً واحتراماً لوثائق السّلف الصالح الذين نَهَلوا من هَدْي رسولنا الكريم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وبعون الله نتابع..

* الحديث الأوّل:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

(لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلاّ اتّباعي)

وهو الحديث الذي ذكره ابن كثير في تفسيره، حيث قال:

"عن جابر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا، وإنّكم إمّا أن تصدقوا بباطل، وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله **لو كان موسى حيا** بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني). (رواه الحافظ أبو يعلى) / وفي بعض الأحاديث: '**لو كان موسى وعيسى حيين** لما وسعهما إلا اتباعي')"

هذا الحديث يُثبتُ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أخبرنا بصريح العِبارة، وبكلّ وضوح أنّ المسيح عيسى بن مريم قد مات مثل موسى وباقي النّبيين، وأنّه لو كان حيّاً زمنَ رسولِ الله عليه الصّلاة والسّلام لما وسعه إلاّ أن يكون من أتباع سيّدنا خاتم النبيين صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

وربّما يحتجّ البعض بأنّ هذا الحديث لم يرد في الصّحيح، ولكنّهم، رغم ذلك، لا يستطيعون إنكارَ وروده في تفسير ابن كثير وأنّه يتوافق مع ما جاء

في القرآن الكريم عن وفاة المسيح ولا يتناقض معه. ولقد ورد هذا الحديث أيضاً في (تفسير المحيط)[1] لمحمد بن يوسف، أبي حيّان الأندلسي الغرناطي (654-754 هـ)؛ وقد جاء كما يلي:

"(قال أبو عبد الله محمد أبي الفضل المرسي: "أمّا خضر موسى بن عمران فليس بحيّ، لأنّه لو كان حيّاً للزمه المجيء إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم والإيمان به واتّباعه. وقد روي عنه صلّى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (**'لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما إلاّ اتّباعي'**)"

كما أورده واستشهَد به الإمام السّلفي العلاّمة المحقق ابن قيّم الجوزية (691-751هـ) في كتابه الشهير (مدارج السّالكين). وقد جاء استشهاده بقوله:

"**ولو كان موسى وعيسى عليهما السلام حيين لكانا من أتباعه**"[2]

وكذلك ورد هذا الحديث في (تفسير المراغي) حيث استشهد به صاحب التفسير في معرض تفسيره للآية الكريمة {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} (آل عمران 145) ، فقال:

"أفإن مات **كما مات موسى وعيسى** وغيرهما من النّبيين، أو قُتل كما قُتل زكريّا ويحيى .."[3]

[1] – الجزء السادس، ص ، 147الطبعة الثانية 1403 هـ 1983 م. الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

[2] – الجزء الثاني، ص 496 من طبعة دار الكتب العلمية، بيروت □لبنان.

[3] – الجزء الأوّل، ص 87 من تفسير سورة آل عمران/ طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وجاء في مختصر تفسير ابن كثير في معرض ذِكر الخضر ما يلي:

"وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً بل كان ولياً، فالله أعلم. وحُكي في كونه باقياً إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولان، ومال النووي وابن الصّلاح إلى بقائه، ورجّح آخرون من المحدّثين وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ} (الأنبياء 35)، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض)، وبأنه لم يُنقل أنّ (الخضر) جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده ولا قاتل معه، ولو كان حياً لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وقد قال: **"لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتّباعي"**؛ وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عينٌ تطرف، إلى غير ذلك من الدلائل." (أخرجه البخاري وأحمد ورواه أيضاً عبد الرزاق)[1].

وللقارئ الحقّ، كلّ الحق، أن يقبل أو يرفض بحسب ما يُملي عليه تحقيقه وتَبيّنه. ولكن ليس في مقدور أحدٍ إنكار ورود هذا الحديث في المراجع المذكورة، وحقيقة أنّه يتوافق مع برهان القرآن الكريم——ولكلّ ناهلٍ منهله.

1 – تجد هذا الحديث أيضاً في المحدّث عن مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، الإصدار 1.22

* الحديث الثاني :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

(.. ألستم تعلمون أنّ ربّنا حيّ لا يموت، وأنّ عيسى أتى عليه الفناء؟)

وذلك في الحديث الذي أورده أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النّيسابوري (468 هـ) في كتابه الشهير (أسباب النّزول)[1]، وهو يروي كيف استقبل سيُّدنا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفداً من نصارى نجران وكانوا أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وبعد أن أذِن لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُصلّوا، في مسجده، صلاتَهم التي كان قد حان وقتها؛ كلّمَ عليه الصلاة والسّلام السّيدَ الذي كان إمامهم، والعاقبَ الذي كان أميرَهم ودعاهما إلى الإسلام. يقول الحديث:

(.. فقال لهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: 'أَسلِما. فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال كذبتما. منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصّليب، وأكلكما الخنزير. قالا: **'إن لم يكن عيسى ولَدَ الله، فمن أبوه؟'** وخاصموه جميعاً في عيسى. فقال لهما النبيّ صلى الله عليه وسلّم: **'ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولدٌ إلاّ ويُشبه أباه؟'** قالوا: 'بلى'. قال: **'ألستم**

[1] – طبعة دار الكتب العلمية، بيروت. ص 53 ، في معرض شرح سورة آل عمران.

تعلمون أنّ ربّنا حيّ لا يموت، وأنّ عيسى أتى عليه الفناء؟[٦]؟ قالوا بلى.)

نجد من هذا الحديث أنّ سيّدنا خاتم النّبيين محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلّم يؤكّد أنّ المسيح عيسى بن مريم قد **مات** و(**أتى عليه الفناء**)—— وليس حيّاً باقياً في السماء، ولن ينزل منها، كما يزعمون.

والغريب أننا نجد في بعض الطبعات الحديثة من (أسباب النّزول) أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قد قال في برهانه لوفد نجران إنّ عيسى (**يأتي عليه الفناء**) بدلاً من قوله: (**أتى عليه الفناء**). وهذا لا يصحّ مطلقاً لأنّ فيه إضعافا مبينا لحجّة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلّم. وذلك لأنّ القول بأنّ عيسى '**يأتي**' عليه الفناء لا يُمكن أن يشكّل حجّة منطقية مقبولة في برهان رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ وذلك لأنّ الاحتجاج بأمرٍ مستقبلي (**يأتي عليه الفناء**) لا يُشكل حجّة ولا برهاناً، إذ كان بإمكان الخصوم من نصارى وفد نجران النّفي بالقول: "لا لن يأتي عليه الفناء فهو الله الحي إلى الأبد كما يقول كتابهم المقدّس". ولكن بما أنّه كان **لابدّ لهم من الاعتراف** بأنّ عيسى قد مات——**بحسب عقيدتهم**—— ليكفِّر عن خطاياهم، فإنّ **اعترافهم المُلزِم** بأنّه قد مات——أتى عليه الفناء——**لابدّ أن يؤدّي بهم إلى الاعتراف بأنّه ليس ابن الله الحيّ** إلى الأبد، وإلاّ **لما مات**، بل لكان قد بَقِيَ حيّاً **كأبيه الله الذي لا يموت ولا يأتي عليه الفناء**. يقول الكتاب المقدّس لدى النّصارى إن الله يقول عن

نفسه:

{**حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ**} (اَلتَّثْنِيَة 32 : 40)

فلو كان عيسى ابنَ الله الحيّ إلى الأبد، **لكان** من اللازم أن يبقى هو أيضاً حيّاً إلى الأبد، **لأنّه ما من ولد إلاّ ويُشبه أباه**. فإن مات عيسى على الصّليب كما يعتقدون، **فلا يُمكن إذاً** أن يكون ابن الله الحيّ إلى الأبد—وبهذا يكون قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن عيسى: **(أتى عليه الفناء) برهاناً مُفحماً للنصارى بأنّه ليس ابن الله**. وبذلك أيضاً نوقن نحن المسلمين أنّ الله **قد تَوفّى عيسى وأتى عليه الفناء**، كما أَخبرَ بذلك سيّدُنا محمّدٌ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم في هذا الحديث.

وفي هذا برهانٌ كافٍ للمؤمنين.

* الحديث الثالث:

الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث جابر قال:

(عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم أنه قال قبل موته بشهر، أو نحواً من ذلك: "ما من نفس منفوسة اليوم، يأتي عليها مائة عام وهي حية يومئذ.")

وقد أخرج مسلم هذا الحديث بهذا الإسناد في الصحيح.

وأمّا في معنى (منفوسة)، فقد جاء:

"'نفس منفوسة' أي مولودة يقال نفست المرأة ونفست فهي منفوسة ونفساء إذا ولدت." وجاء أيضاً:

",نفس منفوسة': أي مصنوعة مخلوقة." /فتح الباري شرح صحيح البخاري

وفي معرِض بيانِ أنّ هذا قانوناً شاملاً لله يسري على جميع البشر نقرأ في (تحفة الأحوذي) للمباركفوري تعليقاً على هذا الحديث يقول:

"..قالوا ومعنى الحديث لا يبقى ممن ترونه أو تعرفونه، **فهو عام** أريد به الخصوص.."

وقال النووي: المراد أن كلّ نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا يعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قل عمره قبل ذلك أم لا، وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، ومعنى نفس منفوسة أي مولودة وفيه احتراز من الملائكة.

وقال الحافظ في الفتح في باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء: "قال النووي وغيره: احتج البخاري ومن قال بقوله بهذا الحديث على موت الخضر."

وبما أنّ عيسى عليه السّلام—باعتباره بشراً ونفْساً منفوسة—وقد مرّ عليه أكثر من ألفي سنّة فلابدّ أن يكون، بحسب هذا الحديث الصّحيح، ميتاً كما ماتت بقية النّفوس المنفوسة التي مرّ عليها مئة سنة أو أكثر بقليل. وذلك مصداقاً للحديث الذي ذكرناه آنفاً.

ونقرأ في صحيح مسلم بشرح الإمام النووي:

".. والمراد أنّ كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قلّ أمرها قبل ذلك أم لا،..ومعنى نفس منفوسة أي مولودة وفيه احتراز من الملائكة.."

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ أنه قَالَ: صَلّىَ بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلاَةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ. فَلَمّا سَلّمَ قَامَ فَقَالَ: "أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنّ عَلَىَ رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لاَ يَبْقَىَ مِمّنْ هُوَ عَلَىَ ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ". صحيح مسلم بشرح النووي

وهكذا نجد في بيان سيّدنا خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلّم تأكيداً على أنّ النفس الإنسانية لا يمكن أن تتجاوز المائة سنة إلاّ ويكون مصيرها الموت بعد ذلك حتماً، أيّ أنها لا يمكن أن تصل إلى مئتي سنة مهما يكن.

إذاً لا يمكن في قضاء الله سبحانه وتعالى أن يطول أمد حياة إنسان فوق سنّة الله المقدّرة دون أن يموت أو ينتكس في الخلق أو يُردّ إلى أرذل العمر، وإلاّ يكون بذلك قد خلد. فهل جعل الله لبشرٍ الخُلدَ في الحياة الدنيا؟

يأتينا بيان ربنا تبارك وتعالى في خطابه لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم حيث يقول:

{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} الأنبياء 35

ويمكن للباحث المحقّق أن يستفيد مما جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني، حيث نقرأ حديثَ ابن عمر عن ابن أبي شيبة:

"أنّ أبا بكر مَرَّ بعُمر وهو يقول: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يَقتل اللهُ المنافقين، وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال: أيها الرجل، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات، ألم تسمع الله تعالى يقول:{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (الزمر 31)؛ وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ}، ثم أتى المنبر فصعد فحمد الله وأثنى عليه فذكر خطبته".

وأما ما جاء في القرآن الكريم عن النبيّ نوح عليه السلام فإننا، آخذين بعين الاعتبار المعاني اللغوية التي شرحناها آنفاً، نجد أنّ الله عزّ وجلّ ينفي أن يكون قد أحيا أيّ إنسان قبل سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم حياة الخلد وفوق العادة بشكل يُناقض سنّة الله وقانونه في البَشر. إذ يقول تبارك وتعالى إنّه لم يُحيِ قَبل محمدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم أيّ بشر مدّة تزيد على حياة البشر المعهودة في قانون الله وسنته.

وإذا ما قرأنا قول ربّنا عزّ وجلّ عن نوح:

{وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ} (الصافات:84) .. نعلم أنّ إبراهيم عليه وعلى آله السّلام كان من أتباع نوح رغم بُعده في الزّمن.

ويتبين من ذلك أنّ زمن نوح كان ممتدًا إلى زمن إبراهيم، ولا يعني قوله تعالى: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خمسين عاماً} أنّ نوحًا عاش في قومه هذه المدة بجسده، بل المراد أنّ شريعته ظلّت نبراسًا للناس في تلك الفترة التي تمتد إلى زمن إبراهيم وموسى؛ وهكذا كان عمره الروحاني تسع مئة سنة إلاّ خمسين عاماً.

وبرهاناً على أنّ بقاء أو لَبْث النبيّ في قومه يمكن أن يعني مدّة بقاء دعوته، نورد النصّ التالي من فيض القدير للإمام المناوي في معرض شرحه لحديث روته عائشة عن رسول الله عليه الصلاة والسّلام حيث قال فيه:

(.. وأخبرني جبريل أنّ عيسى ابن مريم عاش عشرين ومئة سنة ولا أراني إلا ذاهباً على رأس الستين) / وكذلك ورد في الطبراني والمستدرك وهو صحيح، ورجاله ثقات.

قال الذهبي وابن عساكر في تاريخه: "**والصحيح أن عيسى** لم يبلغ هذا العمر **وإنما أراد مدة مقامه في أمته.**"

* الحديث الرابع:

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

(هل خلد نبي قبلي فيمن بُعث فأخلد فيكم؟)

وذلك في الحديث الذي رواه سعيد بن عبد الله عن أبيه الذي قال فيه:

(لما رأت الأنصار أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد، فدخل العباس رضي الله عنه فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه عليٌّ رضي الله عنه فأعلمه بمثله، فمد يده وقال "ها" فتناولوه، فقال "ما تقولون!" قالوا: نقول: نخشى أن تموت، وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على عليّ والفضل، والعباس أمامه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال "أيها الناس، إنّه بلغني أنكم تخافون عَلَيّ الموت كأنه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أَنْع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم؟ **هل خلد نبي قبلي فيمن بُعث فأخلد فيكم؟)** تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي

نستفيد من هذا الحديث في برهانين داحضين:

أوّلاً: لو كان في عقيدة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أن عيسى قد خلد من قبله، لما سأل أصحابه قائلاً: (**هل خلد نبي قبلي فيمن بُعث فأخلد فيكم؟**)

ثانياً: لو كان في عقيدة أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ عيسى كان لا يزال خالداً من قَبل محمّد عليه الصّلاة والسّلام لكان من الواجب أن يردّوا على سؤاله بقولهم: 'نعم! لقد خلد النّبيّ عيسى من قبلك!' ولبطل عندئذ البرهان الذي أراد رسولُ الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم تقديمه لأصحابه على أنّه: كما مات جميع الأنبياء من قبله، فكان لابدّ أن يموت هو أيضاً عليه الصّلاة والسّلام.

وهكذا نجد في بيان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المزيد من البرهان الواضح على حقيقة أنّه لم يخلد أيّ نبيّ قبل محمد صلّى الله عليه وسلّم، وهذا يؤكّد أيضاً، كما برهنّا، موتَ المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام قبل سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

* الحديث الخامس:

(وأخبرني جبريل أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومئة سنة)

وهو الحديث الذي ورد في فيض القدير للإمام المناوي، يقول:

(أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن فاطمة بنت الحسين بن علي أنّ عائشة كانت تقول إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة: 'إنّ جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرّة وأنّه عارضني بالقرآن العام مرتين .. وأخبرني **أنّ عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة** ولا أراني إلاّ ذاهبا على رأس الستين، فَبَكَتْ'.) الحديث.

رواه أبو نعيم عن زيد بن أرقم رفعه؛ وسنده حسن لاعتضاده. أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات عن فاطمة بنت الحسين بن علي. وهو موافق لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1351 هـ.

ولقد ورد هذا الحديث في:

– (فيض القدير للإمام المناوي) موافق لطبعة دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية، 1391 هـ

– (كشف الخفاء للإمام العجلوني) موافق لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1351 هـ.

- (كنز العمال للمتقي الهندي) انظر طبعة عام 1989 لمؤسسة الرسالة

- (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي) طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة 1412 هـ، الموافق 1992 ميلادي.

- (معجم الطبراني الكبير)

- (المقاصد الحسنة للإمام السّخاوي) موافق لطبعة دار الهجرة، بيروت، 1406 هـ - 1986م

من الواضح أنّ هذا الحديث يؤكّد موت عيسى بن مريم، كما بيّن سيّدُنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة الزّهراء عليها السّلام ومن خلالها لنا نحن المسلمين أجمعين. وأمّا فيما يتعلّق بجواب السؤال أين أمضى عيسى ذلك العمر الطّويل، وأين مات ودُفن؟ فسيكون ذلك، إن شاء الله تعالى، موضوع كتاب خاصّ برحلته خارج فلسطين بحثاً عن خراف بيت إسرائيل الضّالّة الذين كان قد شرّدهم نبوخذ نصّر بعد أن عاث فساداً في فلسطين.

* الحديث السادس:

(الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم)

في المجلد التاسع من (مجمع الزوائد)، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807، كتاب المناقب، باب خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما، نقرأ ما يلي:

(عن أبي الطفيل قال: خطَبَنا الحسنُ بن علي بن أبي طالب[1]، فحمِد اللهَ وأثنى عليه، وذَكر أميرَ المؤمنين عليّاً رضي الله عنه، خاتم الأوصياء ووصي الأنبياء وأمين الصديقين والشهداء ثم قال: 'يا أيها الناس! لقد فارقكم رجلٌ ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخِرون. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيه الرايةَ فيقاتلُ جبريلُ عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه؛ ولقد قبضه الله في الليلة التي قبض فيها وصيّ موسى، وعرج بروحه، **في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم**، وفي الليلة التي أنزل الله عز وجل فيها الفرقان ...')

من هذه الرواية التي يرويها الحافظ الهيثمي، من علماء السلف، عن خطبة الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، نتبيّن أيضاً أنّ عيسى عليه

[1] – عليهما السلام.

السلام قد توفّاه الله عزّ وجلّ وعُرِجَ بروحه إلى السّماء، كما عُرِجَ بأرواح المؤمنين والنبيين الذين توفّاهم الله تعالى.

* الحديث السابع:

(طَلبُ عيسى من حوارييه الدعاء له بأن يُخفّف الله عنه سكرة الموت.)

حيث نقرأ في (الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور) للإمام جلال الدين السيوطي[1] ما يلي:

(أخرج أحمد عن الحسن بن علي الصنعاني قال: بلغنا أنّ عيسى عليه السلام قال:

"يا معشر الحواريين أُدعوا الله أن يخفّف عني هذه السكرة – يعني الموت."

نتبيّن من هذه الرواية أنّ عيسى عليه السلام حين وافاه الأجل كان يُحتضر في الأرض بين حوارييه، وقد طَلب منهم الدّعاء له أن يُخَفّف اللهُ عنه سكرة

[1] – انظر نسخة دار الفكر، الطبعة الثانية 1403 هـ، 1983 م

الموت التي كان يُعالجها. وفي هذا دليل على أنّه قد مات وتوفّاه الله في الأرض، وأنّه لم يرتفع إلى السّماء.

*** الحديث الثامن:**

في ليلة الإسراء كانت روح عيسى مع أرواح باقي النبيين الذين توفّاهم الله عزّ وجلّ.

وهذا ثابت من الأحاديث الموثّقة في العديد من المراجع الشهيرة، حيث نقرأ في صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ما يلي:

(وقد ثبت في حديث الإسراء أنّ **النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في السموات وفي بيت المقدس وصلى بهم** ..)

نُلاحظ هنا القول بأنّ النبيّين كانوا في السموات أيضاً، أي كانت أرواحهم في السموات حين اجتمع بهم النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وذلك لأنّهم كانوا جميعاً قد توفّاهم الله قبل عروج سيّدنا مُحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ كما يؤكّد هذا أيضاً أنّ عروج سيّدنا محمّد عليه الصلاة والسّلام قد

كان بروحه في الرّؤيا، ولم يكن بجسده المادّي، كما سأبرهن حالاً بعون الله تعالى.

وقد أكّد القرآن الكريم على أنّ إسراء الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم كان في الرّؤيا (أي المنام)، فقال:

{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ} الإسراء: 60

نقرأ في صحيح البخاري ما يلي:

"{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا..}؛ أكثر المفسرين على أنّ المراد بالرؤيا ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات، فلمّا ذكرها للناس أنكر بعضهم وكذبوا، فكانت فتنة لهم، واختباراً للمسلمين.." صحيح البخاري

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني:

(في تفسير قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ} (الإسراء 61) قال: (أي ابن عباس): هي رؤيا عين أُريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس) .. وقد تمسك بكلام ابن عباس هذا من قال الإسراء كان في المنام ومن قال إنه كان في اليقظة، فالأول أُخذ من لفظ الرؤيا، قال: لأنّ **هذا اللفظ مختص برؤيا المنام** .. وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب في القرآن فقال: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} (النجم 12)."

وبعد أن أورد الإمام العسقلاني في كتابه المذكور الاختلاف بين العلماء،

قال:

"وقالوا: إنما يقال **رؤيا** في المنام، وأما التي في اليقظة فيقال **رؤية**."

ويؤكّد هذا الكلام ابن منظور في معجمه الشهير (لسان العرب)، إذ يقول فيه:

"**والرُّؤْيا: ما رأَيْتَه في منامِك** .. الرُّؤيَة: بالعَيْن .. الرُّؤيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْن والقَلْب."

وجاء في (الجامع لأحكام القرطبي)، المشهور بـ (تفسير القرطبي) ما يلي:

"وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم معارج؛ فلا يبعد أن يكون البعض بالرؤيا، وعليه يحمل قوله عليه السلام في الصحيح: (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان...) الحديث. ويحتمل أن يرد من الإسراء إلى نوم. والله أعلم."

وفي المجلّد الثاني من السيرة النبوية لابن هشام نقرأ الرواية التالية:

"قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أنّ معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سُئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: '**كانت رؤيا من الله تعالى صادقة**'.

وفي 'ذكر الإسراء والمعراج'، باب جواز أن يكون الإسراء رؤيا، من المرجع المذكور، نقرأ:

"حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد، قال: حدثني بعض آل أبي بكر، أن عائشة كانت تقول: (**ما فُقد جسد رسول الله**، صلى الله عليه وسلم، **ولكنّ الله أَسرى بروحه**.)

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال ابن إسحاق: (فلم يُنكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ} الإسراء 60، ولقول الله في الخبر عن إبراهيم، إذ قال لابنه: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى} (الصافات 103)، ثم مضى على ذلك، فعرفتُ أنّ الوحي يأتي الأنبياءَ من الله **أيقاظا ونياما**، وكان رسول صلى الله عليه وسلم يقول: "تنام عيني وقلبي يقظان"، فالله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله ما عاين على أيّ حالاته كان نائما أو يقظانا، **وكل ذلك حق وصدق**."

وفي (المستدرك على الصحيحين) للإمام النيسابوري:

"عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال:

لَقي عمرُ بن الخطاب عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. فقال: يا أبا الحسن، الرجل يرى الرؤيا، فمنها ما تصدق، ومنها ما تكذب.

قال: نعم؛ سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، يقول: (ما من عبد ولا أَمَة ينام فيمتلئ نوماً، إلا عُرج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق، والذي يستيقظ دون العرش فتلك

الرؤيا التي تكذب)."

وفي كتاب (محمد صلى الله عليه وسلم) لمحمد رضا، وفي بحث الإسراء والمعراج، نقرأ:

"واختُلف في كيفية الإسراء، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنّه أُسري بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأقلون قالوا إنه ما أُسري إلاّ بروحه." وقال:

حُكي عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال **ذلك رُؤيا** وأنه **ما فُقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أسرى بروحه**. حُكي هذا القول أيضا عن عائشة رضي الله عنها وعن معاوية رضي الله عنه.. "

ورغم أنّ الإسراء والمعراج ليس من مواضيع هذا الكتاب، وأنّه يحتاج إلى إفراد بحث مفصّل في كتاب آخر، إلاّ أنّ الضرورة تُحتّم علينا هذا البيان بشكل مختصر للبرهان على أنّ عيسى هو الآن في روحه في السّماء بعد أن توفّاه الله تعالى كما توفّى جميع الأنبياء والرّسل.

ومُتابعةً للبرهان نروي من التفسير الكبير للإمام فخر الرّازي المجلد العاشر بعض ما رواه من روايات تتعلّق بحقيقة الإسراء، بغضّ النّظر عن موافقته أو مخالفته، حيث يقول:

"وروي عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

(بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النّائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق)."

ويُتابع الإمام الرّازي، فيقول:

"اختُلف في كيفية الإسراء، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتّفقوا على أنه أسري بجسد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، **والأقلّون** قالوا: **ما أُسري إلاّ بروحه،** حُكي عن محمد بن جرير الطّبري في تفسيره عن حذيفة أنّه قال 'ذلك رؤيا، وأنّه ما فُقد جسد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما أُسري بروحه.' وحُكي هذا القول أيضاً عن عائشة رضي الله عنها، وعن معاوية رضي الله عنه."

وفي معرض متابعة بيانه يقول الإمام الرّازي:

"قلنا: نحن لا نتمسّك بمجرّد اللفظ .. بل إنّما نتمسّك بمحض العقل."

ويقول: "إذا ثبت هذا فنقول: {سبحان الذي أسرى بعبده}، **المراد من العبد جوهر الرّوح**؛ وعلى هذا التقدير **فلم يبق في الآية دلالة على حصول الإسراء بالجسد.**" ويقول:

".. **لا يبعد أن يُقال: إنّه حصل لروحه** من أنواع المكاشفات والمشاهدات ما لم يحصل لغيره البتّة .."

ومن الإشكالات التي يسوقها الإمام الرازي، قوله:

"والشبهة الثانية: أنّ هذا المعنى[1] **لو صحّ لكان أعظم من سائر المعجزات**. وكان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلّوا به على صدقه في ادّعاء النبوّة. **فأمّا أن يحصل ذلك في وقت لا يراه أحد ولا يشاهده أحد، فإنّه يكون ذلك عبثاً، وذلك لا يليق بالحكيم**."

وفي الشبهة الثالثة يقول الإمام الرّازي نقلاً عن آراء بعض المفسرين:

"{وَمَا جَعَلْنَا **الرُّؤْيَا** الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ} (الإسراء 61). **وما تلك الرؤيا إلاّ حديث المعراج**، وإنّما كان فتنة للناس. لأنّ كثيراً ممّن آمن به لما سمع هذا الكلام كذَّبه وكفر به، **فكان حديث المعراج سبباً لفتنة النّاس**.."

ويقول في الشبهة الرّابعة:

".. حديث المعراج اشتمل على أشياء بعيدة، منها ما روي من شق بطنه وتطهيره بماء زمزم، وهو بعيد، **لأنّ الذي يمكن غسله بالماء هو النجاسات العينية، ولا تأثير لذلك في تطهير القلب** عن العقائد الباطلة والأخلاق المذمومة. ومنها ما روي من ركوب البراق، وهو بعيد؛ **لأنه تعالى لمّا سيّره من هذا العالم إلى عالم الأفلاك، فأيّ حاجة إلى البراق؟**"

المجلّد العاشر في تفسير سورة الإسراء {سبحان الذي أسرى} ص 146-153

[1] – أي العروج بالجسد

وبالمختصر:

يتأكّد لنا أنّ عروج الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كان بالرّوح وليس بالجسد من البراهين التالية:

1) وصفُ القرآن للحدث بأنّه كان '**رؤيا**' (وهي للمنام)، وليس '**رؤية**' التي هي للعين). هذا وإن كان من الصّحيح أن يُرى الكشفُ رأيَ العين حيث نقرأ في القرآن الكريم أنّ الله قد جعل المؤمنين يرون الكافرين مثليهم رأي العين[1]، وهم لم يكونوا كذلك. وهذا يدلّ على أنّ الكشف هو حالة روحية في كلّ ما يُرى، وليس حالة مادّية وإن كانت الرؤية في حالة اليقظة.

المهمّ أنّ هذه الآية تؤكّد أنّ الله يُري المؤمنين بالكشف أموراً وكأنّها كانت في اليقظة، بحيث يمكن لمن يراها أن يتحدّث عنها كما لو كانت حقيقية واقعية وفي اليقظة. تعالوا نقرأ الآيات التالية من كتاب الله المجيد:

{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ} (الإسراء 61)

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ **يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ** وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ}

(آل عمران 14)

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً} (الأنفال 45)

---

[1] – انظر الجامع لأحكام القرطبي في تفسير الآية ﴿ يرونهم مثليهم رأي العين ﴾.

2) **لا يُمكن للرؤية المادّية أن ترى معالم العوالم الرّوحانية**، وإلاّ فإنّ هذا يستلزم من البصر المادّي **أن يزوغ** عن عالمه المادّي **ثم يطغى** فيتجاوز حدود هذا العالم إلى العالم الرّوحاني. ولكننا نجد القرآن ينفي أن يكون بصر الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم قد زاغ أو طغى ليلة الإسراء وفي المعراج، فيقول في سورة النّجم:

{**مَا زَاغَ** الْبَصَرُ **وَمَا طَغَى**} (النجم 18)

ويؤكّد القرآن الكريم على أنّ رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في إسرائه ومعراجه لم تكن رؤية عينية مادّية، بل كانت رؤيا قلبية فؤادية صادقة، فيقول:

{مَا كَذَبَ **الْفُؤَادُ** مَا رَأَى} (النجم 12)

أي أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قد رأى ليلة الإسراء ما رأى **بفؤاده وقلبه** وليس بعينيه المادّيتين، وذلك لأنّه كان قد أسري بروحه في حالة الكشف وليس بجسده. وقد ثبتَ أنّه يمكن للكشف أن يكون في حالة النّوم أو اليقظة مع بقاء الجسد في مكانه دون موت أو نوم. ولذلك فقد رأى الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة الإسراء ما رأى برؤية كشفية حقيقية وكاملة أقوى من رأيِ العين. وهذا ما يؤكّده الحديث الذي يقول أنّه عندما كذَّبت قريشُ رسولَ الله، صلى الله عليه وآله وسلّم، في إسرائه فسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، **أراه الله البيتَ حاضراً أمامه دون أن**

ينقله من مكانه أو يأخذه إليه. تعالوا نقرأ الحديث عن جابر في مسند أحمد حيث قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

(لما كذبتني قريش حين أُسري بي إلى بيت المقدس قمتُ في الحجر **فجلّى اللهُ لي بيتَ المقدس، فطفقتُ أخبرُهم عن آياته وأنا أنظر إليه.**)

التخريج (مفصلا): أحمد في مسنده ومتفق عليه، البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن جابر.
وفي تصحيح السيوطي: صحيح

يؤكّد هذا الحديث أنّ الله لم يكن، ليلة الإسراء، في حاجة لأنْ يأخذ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الفضاء الخارجي أو عالم الأرواح، بل كان قادراً على أن يُريَه كلّ شيء وهو في مكانه نائماً أو يقظاناً، كما ورد في الأحاديث التي ذكرناها آنفاً.

3) يتبيّن من وقائع حديث الإسراء أنّه قد كان، بكلّ تأكيد، في الرّؤيا وليس في الواقع المادّي بدليل البرهان التالي الذي **يُبيّن ضرورة التأويل** كما يكون الأمر في الرؤيا والمنام.

(عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "حِينَ أُسْرِيَ بِي .. أُتِيتُ بِإِنَائَيْنِ أحدهما لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي خُذْ أَيّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ لِلْفِطْرَةِ، أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمّتُكَ.) حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

في الواقع المادّي اللبن هو اللبن **ولا يحتاج إلى أيّ تأويل**، وكذلك بالنسبة

إلى الخمر، ولكننا نجد من هذا الحديث أنّه قد تمّ **تأويل** اللبن بأنّه الفطرة، والخمر بأنّه الوقوع في الغواية[1]. وهذا **التأويل لا يكون إلاّ في حالة المنام (الرؤيا)**. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

(من رأى انه يشرب لبناً فهو الفطرة)

ورد هذا الحديث في (فتح الباري) شرح صحيح البخاري للإمام العسقلاني، كما أورده الإمام ابن سيرين في (تفسير الأحلام) .. أخرجه البزاز من حديث أبي هريرة.

وفي صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، نقرأ:

(وقوله: "اخترتَ الفطرة"، **فسَّروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة.** ومعناه، والله أعلم: اخترتَ علامة الإسلام والاستقامة..)

وفي صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، نقرأ أيضاً:

(فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانا.)

من الواضح أنّ الحكمة والإيمان لَيسا أشياء مادّية يمكن وضعها في الطّسوت والأواني، سواءً أكانت من ذهب أم من فضّة. بل إنّ محلّها العقول والقلوب التي يفهم بها الإنسان ويعقل. وهذا يُزيدنا تأكيداً أنّ واقعة الإسراء والمعراج لم تكن واقعة جسدية ومادّية على الإطلاق، وإنّما كانت رؤيا وكشفاً روحانياً عظيماً أنعم الله به على عبده محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأوحى له فيه ما أوحى.

---

[1] – وفي بعض الروايات جاء تأويل المرأة العجوز الشمطاء بأنّها الدّنيا.

وأمّا عن القول بأنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قد عرج إلى السمّاء بجسده بدليل قول الله عزّ وجل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} وأنّ كلمة {عَبْدِه} تُشير إلى أنّ الله قد أسرى برسوله بالرّوح والجسد—بحجّة أنّ العبد هو الروح والجسد معاً، فنقول: إنّ هذا الفهم يدحضه القرآن ذاتُه، حيث يُخاطب اللهُ الأنفسَ بعد تَوفّيها لتدخل في عالم الأرواح، قائلاً:

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** * وَادْخُلِي جَنَّتِي} (الفجر 28-31)

فها هي ذي الأنفس هنا، بعد أن يتوفّاها الله، تدخل في عباد الله الذين يكونون في عالم الأرواح وليس في عالم الأجساد المادّية الفانية. ونلاحظ هنا أنّ الآية الكريمة تقول عن هذه الأنفس والأرواح بأنّها عباد الله: {عبادي}. وهذا يؤكّد أنّ قول الله عزّ وجلّ: {أَسرى بِعَبْدِهِ} لا يتناقض مع أن يكون الإسراء بروح محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الشريفة، خاصّة وأننا نعلم، أيضاً من القرآن الكريم، أنّ الله يتوفّ جميع الأنفس في منامها فتكون عنده إلى أن يُرسلها. يقول تعالى:

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا **وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ **وَيُرْسِلُ الأُخْرَى** إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} (الزمر 43)

4) ينفي بيانُ الله العظيم، في كتابه المجيد، أن يُسمح لبشرٍ أن يرقى في السّماء وهو لا يزال حيّاً في جسده، حتى لو كان نبيّاً، ولو كان الرّسول

صلّى الله عليه وآله وسلّم ذاته. نعلم ذلك من القرآن العظيم في بيان ربّنا عزّ وجل عن جدل الكافرين للرسولّ صلى الله عليه وآله وسلّم، كما في الآية التالية:

{وَقَالُوا **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ** حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ **أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ**..} (الإسراء 91-94)

نُلاحظ هنا أنّ من مطالب الذين كفروا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلم هي أنّهم قد أرادوا منه أن {**يرقى في السّماء**}. ولو أنّه قد رَقي في السّماء ليلة الإسراء والمعراج، لكان قال لهم: 'لقد رقيتُ في السماء ليلة الإسراء والمعراج'؛ ولكنّنا نجد هنا أنّه يردّ عليهم، بأمر الله عزّ وجلّ، بالقول:

{قُلْ **سُبْحَانَ رَبِّي** هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَرًا رَسُولاً} (الإسراء 94)

ولماذا يُنزّه، هنا، سيدُنا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلم ربَّه من أن يرقى في السّماء، رغم أنّه هو القادر على كلّ شيء؟

لأنّه لو سمح له الله أن يرقى لكانَ قد خالف قانونَه الذي قال فيه:

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} (طه 56)

وقوله تبارك وتعالى:

{فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} (الأعراف 26)

وهكذا فإنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يرقَ ليلة الإسراء في السّماء إلاّ بروحه، ولم ير موسى وعيسى إلاّ بروحه. وهذا يُبرهن على أنّ المسيح عيسى عليه السلام كان أيضاً بين أرواح الأنبياء بروحه وليس بجسده المادّي لأنّه كان قد توفّاه الله تعالى ودخل في أرواح النّبيين——وهذا برهان داحض على موته.

نقول هذا لأنّه رُوي أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قد رأى عيسى عليه السلام في السّماء ليلة الإسراء، كما يلي:

(عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم"رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا طوالا جعدا كأنه من رجال شنوأة، **ورأيت عيسى** بن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض..)

في جامع البيان للطبري/ومختصر ابن كثير

وفي زيادة الجامع الصغير نقرأ الحديث الشريف الذي يقول سيّدُنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فيه:

"ليلة أسري بي رأيتُ موسى وإذا هو رجل ضرب كأنه من رجال شنوءة، **ورأيت عيسى** فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس، ورأيت إبراهيم .. ثم أُتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقيل لي اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقيل لي أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.) عن أبي هريرة.

وفي سنن الترمذي:

عَن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم قَالَ:

"عُرِضَ عَلَيَّ الأنبياءُ فإذا مُوسَى ضربٌ من الرِّجالِ كأَنَّهُ من رجالِ شنُوءةَ، **ورأيتُ عيسى بنَ مريمَ ..)**

وهكذا فقد رأى سيُّدنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلّم عيسى بنَ مريم في أرواح الأنبياء في السّماء لأنّه كان قد توفّاه الله (توفّى عيسى) ورفع روحه كما رَفع أرواح جميع الأنبياء—ولم يكن مُطلقاً هناك في جسده الترابيّ المادّي.

وعلى كلّ حال فإنّ واقعة إسراء الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم تبقى آية عظيمة من الله لها دلالاتها ونبوءاتها الحالية والمستقبلية التي تُبرهن على صدق الله ورسوله.

* الحديث التاسع:

الحديث الشريف:

(لا نبيّ بعدي) / أخرجه أحمد في مسنده عن حذيفة، وفي الجامع الصغير

يؤمن جميع المسلمين أنّ الله عزّ وجلّ قد بعث المسيح عيسى بن مريم

نبيّاً ورسولاً إلى بني إسرائيل فقال:

{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} (آل عمران 50)

ولا شكّ في أنّ الرسول الذي من عند الله لا بدّ أن يكون نبيّاً باعتبار أنّه ينبّئ قومه بكلّ ما يوحي الله إليه ويُنزّل عليه.

وهكذا فإنّ المسيح عيسى بن مريم هو نبيّ بشهادة القرآن الكريم. ولو اعتقدنا بأنّه سينزل بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ليهدي العالمين إلى دين الإسلام فيملأ الأرض ببيان القرآن الكريم وعدل الإسلام وسلامه، فهذا سيُلزمنا باعتبار الحديث الشريف (لا نبيّ بعدي) باطلاً، وذلك، كما قلنا، لأنّ عيسى بن مريم نبيّ، ولذلك لا يُمكن له أن يأتي بعد سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم—مخالفاً حديثه: (لا نبيّ بعدي)!

وأمّا أن نقبل قولَ القائلين بأنّه نبيّ سابق وليس نبيّاً جديداً، وأنّه حين ينزل سيعمل بالقرآن والإسلام ومن دون وحي جديد من الله، وهو لذلك لا يُناقض ختم النبيين، ولا يُنتقض حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّه لا نبيّ بعده، فهذا تلفيق لا برهان له، وهو مرفوض من وجوه كثيرة يُدركها المتفكّرون، الذين يأبون أن يغشّوا أفهامهم وقناعاتهم باسم الدّين والإيمان ويأبون القبول من غير برهان ولا سلطان.

* فائدة:

(مسألة ذكر الطبري لقبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام)

ونقرأ ذِكر ذلك في (تاريخ الطبري—تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310 هـ) الجزء الأوّل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر دار سويدان، بيروت–لبنان. وقد جاء فيه أنّ في كتابٍ، كان يقرؤه جماعة من الفرس من أهل (ماه)، ورد ما يلي:

".. ثم دخل علينا ناس من أهل (ماه) من الفرس، يبيعون الخَرَز، فقلتُ لهم: هل لكم من كتاب؟ فقالوا نعم .. فإذا يقرؤونه، فإذا فيه: '**هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام**. إلى أهل هذه البلاد؛ فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزّمان، **مات (عيسى) عندهم**، **فدفنوه على رأس الجبل.**'" / ص 604

وإنني أورد هذا لمن يهتمّ بما ورد في وثائق التاريخ من سلسلة (روائع التراث العربي) التي نشر ناشروها، وهي (تاريخ الطبري) كما ذكرنا آنفاً. وإلاّ فإنّ في بيان الله ورسوله، كما بيّنا، القول الفصل، {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} النساء 80

الملفّ الثالث

معجزات المسيح

* تقديم ..

من المؤسف أنّ عامة المسلمين وكثيراً من علمائهم ما زالوا يؤمنون، حتى اليوم، بخوارق يزعمون أنّ المسيح قد قام بها بشكلّ مادّي دون أن ينتبهوا إلى أنّ هذا الفهم المادّي أو الحرفي الذي يؤمنون به يُدخِل في الشرك لأنه يتناقض مع التوحيد وبيان القرآن الكريم، كما أنّه يجعل من المسيح عيسى ابن مريم في مقام أعظم من سيّدنا خاتم النّبيين محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وإليكم البيان:

نبدأ أوّلاً بفهم هؤلاء لقول الله عزّ وجلّ عن عيسى عليه السلام:

{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران 50)

في هذا الملفّ سأعمد بعون الله تعالى إلى بيان ما جاء في هذه الآية الكريمة على لسان عيسى عليه السلام:

1) {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ..}

2) {وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ ..}

3) {وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ..}

4) {وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ}

إنّ الفهم الحرفي الشائع لهذه الآيات الكريمة يُثير مجموعة من الإشكالات، وهي:

* الإشكال الأوّل:

خَلْق الطّير ..

مِن العقائد الخاطئة الشائعة بين المسلمين أنّ عيسى عليه السّلام كان يُشكلّ من الطّين شكلَ الطّير ثم ينفخ فيه بنَفَسِه فيتحول من الطين إلى طير يطير في السّماء. ويقولون إنّ هذه من معجزاته الخارقة التي كان يخلق فيها الطّير بإذن الله. ويستدلّون على ذلك بالآية الكريمة من القرآن الكريم، حيث يقول المسيح عليه السّلام:

{أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ}

لاشكّ في أنّ هذه الآية الكريمة قائمة حقّاً في كتاب الله المجيد القرآن الكريم. ولكنّ الإشكال يكمن في الفهم الخاطئ المفتقر إلى التدبّر العميق فيجعل الآية متناقضة مع آيات أخرى من القرآن الكريم الذي قال ربُّنا عزّ وجلّ فيه:

{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ **اخْتِلافًا كَثِيرًا**} (النساء 83)

واستجابة لأمرّ ربّنا عزّ وجلّ في تدبّر القرآن وفهمه بشكل لا يكون فيه اختلاف أو تناقض سنعمد إلى التّفكّر التالي لمن أراد أن يلقي السّمع وهو

شهيد.

نؤمن من القرآن الكريم أنّ الله وحده هو الخالق، حيث يقول عزّ وجلّ عن نفسه:

{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ} الحشر 24

هو الله الخالق، ولا خالق سواه. وهو وحده ربّنا الذي لا إله إلاّ هو خالق كلّ شيء، كما أرادنا أن نؤمن فقال:

{قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد 17)

الله خالق كلّ شيء ولم يَخلقْ غيرُه ولا يَخلقُ شيئاً، وإلاّ لتشابه الخلق على النّاس، وجعلوا له بذلك شركاء؛ قال تعالى:

{أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ؟}

من الواضح أنّ ربّنا عزّ وجلّ يحذّرنا هنا من الأخذ باعتقاد من يعتقد أنّ أحداً خَلَقَ كخلقه، لأنّه إنّما يكون بذلك قد جعل لله شريكاً في صفة الخَلق؛ وهذا شِرك مبين يأباه التوحيد الحق؛ لأنّ الله وحده {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الزمر 62)

ثمّ يسأل اللهُ النّاسَ جميعاً ليشهدوا فيقول:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} (فاطر 3)

ثم يُبيّن، في الآية ذاتها، أنّ هذا الأمر له علاقة وثيقة بالتّوحيد فيقول:

{لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (فاطر 3)

وقوله: {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} يُبيّن أنّ الاعتقاد بأنّ أحداً غير الله قد خَلق شيئاً إنّما هو كذب وإفك مُبين.

* عيسى لا يقدر أن يخلق ولا حتى ذُبابة:

وإليكم البيان ..

لقد بيّنَ اللهُ لنا في القرآن الكريم أنّ النصارى دَعَوا المسيحَ بن مريم ربّاً من دون الله، فقال:

{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ **وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة 31

ثمّ بَيّن اللهُ لنا في كلامه المجيد في القرآن الكريم أنّ كلّ من دُعيَ من دون الله—ومن بينهم المسيح بن مريم—لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً، ولا حتّى ذباباً، ولو اجتمعوا له؛ وأنهم ليسوا فقط أضعف من أن يخلقوا ذُباباً، بل لو أنّ الذباب سلبهم شيئاً فإنّهم لا يستطيعون أن يستنقذوه منه، فقال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (الحج 73)

وبما أنّ المسيح بن مريم هو من ضمن من دُعوا من دون الله، ومن ضمن الذين لا يستطيعون أن يخلقوا ذُباباً، فكيف يصحّ القول بأنّه خَلَقَ الطّير من الطّين؟ إنّ هذا الزّعم على حساب القرآن يؤدّي إلى الاعتقاد بوجود اختلاف وتناقض في كتاب الله، وهذا لا يصحّ كما بيّنا آنفاً بحسب قول الله تعالى:

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} (النساء 83)

ثم يسأل اللهُ متحدّياً الذين يقولون أنّه يمكن لأحد أن يخلق شيئاً من الأرض أو من تُرابها أو من الطّين فيكون له بذلك شِرك في الألوهية، فيقول عزّ وجلّ:

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} (الأحقاف 5)، ويقول:

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ **أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ**؟} (فاطر 41)

بهذا يتحدّى اللهُ سائلاً:

{**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ**؟}

فهل نقول له إنّ عيسى قد خلق الطّير من الأرض، من طينها؟

ألا نؤكّد عند ذلك أنّه ليس من البشر، بل له شرك في السّموات، وأنّه خيرٌ حتّى من محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم[1]، لأنّ الذي يخلق ليس كمن لا يخلق، مثلما قال ربّنا مؤكّداً:

{أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ؟} (النحل17)

فلو أنّ عيسى كان قد خَلقَ شيئاً، ولو حتى بإذن الله، لكان خيراً من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولصحّ اعتقاد النصارى بأنّه ليس بشراً، بل هو الله أو ابن الله وله شرك في السموات بحسب القرآن في الآية التي ذكرتها آنفاً.

ثمّ يؤكّد ربّنا تبارك وتعالى في كتابه المجيد ببيان واضح مهيب، أنّ الذين دُعوا آلهة من دون الله لا يخلقون شيئاً، بل هم يُخلَقون، فيقول:

{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} (النحل). 20)
ويقول:

{وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً **وَلا يَمْلِكُونَ** مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً} (الفرقان3)

أي أنّ عيسى—الذي اتّخذه النصارى إلهاً من جملة الآلهة التي اتّخذها الناس من دون الله—لا يخلق ولم يخلق شيئاً، بل هو مخلوق كباقي

[1] – لا يعتقد أحد من المسلمين أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم قد خَلَق شيئاً، ولا حتى بإذن الله.

المخلوقين، وهو كبقيّة الآلهة التي اتّخذها الناس بالباطل، من دون الله الواحد الأحد، لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، وكذلك **لا يملك** لنفسه ولا لأحد موتاً **ولا حياة** ولا نشوراً.

ثمّ يطرح ربُّنا عزّ وجلّ السؤالَ المبين الشّامل، فيقول:

{أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} (الأعراف 192)

يعني لو صحّ الاعتقاد بأنّ أحداً سوى الله قد خلق شيئاً لكان ثمّة مبرّر لهم أن يُشركوا به، ولكن الحقّ المبين أنّه ليس ثمّة أحد سوى الله يمكن أن يخلق شيئاً—ولا حتى المسيح عيسى بن مريم الذي اتّخذته النصارى إلهاً من دون الله.

ثمّ يؤكّد الله عزّ وجلّ أنّ الذين من دونه لم يخلقوا شيئاً، فيقول ويسأل:

{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ **فَأَرُونِي** مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (لقمان 12)

{**فَأَرُونِي** مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ؟}

لا شكّ في أنّ عيسى كعبدٍ ومخلوق لله تعالى هو من دون الله، فهل تستطيعون أن تُرُوا اللهَ ماذا خَلقَ، لو كان قد خلق؟ أم أنّكم ستُجيبون على سؤال الله بقولكم: إنّ المسيح، وإن كان من دونك يا الله، قد خلق الطّيرَ بإذنك؟

ونورد في هذا المقام، للتفكّر، لَمْحتين ذَكَرهما الإمامُ فخر الرّازي في (التفسير الكبير) حيث نَقَل عن بعض المتكلّمين السؤال التالي:

"هل يجوز أن يُقال: إنّه تعالى قد أودع في نَفَس عيسى عليه السلام خاصّيةً بحيث متى نفخَ في شيء كان نَفْخُه فيه موجباً لصيرورة ذلك الشّيء حيّاً؟ ... وحُكي عن إبراهيم عليه السّلام أنّه قال في مناظرته مع الملِك {ربّي الذي يُحيي ويُميت} فلو حصل لغيره (لغير الله) هذه الصّفة، لبطل ذلك الاستدلال."

سؤال: لقد أَلَّه النصارى المسيح عيسى بنَ مريم، ونسبوا إليه صفات إلهية صريحة، ولكنّهم، مع ذلك لم ينسبوا إليه أنّه قد خلق الطّير، ولو فعلوا لدعم ذلك تأليههم له؛ ولكنّهم لم يفعلوا، ممّا يدلّ على أنّ الأمر لم يحدث بالصورة الخرافية الشّائعة التي يتصوّرها عامّة الناس. فما هي حقيقة الأمر؟

* معنى قول عيسى: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}..

نقرأ في القرآن الكريم أنّ الله عزّ وجلّ قد خلق الإنسان من عناصر مختلفة، فقال:

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ **مِنَ الْمَاءِ** بَشَرًا} (الفرقان 55)

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ **مِنْ تُرَابٍ**} (فاطر 12)

{خَلَقَ الإِنْسَانَ **مِنْ صَلْصَالٍ** كَالْفَخَّارِ} (الرحمن 15)

{وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ **مِنْ طِينٍ**} (السجدة 8)

{خَلَقَ الإِنْسَانَ **مِنْ عَلَقٍ**} (العلق 3)

{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ **مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**} (المرسلات 21)

وهكذا فقد خلق اللهُ الإنسان من ماء، وتراب، وطين، وصلصال، وعلق، وماء مهين وهذه كلّها أشياء مادّية لابدّ أن يكون لها دور وأثر في الإنسان الذي خلَقه الله منها، باعتبارها مادّة خَلْقه.

ونجد من القرآن الكريم أيضاً أنّ الله تعالى قد خلق الإنسان من عناصر غير مادّية، فقال:

{خُلِقَ الإِنْسَانُ **مِنْ عَجَلٍ**} (الأنبياء 38)

وقال:

{خَلَقَكُمْ **مِنْ ضَعْفٍ**} (الروم 55)

لاشكّ في أنّ 'العَجَل' و 'الضّعف' ليسا عناصر مادّية، ومن الواضح أنّ الله ذكرهما ليبيّن أنّ الإنسان يتّصف بهذه الصّفات التي خلقه الله منها رغم أنّهما ليست مادّية، فالإنسان بطبيعته عجول وهو، في خَلقه ضعيف، وهكذا..

إذاً بالإضافة إلى معرفتنا، من القرآن الكريم، بالعناصر التي خَلق اللّهُ

الإنسانَ منها، يمكننا أيضاً أن نعرف الصفات التي يتّصف بها الإنسان بسبب خلقه من هذه العناصر وأثر غَلَبَةِ بعض صفاتها عليه. فمثلاً الإنسان الذي تَغْلِب عليه صفة التراب يكون غير قابل للقولبة والتشكيل بشكل معيّن، بل يكون منتثراً كالتراب كلّما تمّ لمه عاد فانفرط، في حين أنّ الشيء الذي تَغْلِب عليه صفةُ الطّين بسبب وجود الماء فيه فإنّه يكون قابلاً للتشكيل في الصّورة التي يُصنع منها. وبما أنّ القرآن الكريم يرمز، في مواقع عديدة، بالماء إلى الوحي السّماوي، فهذا يعني أنّ الإنسان، الذي تغلب عليه صفة التراب، لو استفاد من ماء الوحي السماوي الذي ينزل على النّبي لصار كالطّين القابل للتشكيل بأثر تعليم النّبي الذي هو نَفْخُه في قومه. ومن هنا نستطيع فهم دعوى عيسى عليه السلام لقومه أنّه يَخلق **من الطّين** طيراً بِنَفْخِه.

تعالوا نُتابع دعوى المسيح من بدايتها كما جاءت في القرآن الكريم، حيث يقول المسيح لقومه:

{أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ **مِنَ الطِّينِ** كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ} (آل عمران 50)

وتجدر الملاحظة هنا أنّ الهاء في لفظة {فيه} تعود على الشّخص وليس على الطّين. كما ورد في آية أخرى أنّ عيسى ينفخ في الهيئة التي هي حال الشيء وكيفيته. يقول تعالى في القرآن الكريم لعيسى:

{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي} (المائدة 111)

يقول المسيح هنا إنّ من آيات صدق دعوتِه أنّه بهدْيه وتعاليمه السماوية، التي هي نفخُه، يجعل من الإنسان، الذي يكون كالطّين قابلاً للتشكّل، طيراً متسامياً في التعالي فوق الرّغبات المادّية والانشغالات الدّنيوية؛ دأبُه التحليقُ عالياً في السّماء الروحانية إلى أن يُلاقي ربّه. قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ} (الانْشقاق 7)

وبمعنى آخر إنّ النّبيّ لا يعمل بالنفث والنّفخ كالسحرة والمشعوذين، **بل إنّ نفْخَه هو هَدْيُه وتعاليمه السّماوية** التي يستطيع من خلالها أن يُحدِثَ تغييراً في أتباعه الذين يكونون قابلين للتغيير من خلال الأخذ بتعاليمه التي تجعلهم يتركون الخلود إلى الأرض والانشغالات المادّية الدنيوية المحضة ويتسامون فوقها، بهدي الله تعالى، فَتَعْلوا، بنفخ الرسول، مقاماتُهم الروحانيّة ويصيرون كالطّيور التي تطير عالياً في السّماء.

وأمّا عن معنى كلمة {أَخْلُقُ} فيُبيّن الإمام فخر الرّازي أنّ "الخلق عبارة عن التقدير والتسوية." مج 4 ص 55 من التفسير الكبير

وبما أنّ التقدير والتسوية هما أيضاً من قدرات البشر فقد وصفَهم الله في كتابه أنّهم {خالِقين} فقال:

{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (المؤمنون 15)

فإذا ما كان الصّانع في تقديره وتسويته يخلق صنعته المادية أو المعنوية، فإنّ صنعة الرّسول وخَلْقه، في تقديره وتسويته، من خلال دعوته، هي أن يجعل من الناس القابلين للتشكل (كالطين) طيوراً تتسامى فوق الدّنيا وترتفع إلى الله كالطيور التي تعلوا في السّماء، وذلك بعد أن ينفخ فيهم هديَه وتعاليمه. وهذا هو المعنى الذي أراده عيسى عليه السلام عندما دعا قومَه ليصدّقوا بدعوته ويأخذوا حالات الطّيور المحلّقة في السّماء بهديه وتعاليمه—التي نفَخَها فيهم.

* الإشكال الثاني:

إحياء الموتى

{وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ}

لنفهم حقيقة إحياء الموتى على يد عيسى، عليه السلام، لابدّ لنا من تبيّن حقيقة معنى الموت والموتى في اللسان العربي.

من معجم لسان العرب نتبيّن ما يلي:

"ماتَ الرجلُ وهَمَدَ وهَوَّم إِذا نامَ .. والمَوْتُ: السُّكونُ. وكلُّ ما سَكنَ، فقد ماتَ، وهو على المَثَل.. وماتَتِ النارُ مَوتاً: بَرَدَ رَمادُها، فلم يَبْقَ من الجمر شيء. وماتَ الحَرُّ والبَرْدُ: باخَ.. وماتَت الريحُ: رَكَدَتْ وسَكَنَتْ؛ قال: إِني لأَرْجُو أَن تَموتَ الريحُ، فأَسْكُنَ اليومَ، وأَسْتَرِيحُ.

وماتَت الخَمْرُ: سكن غَلَيانُها؛ عن أَبي حنيفة. وماتَ الماءُ بهذا المكان إِذا نَشَّفَتْه الأَرضُ.

وفي حديث دُعاءِ الاستيقاظ: الحمدُ لله الذي أَحيانا بعدما أَماتنا، وإِليه النُّشُور. سمي النومُ مَوْتاً لأَنه يَزولُ معه العَقْلُ والحركةُ، تمثيلاً وتَشْبيهاً، لا تحقيقاً. إِنما المَيْتُ مَن يَعِيشُ شَقِيّاً، إِنما المَيْتُ مَيّتُ الأَحْياءِ.

وقيل: الموتُ في كلام العرب يُطْلَقُ على السُّكون؛ يقال: ماتت الريحُ أَي

سَكَنَتْ.

والمَوْتُ يقع على أَنواع بحسب أَنواع الحياة:

*فمنها ما هو بإِزاء القوَّة النامية الموجودةِ في الحَيوانِ والنبات، كقوله تعالى: {يُحْيي الأَرضَ بعد موتها}.

*ومنها زوالُ القُوَّة الحِسِّيَّة، كقوله تعالى على لسان مريم العذراء عليها السلام:

{يا ليتني مِتُّ قبل هذا}.

*ومنها زوالُ القُوَّة العاقلة، وهي الجهالة، كقوله تعالى: {أَوَمَنْ كان مَيْتاً فأَحييناه}، و{إِنك لا تُسْمِعُ المَوْتَى}.

*ومنه الحديث: أَوّلُ من ماتَ إِبليس لأَنه أَوّل من عصى."

لنلاحظ هنا أنّه قال {وأحيي الموتى} كحالة مستمرّة، ولم يقل: (وأحيي لكم ميتاً)، كحالة واحدة فقط. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أنّه كان بإمكان عيسى عليه السلام أن يحيي أيَّ ميت، وبشكل مستمرّ، ولو كانت حقيقة الأمر كذلك، وبشكل مادّي، لآمن به جميع بني إسرائيل طمعاً في أن يحيي لهم أمواتهم؛ وهذا ليس صحياً، ولم يحدث!

إذن، بحسب اللغة العربية، فإنّ الجهالة وزوال القوّة العاقلة هي من صفات الموتى وإن كانوا لا يزالون أحياءً—يعني الذين لا يتميّزون بالعقل السليم لتمييز الحق، ولا بالعلم الصحيح لإدراك الحقائق، خاصّة إذا كانت تتعلّق

بالإيمان، هم أيضاً من الموتى، قال تعالى:

{أَوَمَنْ كَانَ **مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ **كَمَنْ مَثَلُهُ** فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} (الأنعام 123)

فالميت هنا هو الذي ليس له نور من الله يمشي به في النّاس، بل هو في ظلمات الكفر والجهالة ليس بخارج منها.

وقبل الدّخول في البيان الشامل لحقيقة هذا الموضوع، تعالوا نتبيّن حقيقة ما نعتقد من خلال محاولة الإجابة عن السؤالين التاليين:

هل كان عيسى حقّاً يحيي الموتى الذين قَضى اللهُ عليهم الموتَ وفارقوا الحياة؟

وهل كان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يُحيي الموتى؟

نبدأ بالإجابة عن السؤال الثاني، فنقول نعم! وبكلّ تأكيد. لقد كان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يُحيي الموتى! وإليكم البيان:

لا شكّ في أنّ الله وحده يحيي ويُميت ويبعث من في القبور. ولكن هل كلّ ميت هو ذلك الذي يكون في القبر وتحت التّراب بعد أن قضى الله عليه الموت؟

بالتأكيد لا! وهذا ما نعلمه من القرآن الكريم ومعاجم اللغة العربية مثل (لسان العرب) وغيره.

ولفهم ذلك لا بدّ لنا أن نتذكّر أنّ الله قد بيّن لنا في كتابه المجيد أنّ في مقابل العمى المادّي في العينين هناك عمى روحاني، فقال:

{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ **كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**} (الرعد 20)

فها نجد هنا الحديث عن أعمى رغم أنّ له عينين يرى بهما الأشياء.

ونقرأ في بيان الله قوله:

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ} (الأنعام 40)

هنا يخبرنا القرآن الكريم عن **صُمٍّ** لهم آذان سليمة، وعن **بُكْمٍ** لهم ألسنة طويلة، وعن **عُمْيٍ** في الظّلمات رغم أنّ لهم عيوناً يرون بها—ولكنّه صَمَمٌ وبَكْمٌ وعَمَىً روحاني.

وكما بيّنا آنفا فإنّ القرآن الكريم يُحدّثنا، في هذا البيان، عن الإنسان الذي يحييه الله رغم أنّه حيّ لم تُفارقه الحياة، وليس في القبر ولا تحت التّراب، بل هو ميت لأنّه في ظلمات الضلال، فهو ميتٌ في الرّوح وليس في الجسد، فيقول الله تعالى عنه:

{أَوَمَنْ **كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ **كَمَنْ مَثَلُهُ** فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} (الأنعام 123)، ويقول:

{إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ **إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**} (النمل 81)

وكيف يولّي الموتى مُدبرين؟

إنّ هؤلاء الموتى هم الضّالون في ظُلمات العقائد الباطلة من الّذين لا يسمعون بل يُكذّبون بدعوات رسل الله وأنبيائه، ولا يَحيون الحياة الرّوحانية النورانية التي يدعوهم الله إليها من خلال رسله الكرام.

من هنا نستطيع أن نفهم كيف كان أنبياءُ الله ورسلُه يُحيون الموتى، وكيف أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يحيي الموتى ببيان الله تعالى الذي أعلَمَنا فيه أنّه قد أعطى رسولَه محمّداً، عليه الصلاة والسّلام، القدرةَ على إحياء الموتى فقال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ **إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**} الأنفال 25

لقد أحيا اللهُ تعالى بالإسلام كلَّ من استجاب له عزّ وجلّ ولرسوله الكريم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم. ولذلك فإنّ محمّداً عليه الصلاة والسلام هو محيي الموتى الأعظم في العالمين—لأنّه هو وحده أرسله الله رحمة للعالمين، فكان لابدّ أن يحييهم بدينه ودعوته.

وطبعاً لم يُحْيِ محمدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم أحداً من الموتى إلاّ **بإذن الله**، وذلك لأنّه لا يحقّ لنبيّ أن يدعو أحداً إلى دين الله وشريعته وهُداه **إلاّ بإذن الله**. ولذلك فقد كان محمدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم داعياً إلى الله **بإذنه**، وبذلك فقد كان يحيي الموتى **بإذنه**، تماماً مثلما كان عيسى والنّبيّون جميعاً يُحيون الموتى بإذن الله تعالى. خاطب اللهُ عزّ وجلّ رسولَه الكريم بقوله:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ **بِإِذْنِهِ** وَسِرَاجًا مُنِيرًا} (الأحزاب 46-47). وقال تعالى:

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ **بِإِذْنِ رَبِّهِمْ** إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (إبراهيم 2)

ولذلك فإنّ قول عيسى عليه السّلام {**بإذن الله**} ليس المقصود منه إراءة المعجزات. وإنّما المقصود منه أنّه إنّما **كان يدعو إلى الله بإذنه**، باعتباره رسولاً من عنده، ويُحدِث تغييرات كثيرة في الأفهام والنّفوس **بإذنه**، كما هي الحال مع جميع الأنبياء الصّادقين المبعوثين من الله عزّ وجل.

وهكذا نفهم كيف أنّ جميع أنبياء الله ورسله كانوا يحيون الموتى بإذن الله، وعلى رأس هؤلاء النبيين كان المحيي الأعظم سيّدنا خاتم النبيين محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم؛ فهو أعظم من كان يحيي الموتى بإذن الله، باعتباره وحده خاتم النبيين ورسول الله ورحمته للعالمين، كما ذكرنا آنفاً.

ونتابع بعون الله تعالى لنبيّن حقيقة وَضْعِ الميت الذي يكون الله قد توفّاه وقضى عليه الموت. يدعونا ربُّنا عزّ وجلّ إلى التّفكّر فيقول:

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ **حِينَ مَوْتِهَا** وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا **فَيُمْسِكُ** الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الزمر 43)

يُبيّن لنا الله عزّ وجلّ هنا أنّه يتوفّى الإنسان حين يأتي أجلُه فيموت،

وكذلك يتوفّ اللهُ الأنفسَ حالَ نومها. ولكن على المؤمنين أن يوقنوا أنّ الله **يمسك** النّفس التي يكون قد قضى عليها الموت {**فَيُمْسِكُ** الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} ولا يتركها تعود إلى الدّنيا لأيّ سبب كان؛ بل يجعل بينها وبين الدّنيا برزخاً حاجزاً لا يسمح لها بالعودة إلى الدّنيا، كما نعلم من الآية التالية:

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ **كَلاّ** إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا **وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**} (المؤمنون 100-101)

وهكذا فإنّ الله لا يسمح للذي قضى عليه الموت بالرّجوع إلى الدنيا لأيّ سبب كان، بل يحجزه وراء برزخِ العالَم الآخر إلى يوم القيامة. وبهذا يكون قد بيّن الله قانونه الشّامل الذي حرّم فيه رجوع من هَلَك، فيقول:

{**وَحَرَامٌ** عَلَى قَرْيَةٍ **أَهْلَكْنَاهَا** أَنَّهُمْ **لا يَرْجِعُونَ**} (الأنبياء 96)

أي "**لا يرجعون إلى الدّنيا**." وهو قول قتادة ومقاتل، كما ورد في المجلد الحادي عشر من (التفسير الكبير) للإمام فخر الرّازي. وأمّا في تفسير قوله تعالى {**حَرام**} في هذه الآية، فقد جاء في التفسير المذكور:

"والمعنى: **حرام** على قرية أهلكناها **رجوعهم إلى الدّنيا**."

ويؤكّد هذا المعنى الحديث الذي رواه جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما يلي:

(عن جابر بن عبد الله قال: نظر إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: "يا جابر مالي أراك مهتمّاً؟" قلتُ يا رسول الله استشهدَ أبي وترك دَيناً عليه، قال، فقال: "ألا أخبرك؟ ما كلّم الله أحداً قطّ إلاّ من وراء حجاب، وإنه كلّم أباك كفاحاً، قال: '**سلني أُعْطِك**'، قال: **أَسألُك أن أُردّ إلى الدنيا فأُقتل فيك** ثانية. فقال الرب عزّ وجلّ: 'إنه قد سبق مني القول **أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ**} (الأنبياء 96).) أخرجه ابن مردويه ورواه البهيقي في دلائل النبوة، وهو صحيح الإسناد في المستدرك على الصحيحين، وجاء في الترمذي وسنن ابن ماجه، ولقد ورد في مختصر ابن كثير أيضاً.

وفي سنن ابن ماجة نقرأ الحديث كما يلي:

لَمَّا قُتِلَ عِبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:

('يَا جَابِرُ! أَلاَ أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ لأَبِيكَ؟' قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: 'مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَداً إِلاَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحاً. فَقَالَ: يَا عَبْدِي! **تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ**. قَالَ: يَا رَبِّ! **تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيةً**. قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي {**أَنَّهُمْ إِلَيْها لا يَرْجِعُونَ** } ...)

وجاء في رواية أخرى: **(إنّي قضيتُ أنّهم إليها لا يرجعون)**

رواه أحمد عن جبار بن عبد الله.

وهكذا نجد أنّ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يشرح هذه الآية المحكمة، ويبيّن أنّ قانون الله الشامل يقضي بالتحريم الباتّ والقاطع

لرجوع من مات إلى الدّنيا. إذ لو كان يحقّ لأحدٍ الرّجوع إلى الدّنيا بعد موته لكان هذا العبد الذي قال اللهُ له: '**تَمَنَّ عليَّ أُعطِك**'، فتمنّى على الله أن يُرجعه إلى الدّنيا ليستشهد في سبيله. ولكنّ اللهَ بيّن له أنّه عزّ وجلّ لا يخالف قانونَه الشّامل الذي سبق منه القول والقضاء فيه، والذي حرّم فيه رجوع (إحياء) من مات إلى الدنيا، فقال:

{**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ**} (الأنبياء 96)

إنّ هذا البيان القاهر يجعلنا على يقين من أنّه لا يقدر أيّ نبيّ كان أن يحيي أحداً ماتَ، لأنّه لو فعل ذلك، لكان قد خرق قانون الله القاضي بتحريم رجوع من مات إلى الدنيا لأيّ سبب كان.

هذا وإنّ الاعتقاد بأنّ أحداً سوى الله يمكن أن يحيي أو يميت، يُسقط الناس في هوّة الشّرك، ويخرجهم من حظيرة التّوحيد الحق.

تعالوا نقرأ بيان الله الملزِم في هذا الأمر الفاصل بين الشرك والتّوحيد، فهو يُلزِمنا أنّه لا يمكن لأحد أن يُحيي أو يُميت سوى الله. ولقد كان هذا هو التّعريف الذي جادل به سيُّدنا إبراهيمُ النّمرودَ، كما يُخبرنا القرآن:

{إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**} (البقرة 259)

فلو ثبت أنّ المسيح أو غيره كان قد أحيا الموتى لَبَطَلَتْ دعوى إبراهيم عليه السّلام، ولوجب على المعتقدين بذلك الإيمانُ بأنّ المسيح هو الرّب الذي يُحيي باعتباره نَفَخَ الحياةَ في الطّين فجعله طيراً، وأحيى إنساناً كان

الله قد قضى عليه الموتُ وفارق الحياةَ من قبل!

إنّ التوحيد الحقّ لله تعالى في صفاته يأبى الاعتقاد أنّ أحداً سواه يمكن أن يحيي من قضى عليه اللهُ الموت. ولذلك نجد في القرآن الكريم بياناً قاهراً يُحذِّر من هذا الاعتقاد الباطل، يقول تعالى:

{وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ} (آل عمران 157)، ولا أحد سواه.

{لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ} (الأعراف 159). هكذا يقتضي التّوحيد الحق.

{هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (يونس 57). تأكيد قرآني مبين!

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ **وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى** وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الحج 7). صفات توحيدية لا يُشارِك اللهَ فيها أحدٌ، لأنّه هو وحده على كلّ شيء قدير.

{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} مزيد من التأكيد والتّوحيد.

{قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا **الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** وَهُوَ **بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**} (يس 79-80)

إنّما يُحيي العظام فقط الذي أنشأها أوّل مرّة، والذي هو بكلّ خلق عليم؛ وهو الله الذي لا إله إلاّ هو—ولا شكّ في أنّ عيسى ليس هو الذي أنشأها أوّل مرّة (بل الله وحده هو الذي فعل ذلك)، وليس هو بكلّ خلق

عليم؛ فأنّى له إِذَنْ القدرة على أن يحيي العظام وهي رميم؟ أمّا إذا أرادوا القول بأنّ يسوع قد أحيا العظام قبل أن ترمّ، فهذا المزاح الثقيل شأنهم ولا نردّ عليه! ويقول تعالى:

{**هُوَ** الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} (غافر 69)

ويقول:

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ **وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى** وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الشورى 10). الله وحده هو الولي القادر الذي يحيي الموتى لأنّه على كلّ شيء قدير، وهو وحده الذي:

{لا إِلَهَ إِلاّ **هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ** رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ} (الدخان 9). الله الذي هو ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين، هو وحده يحيي ويُميت.

{قُلِ **اللَّهُ يُحْيِيكُمْ** ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ} (الجاثية 27)

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ **بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الأحقاف 34). لماذا تتعجّبون من أنّ الله الذي خلق السموات والأرض، ولم يعي بخلقهن أن يكون قادراً على أن يحيي الموتى؟ بلى! إنّه على كلّ شيء قدير.

{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} (القيامة 41)؛ نعم لأنّ:

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

(الحديد 3)

{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ **ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى** وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الروم 51)، فالذي يحيي الأرض بعد موتها **هو وحده** الذي يحيي الموتى، لأنه **هو وحده** على كلّ شيء قدير.

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ **إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا** لَمُحْيِي الْمَوْتَى **إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} (فصلت 40)

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً **لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ** لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا **ولا يَمْلِكُونَ** مَوْتًا **ولا حَيَاةً** وَلا نُشُورًا} (الفرقان 4)

هنا يؤكّد الله عزّ وجلّ أنّ الآلهة الباطلة لا تخلق شيئاً؛ فهل خلق عيسى شيئاً؟ ويقول إنّهم هم مخلوقون؛ فهل عيسى مخلوق لا يَخلق؟ وأنهم لا يملكون لأنفسهم ضرّاً أو نفعاً؛ فهل يملك عيسى لنفسه (أو لأحد)، ضرّاً أو نفعاً؟ أم **هل يملك** موتاً أو حياةً أو نُشوراً؟

القرآن ينفي أن يكون لعيسى أيّاً من هذه القدرات، لأنّه ليس الله— فلماذا ننسبها نحن إليه؟

وفي الختام نقول إننا بكلّ تأكيد نؤمن أنّ المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام كان يحيي الموتى الرّوحانيين بإذن الله وذلك من خلال الهداية التي أنزلها الله عليه وكان يدعو الناس إليها، وهو لذلك كان يبشّر قومه وأتباعه بكلّ وضوح، أنّ الإنسان يحيا بكلمات الله، فكان يقول لهم:

{**لَيْسَ بِالْخُبْزِ** وَحْدَهُ **يَحْيَا** الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ **كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ**» }
(إِنْجِيلُ مَتَّى 4 : 4)؛ وكذلك علّم قومه قائلاً:

{أنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. **إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ**} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 6 : 51)، وقال:

{**مَنْ آمَنَ بِي** وَلَوْ مَاتَ **فَسَيَحْيَا**} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 11 : 25)

بهذا بَشّر المسيحُ قومَه فقال لهم إنّه حتى الذي كان قد مات من الناحية الروحانية، فإذا ما آمن به رسولاً من عند الله فسيحيي روحانياً ولا يبقى من الموتى الذين فقدوا بكفرهم حياةَ الإيمان والنّور الذي أنزله الله عليهم بواسطة نبيّه ورسوله. وهذا ما يعتقد به الإخوة المسيحيون حيث يقرؤون في كتابهم المقدّس أنّ البارّ بالإيمان يحيا. تعالوا نقرأ:

{«أَمَّا الْبَارُّ **فَبِالإِيمَانِ** يَحْيَا».} (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ 1 : 17)

{هكَذَا **فِي الْمَسِيحِ** سَيُحْيَا الْجَمِيعُ.}

(رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ 15 : 22)

{لأَنَّ «**الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا**»} (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ 3 : 11)

{**أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا**} (اَلرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 10 : 38)

هذا رغم تأكيد الكتاب المقدّس على دور العمل الذي بدونه يكون الإيمان كالجسد الميت الذي لا روح فيه، حيث نقرأ في الإنجيل:

{لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ} (رِسَالَةُ يَعْقُوبَ 2 : 26)

وهكذا فإنّ الذين ماتوا وفارقوا الحياة بعد أن قضى الله عليهم الموت لا يحييهم أحد سوى الله، ولا يكون هذا إلاّ يوم يُبعثون. **وأمّا إحياء الموتى الذين لا إيمان لهم فهو عملٌ يقوم به جميع رسل الله تعالى وأنبيائه.** ولقد كان **أعظم من أحيا وما يزال يُحيي** الناس بنور الله وكتابه المجيد في العالم كلّه **هو سيّدنا خاتم النّبيين** محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ ولذلك فقد دعانا الله لنحيا بِهَدْيِه العظيم فقال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **اسْتَجِيبُوا** لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا **دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**}

(الأَنْفال 25)

* الإشكال الثالث:

إبراء الأكمه والأبرص

{وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ} (آل عمران 50)

من المفيد دائماً تبيّن معاني المفردات القرآنية في اللسان العربي من خلال الاطّلاع على ما جاء في معاجم اللغة العربية. وفي هذا الصدد نقرأ في معجم (لسان العرب) لابن منظور ما يلي:

"كمه: الكَمَه في التفسير: العَمَى الذي يُولَدُ به الإنسانُ ... كَمِهَ بَصَرُهُ، بالكسر، كَمَهاً وهو أَكْمَه إذا اعْتَرَتْهُ ظُلْمَة تَطْمِسُ عليه ... وربما جاء الكَمَه في الشِّعْرِ **العَمَى العارض** ..

وذكر أَهلُ اللغة: أَن الكَمَهَ يكون خِلْقةً ويكون حادِثاً بعد بَصَرٍ... **وربما قالوا للمسلوب العقلِ أَكْمَه** .. ابن الأَعرابي: الأَكْمَهُ الذي يُبْصِرُ بالنهار ولا يُبْصِرُ بالليل.. الأَكْمَهُ الأَعْمَى الذي **لا يُبْصِرُ فيتحيَّر ويَتَرَدَّدُ** .. والكامِهُ: **الذي يَركبُ رأْسَه لا يَدْري أَيْنَ يتَوَجَّه** ..." لسان العرب

إذاً بالإضافة إلى أنّ الأكمه هو الذي يولد أعمى، وكذلك صاحب العمى العارض، فإنّ لسان العرب يبيّن أنّ الأكمه هو أيضاً **الذي تعتريه ظلمة** تطمس عليه ... الذي **لا يُبْصِرُ فيتحيَّر ويَتَرَدَّدُ** ... والذي يكون

مسلوب العقل ... والذي **يركب رأسه، لا يدري أين يتوجّه**. ولا شكّ في أنّ شفاء أمثال هؤلاء النّاس هو الهداية من الله التي تتنزّل عليهم من خلال دعوة النّبيين ورسالتهم، بحيث تزول ظلمةُ من طَمست عليه الظّلمة .. ويُنوَّر سبيل من كان يتردّد ويتحيّر .. ويتحلّى بالعقل من يكون قد سلبه الضّلالُ عقلَه؛ وتَتبيَّنُ وجهةُ من كان قد ضلّ سبيله عن الله عزّ وجلّ وصراطه المستقيم.

وأمّا عن إبراء الأبرص فهو كناية عن تحقّق الاستقامة في الإيمان والعمل لمن لا يكون على سبيل واحد من الهداية، بل تكون أعماله مختلطة بين الحَسَن والسّيئ، كما قال ربنا عزّ وجلّ:

{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا} (التوبة 102)

ولا شكّ في أنّ المسيح عليه السّلام، كان—ككلّ نبيّ—يُشفي أمثال هؤلاء بتمكين إيمانهم وتقويم أعمالهم ويجعلهم بإيمانهم في صحّة وعافية مُبينة. وهذا ما نقرأه في الإنجيل حيث قال للمرأة التي طلبت منه الشّفاء:

{«ثِقِي يَا ابْنَةُ، **إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ**». فَشُفِيَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.}

(إِنْجِيلُ مَتَّى 9 : 22)

إذن هو الشّفاء المتعلّق بالإيمان الذي يكون الإنسان قد فقده أو أفسده. وبما أنّ الإيمان هو نور من الله عزّ وجلّ يُنزله على النّبيين ويَردّ به بصر من كان أعمى، فقال:

{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ **كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**} (الرعد 20)

وقال عن عيسى:

{آتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ **هُدًى وَنُورٌ**} (المائدة 47)

فقد كان الذي رأى النّور الذي أنزله الله على عيسى هو المبصر؛ وأمّا الذي لم ير ذلك النّور فقد كان بمثابة الأعمى الذي لا يعود إليه بصره إلاّ إذا رأى بالإيمان ذلك النّور الذي كان عيسى عليه السلام يُعلِّم به الناس أنّ إيمانهم يشفيهم من العمى، حيث نقرأ في الإنجيل بيانه لمن أراد أن يُبصِر فسأله:

{قِائِلاً:«مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» فَقَالَ: «يَاسَيِّدُ، أَنْ أُبْصِرَ!». * فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «**أَبْصِرْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ**»} (إِنْجِيلُ لُوقَا 18 : 41-42)

إنّ الإيمان يشفي من عمى الضّلال، وهذه هي حقيقة المسألة. إنّها الشّفاء بالإيمان لمن أراد أن يبصر ويهتدي ويعرف النّور الذي أنزله اللهُ على عبده المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام. ولم تكن مداواة المسيح ولا شفاؤه لقومه إلاّ بدعوته والدّعوات الحارّة المخلصة التي كان يدعو بها لمن أراد أن يشفى من العمى والكمه وجميع الأمراض الرّوحانية المهلكة.

ولا نُنكر أنّه كان أيضاً يشفي المرضى في الجسد بالدّعاء إلى الله كما كان يفعل جميع النّبيين من قبله.

جاء في التفسير الكبير للإمام فخر الرّازي قوله:

"وما كانت مداواته (مداواة المسيح) **إلاّ بالدّعاء وحده**."

ملاحظة هامّة:

ولابد لمن يُريد أن يرى في ما ذُكر عن مُعجزات المسيح في قومه أن ينتبه إلى

أنّ الهداية التي يُنجزها الأنبياء في أقوامهم هي من أعظم معجزاتهم التي تُشير إلى صدقهم. ولذلك فإنّ كون معجزة المسيح في قومه كانت هدايته التي أحياهم بها وأخرجهم بها من الظّلمات إلى النّور لا تنتقص من حقيقة أنّ ذلك كان من آيات الله المبينة التي أكّدت صدقه بأنّه رسول من الله إلى بني إسرائيل.

ولا بدّ أيضاً من الانتباه إلى أنّ المسيح، حين تحدّث عن هذه الآيات، تحدّث عنها باعتبارها قدرة مستمرّة يمكنه القيام بها كلّما أراد وليس لمرّة واحدة أو مرّات عديدة. تعالوا نتذكّر ذلك من بيان ربّنا العظيم في قرآنه المجيد، يقول تعالى عن المسيح عليه السلام:

{وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ **أَنِّي أَخْلُقُ** لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ **وَأُبْرِئُ** الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ **وَأُحْيِي** الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} (آل عمران 50)

نُلاحظ هنا من بيان المسيح عن آيات الله بأنّه يقول: {أَخْلُقُ} و{أُبْرِئُ} و{أُحْيي}، وهذا يُعبِّر عن **قدرةٍ مستمرّة وعند المشيئة**، ولا يُعبّر عن حالة

واحدة أو مجرّد مرّات ثم تتوقّف. ولو صحّ هذا الفهم لوجب علينا أن نؤمن بأنّ المسيح عليه السّلام كان باستطاعته إحياء الموتى باستمرار وكلّما أراد! ولكان بإمكانه أن يُظهر هذه المعجزة في أيّ وقت يشاء، حيث يمضي إلى المقبرة فيُري النّاس كيف يُخرج الأموات القابعين تحت التراب رفاةً ورميماً، فيقومون ينفضون عنهم التراب ويمشون بين الناس أحياء من جديد، وبذلك يؤمن الناس بعيسى لرؤيتهم هذه المعجزة المهيبة—الأمر الذي لم يحدث لنبيّ غيره—ولا حتى لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم!

ولو صحّ الفهم المعجزاتي الخوارقي في خلق الطّير، لوجب أيضاً أن نُصدّق وأن نؤمن أنّه، بحسب منطوق الآية الكريمة، كان بإمكان عيسى عليه السّلام—كلّما أراد—أن يجبل طيناً بيديه ثم ينفخ فيه الحياة فيجعله طيراً حيّاً، من ريش ولحم ودم، يطير في السّماء ويعشش في الأغصان ويتزاوج ويفقس بيضاً ويُنتج طيوراً أخرى فتتكاثر، وهكذا حتى يختلط **ويتشابه الأمرُ** على النّاس فلا يعلمون أيّ الطيور كانت من خلق الله، وأيّها كان من خلق عيسى، فنعجز بذلك عن الإجابة على سؤال الله سبحانه وتعالى الذي يسأل فيه بقوله:

{أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ **فَتَشَابَهَ** الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ؟}

{**فَتَشَابَهَ** الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ؟}

ويعفينا ربّنا من الإجابة فيبيّن لنا أنّ ذلك مستحيل، فيقول:

{**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد 17)

ولو كان في مقدور عيسى أن يشفي المرضى كلّما جاء له قومه بمرضى، لكان قومه قد جاؤوه كلّ يومٍ بعشرات أو مئات المرضى الجدد ليشفيهم ولَتَحَوَّل من مَهمّة الرّسول الداعي إلى الله إلى مهمّة الطبيب المعالج في مستشفى متنقّل، ولما بقي له وقت لتعليم النّاس التوراةَ التي جاء ليُكمل ويُتمّ تطبيقها، ولتعليم النّاس الإنجيل الذي أُنزل عليه!

ولو كان المسيح يحيي الأموات بهذا الشكل، ويخلق الطير بهذا الشكل، ويشفي المرضى بهذا الشّكل لما بقي أحد من قومه، بل من العالمين لم يؤمن به. ولكنّ القرآن يُخبرنا بأمر مُعاكس إذ يُبيّن أنّ المسيح، بعد أن بيّن الآيات التي أتاهم بها من الله، فإنّه بدلاً من أن يرى من قومه الإيمان، أَحَسَّ منهم الكفر. تعالوا نتذكّر، بيان الله تعالى، حيث يقول:

{فَلَمَّا **أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ** قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}

(آل عمران 53)

وذلك بعد أن عدّد لهم جميع الآيات التي أتاهم بها من الله، وذلك في السّياق التالي:

{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ: أَنِّي **أَخْلُقُ** لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ **وَأُبْرِئُ** الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ **وَأُحْيِي الْمَوْتَى** بِإِذْنِ اللَّهِ **وَأُنَبِّئُكُمْ** بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي

بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ** قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ..} (آل عمران 50-53)

وهكذا رغم أنّ المسيح قد أعلن هذه الآيات العظيمة التي لم يأتِ بها نبيٌّ في العالمين، وكان من الواجب أن يؤمن بها قومُه بشكل لم يؤمن مثله قوم، فقد **أحسّ** عيسى منهم الكفر وكانوا كافرين وسعوا إلى قتله على الصليب ليثبتوا أنه كان كافراً وكاذباً وملعوناً!

وأمّا عن قول المسيح لقومه:

{وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران 50)

فيخبرنا الإمام فخر الرّازي بالرّواية التالية، قال:

"روى السّدي: أنّه (أي عيسى) كان يلعب مع الصّبيان، ثمّ يُخبرهم بأفعال آبائهم وأمّهاتهم. وكان يُخبر الصّبي بأنّ أمّك قد خبّأت لك كذا، فيرجع الصّبي إلى أهله ويبكي إلى أن يأخذ ذلك الشّيء. ثم قالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع هذه السّاحر، وجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عليه السّلام يطلبهم، فقالوا له: ليسوا في البيت. فقال فمن في هذا البيت، قالوا: خنازير، قال عيسى عليه السّلام كذلك يكونون، فإذا هم خنازير." المجلد الرابع الجزء الثامن ص 57-58

لو صحّت هذه الحكاية لترتّب عليها الإلزام بالمفاهيم التالية:

1) أنّ الله قد ميّز عيسى عليه السلام بخوارق ومعجزات هائلة مذ كان طفلاً وقبل أن يكون نبيّاً. يعني كان المتوقّع من قومه أن يؤمنوا به قبل أن يتلقّى وحي التكليف بالنبوّة، بدليل معجزاته وهو صبيّ صغير.

2) قام عيسى، وهو ما يزال صبيّاً صغيراً، بمعجزة تحويل الناس إلى خنازير؛ وهذه معجزة هائلة لم يقم بها نبيّ من قبل! ولكنّ الإشكال الكبير هو أنّ القرآن لم يذكر حدوث مثل هذه المعجزة؛ ولو صحّ ذلك لكان من الواجب على عيسى، وهو يعدّد معجزاته، أن يقول: 'وأحوّل بعض الناس إلى خنازير'؛ وذلك ضمن سياق الآيات المعجزة التي ينسبها النّاسبون إليه.

3) وثمة سؤال لابدّ من طرحه، وهو: هل لمجرّد كذب أهل الصبيان من رفاق المسيح، قام عيسى بمسخهم وجعلهم خنازير؟ وهل من صفات الرسول أن يُسارع في إنزال العقوبة بالناس؟ أم أنّ الرسل يتميّزون بالصبر والحلم والرّأفة والرحمة بأقوامهم؟

تُفيدنا دراسة هذا المثال لبيان أنّ التفاسير المأثورة فيها الغثّ والسمين، ولابدّ من التحقّق والتبيّن حين الأخذ بها أو منها.

وأمّا الفهم المنطقي المتعلّق بقول المسيح لقومه:

{وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران 50) هو أنّه أحلّ لهم من الطّعام ما كانوا قد حرّموه

على أنفسهم بغير وجه حق. وفي هذا الشأن يقول تعالى:

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ} (آل عمران 94)

ولهذا فقد قال لهم المسيح:

{وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَا لَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} (آل عمران 51)

وهذا معنى: {وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ}

وأما عن قوله: {وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ}،

فحقيقته أنّ المسيح عليه السّلام قد حرّم على اليهود كنز الذهب والفضة وغيرها ممّا يكنزون ويدّخرون في بيوتهم، فأمرهم بألاّ يكنزوا كنوزاً على الأرض، بل يهتمّوا بأن يكنزوا كنوزاً من الأعمال الصالحة في السّماء ويدّخروها كنزاً لهم، فقال لهم:

{«لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ * بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ * لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 6 : 19-21)

وقال: {لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ * وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصًا، لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِق طَعَامَهُ.}

(إِنْجِيلُ مَتَّى 10 : 9-10)

وهكذا، وبحسب جميع البيانات والبراهين السالفة، فإنّ المسيح الناصري عليه السّلام لم يتميّز عن الرسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ولا عن غيره من النبيين لا في خَلق الطّير، ولا في شفاء المرضى، ولا في إحياء الموتى، ولا في جعل العُمي يُبصرون، بل إنّ جميع أنبياء الله كانوا يفعلون ذلك، وعلى رأسهم سيّدُنا خاتم النّبيين محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولكن ليس بالمفهوم الخرافي الحرفي والمادّي، بل بالمفهوم الرّوحاني العظيم.

* الإشكال الرابع:

الكلام في المهد

قوله تعالى عن عيسى عليه السلام:

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً} (آل عمران 47)

لنتذكّر قبل كلّ شيء أنّ النصارى وإن كانوا قدّ أَلَّهوا المسيح عيسى بن مريم فقالوا: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} (المائدة 18)، إلاّ أنّهم لم يقولوا أنّه خَلَق الطّير وأنّه قد تكلّم وهو ما يزال في المهد طفلاً رضيعاً أو صغيراً، كما يقول القائلون. ولو أنّه كان قد تكلّم وهو لا يزال طفلاً رضيعاً قبل سنّ الكلام، وشهد عليه كبارُ وعلماء بني إسرائيل حينما أشارت إليه أمّه، لكان من مصلحة النّصارى أن يذكروا هذا الحدث العجيب المعجز وأن يُشيعوه في البلاد والعباد بالتواتر المبين ليؤمن النّاس بأنّ المسيح كان الله، أو ابن الله كما يعتقدون—ولكنّهم لم يفعلوا!

لماذا؟

لأنّه—ببساطة—لم يكلّم أحداً وهو ما زال رضيعاً قبل سنّ الكلام. إذن ما معنى قوله تعالى:

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً} (آل عمران 47)

وقوله عزّ وجلّ:

{كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} (مريم 30)

تعالوا نتفكّر في هذا البيان بالتعقّل والتّدبر اللّذَين أمرنا الله بهما في كتابه المجيد.

أوّلاً من الناحية المنطقية المتعلّقة بالخبرة البشرية لا يستطيع المولود البَشري أن يبدأ بالكلام إلاّ بعد شهور عديدة من عمره، حيث يبدأ بترديد كلمات ماما و بابا وغيرها؛ ثم عندما يكبر فيصير عمره سنة أو سنتين تتطوّر لُغته فيصير قادراً على التعابير البدائية بأسلوب طفوليّ جذّاب ولكنّه بالطّبع لا يتّصف بالبيان العقلاني البالغ الذي يتّصف به الراشدون أو حتى الصّبيان الصّغار الذين يلعبون ويمرحون ويتصايحون بكلام واضح مثلما يتكلّم الكبار.

إذن يبدأ المولود بسنّ الرّضاعة، ثمّ سنّ الطّفولة التي يكون فيها طفلاً صغيراً همّه اللعب والمرح، ثم يدخل في **سنّ الصّبا** الذي يصير فيه قادراً على تلقّي الحكمة وفهمها بعقل ناضج. نقرأ في القرآن المجيد قولَ ربّنا عزّ وجلّ عن يحيى عليه السلام:

{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ **صَبِيًّا**} (مريم 13) {**صَبِيًّا**}

في حين استكبر علماء اليهود على عيسى فقالوا:

{كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ **صَبِيًّا**} (مريم 30) {**صَبِيًّا** }

استهزاءً منهم بعيسى عليه السّلام لصغر سنّه في ذلك الوقت، ولم يكونوا يتوقّعون منه الحكمة التي بيّنها لهم حين كلّمهم بما ألهمه الله به.

إذن كما تلقّى يحيى الحكمة وهو غلام صغير في سنّ الصبا **وكان صبيّاً**، فكذلك كان المسيح عيسى بن مريم **صبيّاً (وليس رضيعاً)** حينما كلّمَ علماءَ اليهود فقال لهم:

{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ **مَا دُمْتُ حَيًّا** * **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي** وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (مريم 31-34)

وأمّا عن عِلم عيسى بن مريم بالبيان الذي أعلنه لقومه حين كان مجرّد صبيّ صغير فلابدّ أن يكون قد تلقّى ذلك بالوحي الذي يأتي في الرؤيا المبشِّرة الصّادقة كالتي تلقّى مثلها النبيُّ يوسف عليه السّلام من الله عندما كان صبيّاً صغيراً حيث أنبأه الله في تلك الرّؤيا أنّه سيكون نبيّاً يتبعه أبوه وأمّه وإخوته الأحد عشر، وهم الذين رُمِز لهم بالشَمس والقمر والأحد عشر كوكباً كما هو معلوم[1].

وأمّا كلمة المهد فهي استعارة يُقصد بها صغر سنّ بن مريم حين أشارت أمُّه إليه. ولا ننسى هنا أنّ من معاني 'المهد' الأرض أيضاً؛ قال تعالى:

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً} (طه 54)

[1] – انظر بحث (بين الالتزام بالحرفية وضرورة التأويل) للمؤلّف في كتابه (انتبهوا! الدّجال يجتاح العالَم).

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} الزخرف 11

ثم إذا كان الكلام في المهد معجزة، **فأين المعجزة في كلامه معهم وهو كهل**؟ وماذا عن الفترة بين الاثنين؟ يقول تعالى:

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ **وَكَهْلاً**} (آل عمران 47)

إذا كان كلام عيسى عليه السّلام هنا يعني مجرّد الكلام العادي، فهل كان عيسى سيكلّم الناس فقط عندما يكون رضيعاً ثمّ سيصمت صبياً وشابّاً إلى أن يصير كهلاً فيعود يكلّم الناس؟

المقصود بكلام عيسى للنّاس هنا أنّه كان يتميّز بكلام بليغ من وحي الله وإلهامه، يُشير إلى أنّه سيكون ذا شأن في البيان منذ سنّ الصّبا وحتى سنّ الكهولة وهي الفترة اللاحقة في عمره التي كان من المقدّر أن يكون فيها نبيّاً ورسولاً إلى بني إسرائيل.

الملفّ الرّابع:

ملف التحقيق في صلب المسيح من الكتاب المقدّس

التحقيق في معنى {وَلكنْ شُبّه لَهُم}

*** البيان الأوّل:**

دعوى بولُس في قوله:

{اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا}

ذكرتُ، في أحد البراهين القرآنية على موت المسيح قولَ الله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ **شُبِّهَ لَهُمْ**}؛ والآن قد جاء دورُ البيان لنفهم كيف أنّ الله عزّ وجلّ قد شَبَّهَ على اليهود موتَ المسيح على الصّليب فظنّوا أنّهم قتلوه، في حينّ أنّ الله قد نجّاه من الموت، وأبقاه حيّاً في قومه ليُتِمّ رسالته، ثم توفّاه كما تَوفّى الأنبياءَ جميعاً.

في هذا الملفّ سأبرهن أنّ القدّيس بولُس (مُختلِقَ عقيدة الكفّارة والفداء

في المسيحية) هو في الحقيقة المدمِّر الأكبر لمسيحية المسيح، سواء في مهدها والأجيال التي تلتْها، أو في الزمن المعاصر.

يعلم المطّلعون على عقيدة القدّيس بولس والكنيسة المسيحية المعاصرة أنّ المسيح، الذي هو أيضاً الله بحسب هذه العقيدة، قد تجسّد بجسد بشريّ فصار ابنَ الإنسان، الذي هو أيضاً ابن الله، الذي وُلِدَ في الأرض ولادة بشرية ليموت على الصليب، وليصير لعنةً من أجل البشر، وليكفِّر عن خطاياهم التي ورثوها بالولادة، وليفتديهم بموته ودمه.

لسوف أبرهن الآن، وبسُلْطَةِ الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد أنّ يسوع المسيح **لم يمت على الصّليب**، وهو لذلك **لم يَقم** من الموتى. وأنّه لم يكن اللهَ، ولا ابن الله بالمعنى الحرفي. ولم يكن المكفِّر للخطايا بموته، ولا الفادي للبشرية بدمه. بل كان مجرّد إنسان بشر، وكان نبيّاً نبيلاً كريماً أرسله اللهُ ليُكمل ناموسَ موسى والأنبياء، وليهدي بني إسرائيل إلى نور الله وشريعته النقيّة، **ولم** يجعله لعنة لأجل أحد—على حدّ زعم بولُس والقائلين بقوله**!**

يبدأ بيان حقيقة الأمر بالإعلان الشهير الذي أعلنه القديس بولُس في رسالته لأهل غلاطية 13:3، حيث قال:

{**اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا**، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»}. (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ 13:3)

وفي غلاطية 14:6، أعلن بولُس قائلاً:

{وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، **فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،** الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ}. رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ 14:6

نرى هنا أنّ **محور وأساس عقيدة بولُس وكنيسته يقومان على الإيمان بموت المسيح ملعوناً على الصليب** الذي به **جعله اللهُ لعنةً من أجل الجنس البشري**—على حدّ زعمه.

*البيان الثاني:

في عقيدة بولُس: إن لم يكن المسيح قد مات على الصليب فإنّ المسيحية تكون باطلة ويكون التبشير بها شهادة زور لله!

هنا يبرز سؤال كبير:

'ماذا لو تمّ البرهان بشكل قاطع على أن المسيح لم يمت على الصليب؟'

نجد جواب القدّيس بولُس نفسه على هذا السؤال في 15 :14-15 من رسالته الأولى لأهل كورنثوس، حيث نقرأ إعلانه الشهير المتعلّق بعقيدته في قيامة المسيح، فيقول:

{وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ * وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ **وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ}**. (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ 15 : 14-15)

والآن دعونا نناقش هذا المبدأ الرئيس في عقيدة القديس بولُس.

تبيَّنّا منذ قليل أنّ القدّيس بولُس يُعلِن بكلّ وضوح وصراحة أنّ المسيح إذا لم يمت على الصليب، فإنّ:

1) التبشير المسيحي بهذه العقيدة يكون باطلاً ..

2) وإيمان المسيحيين بها يكون أيضاً باطلاً ..

3) ويكون المسيحيون المبشرون بهذه العقيدة شهود زور لله ..

4) **لأنَّهم** شَهِدُوا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ **وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ**."

إنّ هذا الإعلان الذي أعلنه بولُس يعني، بكلمة واحدة، أنّه **إذا ما تمّ البرهان على أنّ المسيح لم يمت على الصليب، فإنّ عقيدة الكنيسة المسيحية المعاصرة سوف تنهار تماماً باعتبارها زائفة وباطلة.**

تلك هي حقيقة الأمر—كما أعلنها بولُس!

وهذا ما سنقيم، بعون الله، البرهانَ عليه معاً بقوّةِ وسلطة الكتاب المقدّس، كما ذكرتُ آنفاً.

* البيان الثالث:

صعود النبيّ إليّا إلى السماء ونزوله!

من المعروف جيداً أنّ اليهود في زمن المسيح كانوا ينتظرون النبيّ إيليّا متوقّعين نزوله من السماء قبل مجيء المسيح. وهذا لأنّهم كانوا يعتقدون أنّه كان قد رُفع إلى السماء على مركبة من نار وخَيل من نار، فصعد في العاصفة إلى السماء.

في 11:2 من سِفر الملوك الثاني نقرأ:

{وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ} (اَلْمُلُوكِ الثَّانِي 11:2)

وفي 5:4 من ملاخي، نقرأ:

{«هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ}.

وهكذا، عندما أرسل اللهُ المسيحَ لهداية اليهود، رفضوه، لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ إيليّا كان يجب أن ينزل من السماء قبل مجيئه.

* البيان الرّابع:

بيان المسيح في حقيقة ومعنى نزول النبيّ إليّا

كلّ مسيحي يعلم ردّ المسيح على هذه المعضلة بقوله:

{وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ}. إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 13:3

وعندما سأله تلاميذه:

{لِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ: إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟»} (إِنْجِيلُ مَتَّى 10:17) أجابهم:

{«إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ * ولكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 17 : 11-12)

هنا تُخبرنا الأناجيل أنّ تلاميذ المسيح فهموا قصده:

{حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ} (إِنْجِيلُ مَتَّى 13:17)

ثم تابعَ المسيح قائلاً:

{إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، **فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ** * مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 11 : 14-15)

* البيان الخامس:

الآية الوحيدة

كان اليهود ينتظرون مجيء المسيح ليحكمهم ويقودهم كَمَلِك يحرّرهم من خلال قتال أعدائهم، ثم يقيم لهم مملكةً دنيوية. كانوا يتوقّعون مجيئه كمقاتل ومنتقم أكثر من كونه نبيّاً مسالِماً من الله. ولكن قبل مجيئه كانوا يتوقّعون نزول النّبي إيليّاً من السماء، كما ذكرنا آنفاً.

وعندما أَخبرهم المسيحُ أنّ نبوءة نزول إيليّا في الكتاب المقدّس كانت تعني مجيء النبيّ يحيى ممتلئاً بروح النّبيّ إيليّا، انتابهم الإحباط وارتابوا بدعوة المسيح وطَلبوا منه آيةً تدلّ على صدقه، وقالوا:

{يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً»}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 38:12)

فنظر المسيح إلى الحشد قال:

{«جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ **إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ** * لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، **هكَذَا** يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال}.

(إِنْجِيلُ مَتَّى 12 : 39-40)

هنا نجد أنّ يسوع المسيح يؤكّد أنّ أهل زمنه لن يروا أيّة آية سوى **آية**

واحدة فقط——وهي **آية يونان النبيّ** ، أي **آية يونس عليه السلام**.

لقد كان طلبُ كبار الكتبة والفريسيين وأشياخ اليهود آيةً من يسوع المسيح يَقصُد إلى إبطال دعواه، وليثبتوا أنّه كان كاذباً في إعلان نفسه المسيح الذي كانوا ينتظرونه منذ أمد طويل. وكان المسيح يعرف أنّهم سوف ينكرونه ويرفضون دعوته، وأنّهم سيتآمرون لِجَعْلِه يُقتل على الصليب ليُبرهنوا على أنّه كان كاذباً وملعوناً من الله.

* البيان السادس:

تعليم المسيح في الدعاء ويقينه باستجابة الله

لم يكن في يد المسيح قوّة يدفع بها عن نفسه، ولم يكن له ناصر سوى الله لينقذه من مؤامرة أعدائه المتنفّذين. وما كان أمامه خلاص من الموت المدبَّر له سوى **اللجوء إلى الدّعاء.**

نعلم من الأناجيل، أنّ يسوع المسيح كان يؤمن إيماناً يقينياً بقوّة الدّعاء إلى الله ربّه وإلهه وربّ العالمين. وكان يعلِّم تلاميذَه وأتباعه أن يكون لهم إيمان قويّ بالدّعاء. وكان يثق بأنّ الله—بحسب شريعة موسى—يسمع دعاءه دائماً، لأنّه يسمع دعاء الصّدّيقين.

في أمثال 29:15، نقرأ:

{اَلرَّبُّ بَعِيدٌ عَنِ الأَشْرَارِ، **وَيَسْمَعُ صَلاَةَ الصِّدِّيقِينَ**} (أَمْثَالٌ 29:15)

وفي مرقس 24:11 نقرأ تعليم يسوع المسيح وثقته بالدّعاء، حيث يقول:

{لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: **كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ** حِينَمَا تُصَلُّونَ، **فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ**}. (إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 24:11)

في مواجهة المحنة الكامنة، كان يسوع المسيح في حاجة ماسّة إلى العون.

ولم يكن بإمكان أحد أن يُنجّيه سوى الله. ولهذا فقد أخذ يدعو، بإيمانٍ عظيم، إلهَه القادر أن يخلّصه، سائلاً إيّاه، طالباً منه، قارعاً بابه——فاعلاً التعليم ذاته الذي علّمه لتلاميذه ليوقنوا به حين قال لهم:

{وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: **اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ** * **لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ** * فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزًا، أَفَيُعْطِيهِ حَجَرًا؟ أَوْ سَمَكَةً، أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ * أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً، أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ * فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟»}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 11 : 9-13)

هنا، نرى من خلال تعليم المسيح التّام، أنّ الله عزّ وجلّ لا يُحبِط أبداً صلاة ودعوات عباده، خصوصاً إذا كانوا أتقياء. وهنا أيضاً، أَفترض أنّ كلّ مسيحي يعتقد مخلصاً بأنّ يسوع المسيح عندما دعا اللهَ، كان هو أيضاً يؤمن بأنّ كلّ ما يطلبه حين يُصلّي فيكون له——كما عَلَّم هو أتباعه.

دعونا الآن نُلقِ نظرة مُخلِصة على واقعة دعاء المسيح كما هي مرويّة في الأناجيل.

* البيان السابع:

حزن المسيح وخوفه من الموت على الصليب

عندما عَرف يسوع أنّ اليهود كانوا يتآمرون بمكر شديد لقتله على الصليب، شعر بالحزن الشديد وبدأ يجهَد بدعاءٍ لَحوح لله عزّ وجلّ لينقذه من خطّة اليهود الماكرة التي قصدوا أن يُثبتوا بها أنّه كان كاذباً، من خلال قتله على الصّليب، وذلك لأنّ الكتاب المقدّس يقول:

{«وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ **حَقُّهَا الْمَوْتُ**، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ * فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، **لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ**}[1]. (اَلتَّثْنِيَة 21 : 22-23)

لم يُرِد المسيح أن يموت على الصّليب! وإلاّ لاعتقدَ اليهود، بحسب الكتاب المقدّس، أنّه كان **كاذباً ملعوناً**، وليس المسيح الصادق من الله. ولذلك فقد دعا اللهَ بحماسٍ مُتّقِد ورجاءٍ مُلِحٍّ **ليُنقِذه من الموت على الصّليب**.

مازال بإمكاننا، حتى الآن، أن نقرأ في الأناجيل المقدّسة التفاصيل الكاملة عن حزن المسيح العظيم وعن صَلاته ودعواته الرّاجية لإلهه وربّه أن يُنقذه

---

[1] – يجب الانتباه هنا إلى أنّه بحـ سب هذا البيان في الكتاب المقدّس، ليس كل معلق يكون ملعوناً، بل **فقط من كان عليه خطيّة حقّها الموت**. أمّا الذي لا يكون عليه خطية حقّها الموت فلا يكون ملعوناً حتى لو عُلّق على الـ صليب ظُلماً.

من شرب كأس الموت على الصّليب. دعونا نُنعش ذاكرتنا.

مرقس في 14 :33- 36 من إنجيله يذكر لنا روايتَه الشهيرة لواقعة دعاء المسيح، كما يلي:

{ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ * فَقَالَ لَهُمْ:«نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! اُمْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا» * ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ * وَقَالَ:«يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، **فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ**}."

(إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 14 : 33-36)

وفي 26: 36-39 من رواية متّى لواقعة دعاء المسيح، نقرأ:

{حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ:«اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ» * ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، **وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ** * فَقَالَ لَهُمْ:«**نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ**. اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي» * ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ **فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 26: 36-39)

وفي إنجيل لوقا 22 :41-42 مازلنا نقرأ:

{وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى * قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، **إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ**}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 22: 41-42)

* البيان الثامن:

لم يُرد المسيح الموت على الصّليب

وهكذا نعلم من الأناجيل المقدّسة أنّ يسوع المسيح كان حزيناً حتى الموت خوفاً من أن يموتَ قتلاً على الصّليب، فهو **لم يُرد أن يموت على الصّليب لأنّه لم يتطوّع ليموت على الصّليب**. والأناجيل ما تزال تُثبتُ حزنَه الشديد وخوفه من شُرْبِ كأس الموت على يد الذين تآمروا لقتله.

بحسب إنجيل مرقس، كانت نفسُ يسوع حزينة، وكان يدهش ويكتئب، نقرأ:

{ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ **يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ**}

(إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 14:33)

ومن إنجيل متى 26 :38-39، نقرأ أنّ المسيح:

{قَالَ لَهُمْ:«**نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا** حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي»* ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، **إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 26 : 38-39)

لوقا، في 44:22 من إنجيله، يخبرنا عن حالة المسيح البائسة عند دعائه، فيقول:

{وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ **كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ**، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ}.

ونقرأ عن بكاء يسوع الشديد ودموعه عند دعائه في 7:5 من الرسالة إلى العبرانيين، كما يلي:

{الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ **قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ** ..}. (الرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 7:5)

وبحسب إنجيل مرقس فقد دعا المسيحُ ربَّه أن يُعبِر عنه السّاعة، نقرأ:

{ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي **لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ** إِنْ أَمْكَنَ}. (إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 35:14)

{وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، **فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ**}

(إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 36:14)

وفي إنجيل متى، نقرأ توسُّل المسيح إلى الله:

{«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ **فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 39:26)

وبحسب إنجيل لوقا، دعا المسيحُ قائلاً:

{«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ **أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ**}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 42:22).

يجد الباحث المحقّق هنا نفسه أمام تساؤلات قاهرة:

هل هذا الدّعاء الشديد الملِحّ الذي رَوَتْه الأناجيل الأربعة بتفاصيله

الدّقيقة عن يسوع المسيح هو دعاء شخص أراد الموت على الصليب؟!

وهل يمكن لهذا الدّعاء الحزين والمفعَم بالخوف أن يكون دعاء ابن الله الشجاع الذي تطوّع بنفسه ليموت على الصّليب تكفيراً عن خطايا البشر وفداءً لهم؟!

* البيان التاسع:

استجابةُ الله لدعاء المسيح بنجاته من الموت على الصليب

ثم ماذا لو كان الله قد سَمِع دعاءَ المسيح—لأنه يسمع دعاء الصّديقين—واستجاب له فأنقذه من الموت على الصّليب؟

سوف لا يكون عندئذ كفّارة ولا فداء!

وماذا كان سيحلّ بمصير البشرية التي باتت بلا كفّارة ولا فداء؟

هل كان البشر سيُقذفون خالدين في ظُلمات الجحيم بسبب الخطيئة التي ورثوها بالولادة من أبيهم آدم، ودون ذنب منهم؟

إذا كان سماع الله لدعاء المسيح سيؤدّي بالبشرية إلى هذا المصير المريع، إذاً كان من الواجب على الله أن يشيح بوجهه عن المسيح وألاّ يسمع لدعائه—حتى لو كان صدّيقاً—مهما ألحّ و{**قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ**}، وذلك لأنّه لو سمِع الله للمسيح **من أجل أنّه صدّيق ومن أجل تقواه** لفشلتْ، بحسب العقيدة الكنسية، خطّة الكفّارة والفداء وأُحبطت بشكل كامل، وَلآل مَصِيرُ البشرية إلى العذاب الأبدي في جحيمِ غضبِ الله المتّقد؛ ولكنْ، لسوء حظ رجال

الكنيسة، فإنّ الإنجيل يُخبرنا أنّ الله **قد استجاب** دعاءَ المسيح، **وسَمِعَ له من أجْلِ تقواه**ــــهذا ما يخبرنا به الإنجيل في الكتاب المقدّس في 7:5 من الرسالة إلى العبرانيين، حيث نقرأ الخبر السعيد:

{**وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ**} (اَلرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 7:5)

لنقرأ النصّ كاملاً:

{الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ **لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ** مِنَ الْمَوْتِ، **وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ**}.

(اَلرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 7:5)

لقد **استجاب الله** لدعاء المسيح و{**سُمِع له مِن أجلِ تقواه**}؛ ولأنّ الله إذا سَمع لا يُخلِف، **فقد أجاز عنه كأسَ الموت، وأنقذه من الموت على الصليب**.

البرهان على ذلك سوف يبرز لنا واضحاً جليّاً من الكتاب المقدّس، حالاً.

هنا، أرجو من القارئ الكريم أن يمنحني المزيد من الصّبر لإعادة تقديم شهادة الأناجيل الخاصّة باستجابة الله لدعاء المسيح في سياقها الكامل كما يرويها لوقا في 22 :41-44، حيث يقول:

{وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى * قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ **أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ**. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ

إِرَادَتُكَ» * **وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ** * وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ}

(إِنْجِيلُ لُوقَا 22 : 41-44)

نلاحظ هنا في شهادة لوقا أنّ **الملاك الذي ظهر للمسيح قد نزل من السّماء**، وأنّه قد **جاء ليُقوّيه**. وبما أنّ الأناجيل تُخبرنا أنّ المسيح كان خائفاً من القتل، وكان قد دعا اللهَ أن يُنجيه من الموت على الصليب—فهل من المعقول أن تكون تَقْويةُ الملاك له هي بإخباره أنّ الله لم يسمع له ولا لطلباته وتضرّعاته، بل أنزله (أنزل الملاك) من السماء ليَظْهَر له ويؤكّد له بأنّه سيهلك على الصّليب مهما دعا وعلى كلّ حال؟

هل هكذا كان الملاك سيقوّي المسيح؟ أم أنّ هذا يُعدُّ تيئيساً قاتلاً وإحباطاً مُميتاً؟

إنّ ملاك الله—الذي لابدّ أن يكون الملاكَ الحارس ذاته الذي ظهر ليوسف في الحلم، كما ظهر لزوجة بيلاطس—قد جاء ليقوّي يسوع المسيح بالبشرى أنّ الله قد سمع لدعائه وتوسّلاته وطلباته وتضرّعاته لأن يُجيز عنه كأس الموت، وليُنجيه من القتل والموت اللعين على الصّليب.

لنتذكّر ثانيةً شهادةَ الإنجيل التي تُخبرنا بأنّ الله قد سَمِعَ دعاء يسوع المسيح واستجاب له، حيث تؤكّد نجاتَه فتقول:

{الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ

لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، **وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ**}

(الرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 5:7)

{وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ}،

{وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ}.

هذه واحدة من شهادات الأناجيل أنّ الله قد سَمِع ليسوع المسيح واستجاب دعاءه ليُنجيه من الموت ملعوناً على الصليب—وهكذا نعلم يقيناً أن يسوع المسيح **لم يمتْ على الصّليب**—وذلك بدليلِ استجابةِ الله لدعائه.

هذا، على كلّ حال، ليس البرهان الوحيد الذي يؤكّد بأنّ الله قد سمع ليسوع المسيح واستجاب دعاءه.

لقد أعلن المسيحُ ذاتُه أنّ الله يستجيب له دائماً ولا يُخيّبه أبداً. نقرأ إعلان يسوع المسيح هذا في إنجيل يوحنّا 11 :41-42، إذ يقول:

{أَيُّهَا الآبُ، **أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي** * وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ **فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي**}. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 11 : 41-42)

لابدّ لنا أن نصدِّق المسيح في قوله أنّ الله **في كلّ حينٍ يسمع له**. ومن البديهي أنّ الله يسمع ليسوع المسيح في كلّ حين، ولا يَردُّ دعاءه ولو لمرّة واحدة، وإلاّ فإنّ تعليم المسيح بخصوص الدّعاء يتعرّض للنقد والشّك ويعتُبِرَ زائفاً، بالإضافة إلى أنّه كان سيُستثنى من اعتباره من الصدّيقين والأتقياء

الذين يسمع الله لهم، وسيُعَدّ مِثْلَ الأشرار الذين قال الله إنّه بعيد عنهم:

{**الرَّبُّ بَعِيدٌ عَنِ الأَشْرَارِ، وَيَسْمَعُ صَلاَةَ الصِّدِّيقِينَ**}. (أَمْثَالٌ 15:29)

ألا نؤمن أنّ يسوع المسيح هو بكلّ تأكيد من الصدّيقين ولا يُمكن أن يُعدّ من الأشرار؟ أم أنّ ثمّة من يجرؤ على أن يعدّه من الأشرار الذين لا يُستجاب دعاؤهم؟ فقط شيوخ اليهود وأتباعهم الذين لم يصدّقوا به كانوا يعدّونه من الأشرار وليس من الصّديقين—أما الله فلاشك في أنه كان يعلم أنّ يسوع من الصّديقين الذين يستجيب لدعائهم، وهذا ما نعتقد به نحن المسلمين، كما هو معلوم، وكذلك نعتقد بأنّ أمّ المسيح أيضاً كانت صدّيقة، إذ نقرأ في القرآن الكريم قولَ الله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ **وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**} (سورة المائدة 76)

فإذا كانت أمّه صدّيقة، أفلا يكون هو أيضاً صدّيقاً يسمع اللهُ صلاتَه؟

أليس في بيان الإنجيل للمؤمنين به برهاناً كافياً على أنّ الله قد سمع دعاءَ يسوع المسيح وطلباته وتضرّعاته فاستجاب له وأجاز عنه كأس الموت، كما طلب هو في دعائه، ونجّاه من الموت على الصّليب؟

ألم يكن في استطاعة الله أن يفعل ذلك، وهو الذي، بحسب يقين المسيح، كلّ شيء مستطاع له؟ {كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ}. (إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 14:36)

لقد سمع الله، الذي كلّ شيء مستطاع له، ليسوع المسيح، ونجّاه وعَبَر عنه كأسَ الموت وأجازها. **وهو لذلك لم يمت على الصليب**.

* * *

ثمّة اعتراض على هذا البيان بأنّ المسيح حين دعا قال: {فلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ} (إِنْجِيلُ مَتَّى 26 : 42)، وقال: {يا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، **وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ»**} (إِنْجِيلُ مَتَّى 26 : 39)

من المؤكّد أنّ المسيح قد خضع لمشيئة الله. وكيف له أن يفعل غير ذلك؟ ولكنّ الأناجيل تُنبئنا أنّ **مشيئة الله كانت أن يُنجي يسوع، لا أن يهجره ويتركه ليُقتَل ملعوناً على الصّليب**؛ ولذلك فقد **أَرسل له من السماء مَلَكاً يقوّيه ويحمل له البشرى بالنّجاة.**

* البيان العاشر:

الحلم الذي شاهده يوسف

وكي نفهم خطّة الله وتدبيره لإنقاذ يسوع من ميتةِ الّلعنة على الصليب، فإننا بحاجة إلى **إعادة تحرّي واقعة الحدث** بأكملها مبتدئين بواقعتي **الحلم** الذي رآه يوسف **والحلم** الذي رأته زوجة بيلاطُس الحاكم كما نجدهما مذكورين في الأناجيل. وهذا لأننا يجب أن نتفكّر بخطّة الله، وتدبيره ومكره الحكيم لإنقاذ المسيح من القتل منِ قِبل هيرودوس الذي كان يسعى لقتل المسيح وهو لا يزال طفلاً، ليتخلّص منه قبل أن يكبر ويشكّل خطراً عليه. هذا ما نعلمه من متى 13:2 حيث نقرأ عن الحلم الذي أراه اللهُ ليوسف.

{وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا **مَلاَكُ الرَّبِّ** قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي **حُلْمٍ** قَائِلاً:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ»} (إِنْجِيلُ مَتَّى 13:2)

وفي 2 :19-20 من إنجيل متّى نقرأ:

{فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا **مَلاَكُ الرَّبِّ** قَدْ ظَهَرَ فِي **حُلْمٍ** لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ * قَائِلاً:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ»} (إِنْجِيلُ مَتَّى 2 : 19-20)

وفي 22:2 من الإنجيل ذاته، نقرأ: {وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي **حُلْمٍ**، انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 22:2)

آخذين بعين الاعتبار أنّ **ملاك الرّب**، المذكور في هذا **الحلم**، **قد أرسله الله**، يمكننا إذاً أن نفهم بسهولة أنها كانت مشيئة الله **أن يُنقذ الطّفل يسوع من أن يُقتَل**——وإلاّ:

- **لماذا كان الحلم؟**
- **ولماذا نزل الملاك؟**

أطاع يوسفُ أمرَ الله، ونَفَّذَ ما أخبره به الملاك. في إنجيل متّى 2 : 14-15 نقرأ: {فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ * وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ:«مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»}. إِنْجِيلُ مَتَّى 2: 14-15

وهكذا نُلاحظ أنّ من طُرق الله تعالى أنّه عندما يُريد أن يُنقِذ عبداً من عباده الصالحين فإنّه يُري حُلْماً يفيد في تحقيق هذا الهدف——مثلما نعلم من قصّة النّبي يوسف أيضاً——من المهمّ جدّاً أن نبقى متذكّرين هذا.

* البيان الحادي عشر:

حلْم زوجة الحاكم بيلاطس

وثمّة أيضاً حُلْم آخر يتطلّب منّا المنطقُ السليم أن نفهمه وندرك أنّ له القصد ذاته من الله—**وهو إنقاذ المسيح من الموت.**

"في إنجيل متى 19:27، نقرأ عن الحلم الذي شاهدته زوجة بونتيوس بيلاطس، الحاكم:

{وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً:«**إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ**»}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 19:27)

نحتاج إلى أن نُلاحظ هنا أنّ زوجة الحاكم بيلاطُس كانت **خائفة وقلقة جدّاً بسبب الحلم** الذي أراها اللهُ إيّاه؛ وقد **تألّمتْ منه كثيراً** إلى حدّ أنّها لم تنتظر زوجها لينتهي من ارتباطات عمله على كرسيّ الحكم، بل أرسلتْ إليه رسالةَ تحذيرٍ عاجلة:

{«**إِيَّاكَ** وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي **تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا** فِي حُلْمٍ **مِنْ أَجْلِهِ**»}

لابدّ أنّ الحلم الذي جعل اللهُ زوجةَ بيلاطُس تراه كان مُخيفاً ومؤلماً جدّاً، كما يقول الإنجيل، وإلاّ لما تصرّفت بهذه السّرعة، ودون أيّ تأخير. وهذا

برهان من الإنجيل على أنّ الله كان قد دَبّر (مَكَرَ) لإنقاذ المسيح من مؤامرةِ قتْله على الصليب سلفاً؛ وإذا لم يكن الأمر كذلك **فلماذا** حَذّر (اللهُ) الحاكمَ الروماني بيلاطُسَ، من خلال زوجته، كي لا يؤذي {**ذلك البارّ**}؟

وكيف عرفتْ زوجةُ بيلاطُس أنّ يسوع المسيح كان **بارّاً**؟

مَن أَخبرها؟

* البيان الثاني عشر:

بيلاطس يسعى لإنقاذ المسيح

تُبيّنُ لنا الأناجيلُ بوضوح كيف أنّ بيلاطس قد تأثّر من تحذير الحلم المخيف الذي رأته زوجته. فلقد حاول جاهداً أن يُنقذ يسوع من القتل. إذ حاول أن يُقنع كبار كهنة وشيوخ اليهود لإطلاق سراح المسيح، نقرأ:

{فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟} (إِنْجِيلُ مَتَّى 17:27)

تُخبرنا الأناجيل أيضاً أن بيلاطُس كان مقتنعاً بأنّ كهنة وشيوخ اليهود كانوا يحسدونه. متّى في 17:27 من إنجيله، يُخبرنا عن اعتقاد بيلاطس،

قائلاً:

{**لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 18:27)

لقد كان رؤساءُ كهنة اليهود وشيوخهم عازمين بشدّة على تنفيذ سعيهم الإجرامي لقتل المسيح على الصّليب. وكانوا مستائين من ملاحظة أنّ بيلاطُس كان يسعى لإنقاذه؛ وبذلك فقد سعوا إلى إخافته وإنذاره بالوشاية به إلى القيصر بتهمة التآمر؛ في إنجيل يوحنّا 12:19، نقرأ:

{**مِنْ هذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيلاَطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلِقَهُ**، وَلكِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: «إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا **فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ**. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا **يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!**»} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 12:19)

وهكذا وَجَد الحاكم بونتيوس بيلاطُس نفسَه **مُهَدَّداً** باتّهام كهنة اليهود وشيوخهم أنّه، إذا ما أَطلقَ المسيحَ وامتنع عن دفعه للأجناد ليُقتل على الصليب **فَسَيُعدّ عدواً لقيصر. منذ ذلك الوقت كان على الحاكم بيلاطُس أن يعمل بشكل سرّي من أجل إنقاذ البارّ يسوع المسيح من الميتة اللعينة على الصّليب.**

مدركاً السَّعيَ العنيد لكهنة وشيوخ اليهود، **أراد بيلاطُس أن يجعل أهل زمانه شهوداً على أنّه كان بريئاً من دم يسوع المسيح** الذي آمن هو (بيلاطُس) بأنّه كان بارّاً كما وُصِف في **حلم زوجته.** ولذلك فقد قام بتصرّفٍ غريب وغيرِ مسبوق ليُبرهن على تصديقه ببرّ يسوع المسيح وليُبرهن

على كونه بريئاً من دمه——ماذا فعل؟

تُخبرنا الأناجيل عن فِعله العجيب أمام حشد اليهود وشيوخهم الغاضبين.

في إنجيل متى 24:27، نقرأ:

{فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئًا، **بَلْ** بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً **وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ** قَائِلاً:«**إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ!** أَبْصِرُوا **أَنْتُمْ!**»} (إِنْجِيلُ مَتَّى 24:27)

هذا الفعل الملفت والشجاع من قِبل بيلاطُس له دلالة عظيمة. ويبدو أنّه أراد البرهان من خلاله على إيمانه بالمسيح وبراءته من دمه، ليس فقط أمام أهل زمانه، ولكن أمام التاريخ والله أيضاً. ولذلك فإننا نقرأ في الإنجيل عن سلوكه الرائع هذا!

من هذه الرواية في الأناجيل، يجب أن يكون واضحاً أنّ بيلاطُس الحاكم كان مهتمّاً بكلّ الصدق بإنقاذ الرجل (يسوع)، الذي آمن بأنّه {بارّ}، من الموت. ولابدّ أنّ هذا جاء نتيجة دُعاء يسوع الملِحّ لأن يُنقذه الله من ذلك الموت.

والآن دعونا نتفكّر بالإخلاص الكافي ونطرح على أنفسنا السؤال التالي: 'إذا ما كان ثمّة حاكم يريد إنقاذَ رجلٍ يِعتقدُ أنّه بريء وبارّ من الموت، فهل كان يسلمه للمتآمرين على قتله ببساطة دون أن يدبّر (يمكر) طريقة لإنقاذه؟

* البيان الثالث عشر:

خطة الحاكم بيلاطس لإنقاذ المسيح، والتدبير الإلهي لعونه

تبيّن الأناجيل أنّ الحاكم بونتيوس بيلاطُس قد سعى فعلاً لإنقاذ يسوع المسيح من القتل على الصليب. إذ يتبيّن بالتحقيق المخلص أنّه قد شارك في خطّةٍ محبوكة بذكاءٍ وحكمة ساهَمَ في تنفيذها مجموعةٌ من المصدّقين بالمسيح، تمّ اختيارُهم تحت قيادةِ ومتابعة بيلاطُس وأتباعٍ متنفّذين آخرين.

يمكننا فهم التدبير (المكر) الإلهي لإنقاذ المسيح من لعنة الموت على الصّليب من خلال التفكّر، بالصدق والإخلاص اللازمَين، بوقائع حادثة الصّلب وسلوك النّاس الذين كانوا مُعيّنين للإشراف على عملية الصّلب، ومن خلال عَمَلِ الله ومكره من وراء الظواهر الطبيعية التي رافقت الواقعة.

كانت خطّة بيلاطُس ابتداءً، **هي أن يَحْرِمَ شيوخَ اليهود وعلماءَهم من الوقت الكافي فلا يستطيعون التمكّن من قتل المسيح على الصّليب.** ولقد رأينا لتوّنا من الأناجيل أنّه قد أخّر تسليم يسوع للصّلب من خلال اقتراحه أن يُطلقه. وأيضاً نعلم من إنجيل لوقا 7:23 أنّه قد ضيّع المزيد من الوقت من خلال إرسال المسيح إلى هيرودوس ليُحاكمه—في حين أنّه لم يكن في حاجة ليفعل ذلك. وهكذا فقد ضَيّعَ بيلاطس الكثير من الوقت كي لا يُوضَع المسيحُ على الصّليب وقتاً طويلاً يكفي لموته مُعلَّقاً. ومع

ذلك فقد بدا في الظّاهر وكأنّه كان يُطبّق القانون بتسليمه يسوع ليُعاقَب كما يُريد أشياخُ اليهود وأتباعُهم؛ وبذلك يكون قد أحبطَ التّهمة التي كانت مُحضّرة سلفاً ضدّه من قِبل كهنة اليهود وشيوخهم الذين حَذّروه من عاقبة ومسؤولية العفو عن شخص متآمر خطير مثل يسوع المسيح، فقالوا مُنذِرين:

{إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا **فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ**. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا **يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!»**} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 12:19)

ولقد جاء تهديدُ كهنة اليهود وشيوخهم لبيلاطُس في السياق التالي:

{مِنْ هذَا الْوَقْتِ **كَانَ بِيلاَطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلِقَهُ**، وَلكِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ:«**إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ**. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!».

فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ هذَا الْقَوْلَ أَخْرَجَ يَسُوعَ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «الْبَلاَطُ» وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ «جَبَّاثَا» * وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ، **وَنَحْو السَّاعَةِ السَّادِسَةِ**. فَقَالَ لِلْيَهُودِ:«هُوَذَا مَلِكُكُمْ!» * فَصَرَخُوا: «خُذْهُ! خُذْهُ! اصْلِبْهُ!» قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «أَأَصْلِبُ مَلِكَكُمْ؟» أَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ:«لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرَ!» * **فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِيُصْلَبَ. فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ**} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19 : 12-16)

ولأنّ بيلاطُس لم يُرِد أن يُتَّهم بما أنذره به رؤساء الكهنة، فقد قرّر تسليم المسيح لهم، **ولكن بحسب خطّة سرّية تضمن سلامته.**"

وهكذا فإنّ بيلاطُس لم يَخذُل المسيحَ، كما أنّ اللهَ إلهه لم يتركه. لم ينسَ اللهُ أنّه قد **سمع ليسوع** المسيح {**من أجل تقواه**}، وكذلك لم ينس بيلاطُس أنّ المسيح كان رجلاً {**بارّاً**}، كما عَلِم من حلم زوجته، وأنّه كان بريئاً من التّهم التي وجّهها إليه رؤساءُ الكهنة الذين {**أسلموه حسداً**}.

أعانَ اللهُ بيلاطُسَ؛ فخَطّط ونَفّذ!

* البيان الرابع عشر:

المؤمنون بالمسيح يشرفون على عملية الصّلب لضمان نجاته

والآن دعونا نرَ ماذا حدث.

يبدو واضحاً من وقائع الإنجيل أنّ بيلاطُس قد عَيّن لمهمّة الصّلب قائدَ المئة الذي قال عنه يسوع:

{«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ **إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا!**}

(إِنْجِيلُ مَتَّى 10:18)

وهكذا فإنّ الرجل الذي كان، بحسب يسوع، يملك أعظم إيمان في إسرائيل كان هو الذي عيّنه بيلاطُس للإشراف على عملية صَلْبِ المسيح

المخطَّط لها جيّداً.

"وهكذا أيضاً نكتشف أنّ الحاكم بيلاطس، الذي أراد إطلاق المسيحَ، وقائدَ المئة (أعظمَ المؤمنين إيماناً في إسرائيل بيسوع المسيح) كانا هما المشرِفان المتنفّذان في عمليّة الصّلب——وهما السّلطة العسكرية الأعلى المخوَّلة بتنفيذ الحكم، وكانا كلاهما يؤمنان بيسوع باعتباره بارّاً وصادقاً كابنٍ لله. ولتمام الخطّة فقد كان لابدّ أن يكون الجنود المنفِّذون لعملية الصّلب من المؤمنين أيضاً.

وهذا بالضّبط ما تُخبرنا به الأناجيل، إذ تروي لنا أنه ليس فقط قائد المئة وحده كان يؤمن بأنّ المسيح كان حقّاً من الله، ولكن حتى الجنود الذين **كانوا يحرسون معه** كانوا يؤمنون حقّاً بالمسيح ويصدّقون بدعوته.

في 54:27 من إنجيل متى، نقرأ شهادة الكتاب المقدّس، كما يلي:

{وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ **وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ** يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا:«**حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ!**»} (إِنْجِيلُ مَتَّى 54:27)

والآن دعونا ننتبه جيدا!

بالنسبة إلى الأناجيل:

- كان **بيلاطُس** يؤمن بأنّ المسيح كان {**بارّاً**}، وسعى لأن يُطلقه.

- **وقائد المئة** شهد له المسيح بقوله: {لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ **إِيمَانًا بِمِقْدَارِ**

هذَا!}

- **والجنود** الذين كانوا يحرسون مع قائد المئة قالوا عن المسيح: {**حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ!}**

وهكذا بشهادة الإنجيل يمكن للمؤمن أن يطمئنّ إلى أنّ **المسيح، في واقعة الصّلب، كان في أيدٍ أمينة تمّ اختيار أصحابها من الذين كانوا مؤمنين بيسوع المسيح ومُصدّقين به—ويهتمّون بنجاته.**

* البيان الخامس عشر:

المسيح لم يُعلَّق أكثر من ثلاث ساعات

والآن تعالوا نتبيّن كيف نجا المسيح من الميتة اللعينة على الصّليب—كما تشهد وتُبرهن لنا الأناجيل في الكتاب المقدّس.

تؤكّد الأناجيل، كما برهنّا، أنّه قد تمَّ تسليم المسيح إلى أيدي **جنودٍ كانوا في الحقيقة مؤمنين به سرّاً**، ويعملون تحت إمرة **قائدِ المئة**، **عظيمِ الإيمان**، الذي كان تحت إمرة **الحاكم بيلاطُس الذي أراد إنقاذ المسيح وإطلاق سراحه.**

بحسب الأناجيل، لم يكن بالإمكان تعليق المسيح على الصّليب أكثر من ثلاث ساعات فقط[1]، قبل غروب يوم الجمعة ودخول يوم السّبت، حيث يَحرُم تركُ الأجساد مُعلَّقة على الصليب وذلك بأمر الكتاب المقدّس الذي تقول تعليماتُ اللهِ فيه:

{«وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ * فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ}[2] (اَلتَّثْنِيَة 21 : 22-23)

ولذلك فإننا في 31:19 من إنجيل يوحنّا، نقرأ:

{ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادٌ، **فَلِكَيْ لاَ تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ،** لأَنَّ يَوْمَ ذلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيمًا، سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا}، لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لكان، بالنسبة إلى عقيدة اليهود، انتهاكاً شديداً يؤدّي إلى نزول غضب الله عليهم. ولذلك **فقد كان من المضمون، بالنسبة إلى بيلاطُس ومعاونيه، ألاّ يَزيد تعليقُ المسيح على الصّليب عن الثلاث الساعات وهي فترة لا يمكن أن تؤدّي إلى**

---

[1] – ربما تحدّثت بعض الرّوايات عن عدد من الـ ساعات يزيد قليلاً، ولكنه، على كلّ حال، لا يزيد عن ساعات قليلة معدودة. والإنجيل هو المصدر والحكم في هذا الشأن.

[2] – يجب الانتباه هنا إلى أنّه بحـ سب هذا البيان في الكتاب المقدّس، ليس كل معلق يكون ملعوناً، بل **فقط من كان عليه خطيّة حقّها الموت**. أمّا الذي لا يكون عليه **خطية حقّها الموت** فلا يكون ملعوناً حتى لو عُلّق على الـ صليب ظُلماً. ولذلك فإنّ دعوى بولُس أنّ الـ سيح قد مات ملعوناً على الـ صليب كفّارة وفداءً لأجل الناس إنما هي دعوى باطلة□بدليل أنّ المسيح لم يرتكب خطية **حقّها الموت**، ولذلك لم يصر ملعوناً.

موته على الصليب، وذلك لأنّه كان لابدّ من إنزاله قبل غروب يوم الجمعة وقبل أن يحلّ يوم السبت العظيم الذي كان فقط **على بُعدِ ثلاث ساعات** من تعليق المسيح على الصّليب.

تلك كانت خطّة بيلاطُس العبقرية لإنقاذ المسيح من الموت على الصّليب! وأما فيما يتعلّق بتدبير الله لإنقاذه فقد كان مُستمرّاً من قَبل ومِن بعد.

ولا بد من الانتباه هنا إلى أنّ الذي يُعلَّق على مشـــنقة لا يُقال عنه إنّه شُنق إلاّ إذا مات على المشنقة، أما إذا انقطع الحبل أو تمّ إنقاذه فلا يُقال إنه شُنق، وكذلك لا يُقال عن شخص إنّه غَرق، ولو نزل إلى أعماق الماء، إلاّ إذا مات غريقاً. وكذلك فإنّ مجرّد تعليق المســيح عليه الســلام على الصــليب لا يَعني أنّه قد صُــلبَ إلاّ إذا مات على الصّــليب، أمّا إذا تمّ إنقاذه فلا يُقال إنّه قد صُلب—وهذا ما حدث فلقد تمّ إنقاذ المسيح من الموت على الصّليب وما صُلب، كما سنبرهن بالتحقيق المبين.

* البيان السادس عشر:

الزّلزلة والظلمة العظيمة

يُخبرنا الإنجيل أنّه قد تمّ تعليق يسوع المسيح على الصّليب من الساعة السّادسة وحتى التاسعة فقط. في تلك الفترة ذاتها **فَعَّلَ اللهُ الطبيعةَ بتخويف مُريع!**

فقد جلَبَ {**ظُلمةً على كلّ الأرض**}!

في متّى 45:27، نقرأ:

{وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ **كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ** إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ}

وزَلزل اللهُ الأرضَ .. وشَقّق الصخورَ .. فَتَفَتَّحت القبورُ .. وانشقّ حجاب الهيكل!

في 27 :51-52 من إنجيل متّى نقرأ هذه الشهادة لتدبير الله العظيم الذي شاء أن يُخيف رؤساءَ كهنة اليهود وأتباعَهم، ويُنقذ مسيحَه من الموت على الصّليب؛ يقول متّى:

{وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. **وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ * وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ}**. (إِنْجِيلُ مَتَّى 27 : 51-52)

تلك كانت الزّلزلة العظيمة والأحداث المروّعة المخيفة التي فَعَّلَها الله أثناء واقعة الصّلب ليحول دون تنفيذ أشياخ اليهود ورؤساء كهنتهم ورُعاعهم القتلَ المطلوب للمسيح على الصّليب، سعياً منهم ليُثبتوا أنّه كان كاذباً ملعوناً، وأنّ الله لم يُرسله كما أعلن هو. **ولقد فعل الله ذلك ليُعين بيلاطُس وليُنجّحه في تنفيذ خطّته السّريّة لإنقاذ المسيح من الموت على الصّليب.**

ويعلم العارفون أنّ نظام أخوية الإيسيين[1]، الذي كان ينتمي إليه المسيح، كان أيضاً وراء عملية إنقاذ المسيح من الموت على الصليب وحمايته من الأخطار التي كانت تترقّبه.

[1]-(الإيسيون تعني (أبناء السلام) وهي منظمة أخوية سرّية كانت زمن المسيح وكان أعضاؤها يتميّزون بالتقوى والصلاح والتوجّه الإنساني، مفكرون أحرار، باحثون عن الحقيقة، يمارسون الفضيلة في كلّ جانب من جوانب الحياة، يفهمون ويشرحون الحكمة لتكون مفيدة للناس. كان المسيح ينتسب إليها وكان في المستوى الأعلى في أعضائها. كان لهذا النظام أثر تنويري كبير في عصره والعصور التي تلته. وكانت الأخوية التابعة له قد أخذت على عاتقها حماية المسيح، وقامت بتنفيذ ذلك. كان الوجيه يوسف الذي من الرّامّة، والطبيب المثقف نيقوديموس من أعضائها.) أورد هذا البيان المؤرّخ جوزيفوس في كتابه: (De Bello Judaico) by Josephus

* البيان السابع عشر:

الإجراءات التي اتّخذها بيلاطس لإنقاذ المسيح

والآن ما هي الإجراءات الأخرى التي كان بيلاطُس قد اتّخذها لإنقاذ المسيح من الموت على الصّليب؟ لإتمام الخطّة:

***كان لابدّ من التأكّد من تخفيف آلام المسيح على الصّليب،**

***وإظهاره لحشد المتفرّجين بمظهر من مات كي لا يقتلوه،**

***وكان هذا يَستلزِم إعطاءَه عقاراً خاصّاً يوصِله أحدُ الجنود إلى فمه وهو معلّق على الصليب.**

فماذا تُخبرنا الأناجيل عن ذلك؟

* البيان الثامن عشر:

تخدير المسيح

فيما كان يسوع مُعلَّقاً على الصليب، كان لدى الجنود أوامر بإيصال عقار مُخَدِّر إلى فمه ليُخفِّف من ألمه ويخدِّره فيظهر وكأنّه قد مات، دون أن ينتبه الحشد الغوغائي المتآمر ضدّه إلى حقيقة الأمر. دعونا نرَ!

في إنجيل يوحنّا 19 :29-30، نقرأ:

{**وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوًّا** خَلاً، **فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ** * فَلَمَّا **أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ** قَالَ:«قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ}، هكذا سريعاً!

وفي إنجيل متى 48:27، نقرأ:

{وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاً وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ **وَسَقَاهُ**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 48:27)

هنا، يتساءل المرء بحق: **لماذا أُعطي المسيح هذا الشّراب، ولم يُعطَ للّصّين اللذين كانا مُعلَّقين على صليبين إلى يمينه وشماله؟**

وماذا كان هذا الشراب في الحقيقة؟

سيقول أصحاب التفكير السّاذج إنّه كان شراباً مُرّاً ليزيد في مُعاناة المسيح. من الواضح أنّ هذا تفكيرٌ سطحيّ، لأنّه لا يمكن إجبار شخص مُعلّق عالياً على صليب أن يشرب شيئاً من اسفنجة مُشَرَّبة بشرابٍ ما، موضوعة على قصبة، إلاّ إذا كان هو يرغب في مصّ الشراب منها، وإلاّ فإنّه كان سيُغلِق فمه بشدّة ويرفض أن يأخذ الشراب، وخاصّة إذا كان مُرّاً! **ولكنّ يوحنّا يُؤكّد في إنجيله أنّ يسوع قد أخذ الخلّ**، وذلك في 19:30 من إنجيله، حيث يؤَكِّد:

{فَلَمَّا **أَخَذَ** يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ:«**قَدْ أُكْمِلَ**»}.

وكذلك تُخبرنا الأناجيل أنّ الشراب الذي رُفع ليسوع، وهو على الصليب، كان **مزيجاً من الخلّ والزّوفا**. ونعلم من الموسوعات العلمية أنّ أوراق الزّوفا تُستخدم كعشب طبّي لمعالجة الاضطرابات الرئويّة التنفّسية والنزلات الصدرية، **كما يُستخدم زيتُها العطري المستخرج منها في الأشربة المُسكِرة**[1]. وهذا يعني، كما ذكر العديدُ من الباحثين المسيحيين، أنّ الشراب الذي رُفع ليسوع المسيح، وهو على الصّليب، **كان نوعاً من المزيج المُخدِّر** الذي كان قد **حُضِّر مُسبقاً لتخفيف آلامِه ولتخديره لِيُشَبَّه لهم كأنّه قد مات وأسلم الرّوح**، فيؤخذ ويتمّ إنقاذه—ولذلك فقد **تمّ مسبقاً تحضير إناءين جاهزين** في موقع الصليب، أحدهما مملوء بالخلّ والآخر فيه **مستحضر الزوفا العطري المخدِّر**، فمزجوا الشرابَين معاً ومَلئوا بالمزيج

---

[1] – انظر في الموسوعات العلمية، وموسوعة Encarta تحت مادة hyssop يعني الزّوفا.

اسفنجةً ورفعوها إلى فم المسيح فأخذه—كما يُخبرنا إنجيل يوحنّا. وفي إِنْجِيلُ مَتَّى 48:27، نقرأ: **{وَسَقَاهُ}!**

وهكذا فقد تمّ، بحسب الخطّة، تخديرُ المسيح، فَفَقَدَ وعْيَه وشُبِّهَ للناس كالميت.

وتُخبرنا الأناجيل أنّ **شيوخ اليهود وكبار الكهنة لم يستطيعوا التأكّد من موت المسيح**، وذلك **بسبب الزلزلة المفاجئة، والظّلمة الهابطة، والظروف المخيفة التي رافقت ذلك**، بالإضافة إلى اقتراب انتهاءِ يوم الجمعة **وحلول يوم السبت العظيم**.

كان اللصان المعلّقان على الصليب إلى يمينه ويساره، لا يزالا حَيّين عندما فَقَدَ المسيحُ وَعيَه وبدا كأنّه قد مات وأسلم الرّوح. ولقد بقيا حيّين لأنّ الوقت، الذي كانا مُعلَّقين أثناءه حتى فقدَ المسيحُ وعيَه، لم يكن كافياً لموتِ مُعلَّقٍ على الصليب؛ إذ كان المحكوم عليهم بالإعدام صَلْباً عادة ما يموتون على الصليب بعد أن يكون تعليقهم قد استمرّ على الأقلّ لمدّة ثلاثة أيام أو أكثر، يموتون في نهايتها بسبب الإنهاك والعطش الشديدين وجفاف عروقهم وأجسادهم.

بحسب الإنجيل، لم يُعلَّق المسيحُ على الصّليب لأكثر من ثلاث ساعات—وهو وقتٌ لا يكفي مُطلقاً لأن يموت على الصّليب.

ومن أجل إنقاذ المسيح من الموت على الصّليب، فَعَّلَ اللهُ ظروفاً طبيعية

مرعبة أخافت رؤساءَ الكهنة وأشياخَ اليهود والحشدَ الغوغائي من أتباعهم، كما قرأنا لِتَوّنا في رواية إنجيل متّى 27: 45-46 التي تقول:

{**وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ** كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ **إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ** * وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: **إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**} (إِنْجِيلُ مَتَّى 27 : 45-46)

وفي متّى 27:50 نقرأ:

{فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، **وَأَسْلَمَ الرُّوحَ**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 27 : 50)

ماذا حدث؟

ما الذي جعل المسيح يُسلِم الرّوح؟

لم يَزِد تعليقه على الصليب أكثر من ثلاث ساعات، وهو الوقت ذاته الذي أمضاه اللصّان اللذان كانا معلّقين على صليبين آخرين عن يمينه وشماله. ولكن الإنجيل يُخبرنا أنّ هذين اللصّين لم يموتا، بل بقيا حيّين ولم يُسلما الرّوح مثل يسوع، وذلك لأنّه لم يحدث ما يسبّب موتهما. ولكن العجيب أنّ الإنجيل يُخبرنا أنّ المسيح بعد أن صرخ بصوت عظيم: {«إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: **إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**} أسلم الرّوح.

هل مات؟

لماذا؟

ما الذي أماته؟

حين سأل بيلاطُس عنه، تعجّب عندما قيل له إنّ يسوع قد مات هكذا سريعاً!

في 44:15 من إنجيل مُرقس نقرأ:

{فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ:«هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟»} (إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 44:15)

لقد تعجّب بيلاطُس لأنّه، بحسب خبرته، كان يعلم أنّ الوقت الذي استغرقه المسيح مُعلَّقاً على الصّليب لم يكن كافياً لِجَعْلِ رجلٍ قويّ البنية مثل يسوع يموت. اللصّان لم يموتا—وهذا برهان كافٍ على أنّ شيئاً غير عاديّ كان قد تمّ تمريره في مشهد صَلب يسوع المسيح.

* البيان التاسع عشر:

إنزال المسيح من الصليب والحفاظ على جسده سليماً

في 19: 31-33 من إنجيل يوحنا، نقرأ بياناتٍ أكثر أهميّة تتعلّق بحادثة الصّلب تجعلنا نفهم **كيف تمّ إنقاذ المسيح من الموت على الصّليب.**

تعالوا نرى:

{ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادٌ، **فَلِكَيْ لاَ تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ، لأَنَّ يَوْمَ ذلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيمًا**، سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا * فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبِ مَعَهُ * وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، **لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ**} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19: 31-33)

* البيان العشرون:

التّأكّد من عدم موت المسيح على الصليب

وفي 19: 34-37، يُخبرنا يوحنّا بما يلي:

{لكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، **وَلِلْوَقْتِ** خَرَجَ **دَمٌ** وَمَاءٌ * وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ، **وَشَهَادَتُهُ حَق**، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ **لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ** * لأَنَّ هذَا كَانَ **لِيَتِمَّ الْكِتَابُ** الْقَائِلُ: «**عَظْمٌ لاَ يُكْسَرُ مِنْهُ**» * وَأَيْضًا يَقُولُ كِتَابٌ آخَرُ: «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ»} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19 : 34-37)

لنُلاحظ هنا أنّ عدم كسر ساقَي المسيح لم يكن مجرّد صُدفة. فالذين

يعرفون النبوءات المعنيّة في العهد القديم من الكتاب المقدّس، يُدركون تماماً أن **عدم كسر ساقي المسيح قد جاء تحقيقاً لتلك النبوءات المقدّسة— {لِيَتِمَّ الْكِتَابُ}**. و {**لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ**}!

* البيان الواحد والعشرون:

الصّرخة وظهور الملاك من السماء

ولفهم حقيقةِ واقعة الصّليب، **من المهمّ جداً التّفكّر بآخر صرخة صرخها يسوع المسيح على الصّليب:**

{**إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**}

ماذا حدث؟

لماذا صرخ المسيح هكذا يائساً معتقداً أنّ الله قد تركه ليموت على الصّليب؟

دعونا نحاول بأمانة أن نفهم الأهمّية أو الدلالة الحقيقية لصرخة المسيح الأخيرة اليائسة، **آخذين في اعتبارنا عقيدةَ بولُس والكنيسة أنّ المسيح قد تطوّع بالتضحية بنفسه للموت ملعوناً على الصّليب للتكفير عن**

أخطاء البشرية، وليكون فادياً لبني آدم وليجلب لهم الخلاص بدمه.

إنّ هذه العقيدة تتطلّب منّا أن نؤمن أنّ **الهدف الأقصى والأسمى ليسوع المسيح** كان أن يُعاني ويموت على الصليب من أجل البشرية؛ **وأنّ لحظة انتصاره هي لحظة تمام مهمّته** بموته على الصليب.

يقول لنا الكتاب المقدّس إنّ هذه العقيدة هي اختلاقٌ وكذب مُبين—— وهذا ما يبرهن عليه في بيانه الصّريح الذي لا يزال واضحاً حتى اليوم.

لقد اطّلعنا لتوّنا على دعاء المسيح الشهير الذي عبَّر من خلاله عن معاناته الشديدة وخوفه من الموت اللعين على الصّليب، كما قرأنا آنفاً في 44:22 من إنجيل لوقا:

{وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي **بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ**، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 44:22)

ويُخبرنا لوقا أيضاً في 43:22 من إنجيله أنّ الله قد أرسل إلى المسيح من السّماء ملاكاً يقوّيه، قرأنا:

{وَظَهَرَ لَهُ **مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ**}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 43:22)

وذلك في سيّاق البيان الإنجيلي التالي:

{الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ ..} (اَلرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 7:5)

* البيان الثاني والعشرون:

استجابة دعاء المسيح

والآن بعد أن رفع يسوع دعاءه وقدّم طلباته لله القادر أن يخلّصه من الموت، لابدّ أنّه كان ينتظر أن يسمع الله له من أجل تقواه، **لأنّه إذا سُمِعَ له ، فهذا يعني أنّه حتماً سيخلّصه من الموت اللعين على الصليب.** وهذا ما يقوله لنا الكتاب المقدّس بالضبط. تعالوا نقرأ:

{**وسُمِعَ لَه مِنْ أَجْلِ تَقْواه**} (اَلرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 5:7)

سُمع له ماذا؟

سُمع له **دعاؤه** أن يُعْبِر اللهُ عنه كأس الموت: {«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ **فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 26 : 39)

لقد سمع اللهُ له إذاً، وعَبَرَ عنه {هذه الكأس} ونجّاه من الموت على الصليب. وهذا ما يقوله الإنجيل.

ولا بدّ من الملاحظة هنا أنّ هذه الدعوات والطلبات التي رفعها يسوع المسيح إلى الله، كما هي مذكورة في الأناجيل، تُبرهن بكلّ وضوح، أنّه **لم يكن أقصى اهتمام المسيح أن يموت على الصّليب** فداءً للبشرية، كما يزعم مخالفو الأناجيل، **بل كان أقصى اهتمامه هو أن ينجو من الموت**

على الصليب كي لا يستفيد اليهود من ذلك فيبرهنوا على أنه كان كاذباً وملعوناً—ولقد برهن يسوع بدعائه وصرخته الأخيرة الشهيرة على الصليب أنّ **رغبته القصوى كانت النجاة، وليس الموت!**

ولقد سَمِع الله له من أجل تقواه، وأرسل له ملاكاً من السماء يقوّيه ويزفّ إليه البشرى بأنّ الله قد استجاب لدعائه، وأنّه سيُنجيه من الموت اللعين على الصّليب. ولقد شكر المسيحُ ربَّه لأنّه سمع له. ولكنّ الذي حدث هو أنّه بالرّغم من استجابة الله ونزول المِلاك والبشرى فقد أُلقي القبض على المسيح، وقادوه إلى الحاكم، وتمّ استجوابه والتحقيق معه، وضُرِبَ، وأُهينَ وعُلِّق على الصّليب إلى أن أوشك على الموت!

لماذا؟

ماذا حدث؟

لماذا تركه الله بعد أن استجاب له من أجل تقواه؟

لماذا غيّر رأيه؟

الله لا يُخلِف وعده أبداً، وحاشاه أن يكذب!

إذاً ماذا حدث؟

صرخ يسوع المسيح مندهشاً:

{إِلهِي، إِلهِي، **لِمَاذَا** تَرَكْتَنِي}!

لم يفقد المسيح إيمانَه بالله. مُطلقا! إذ كان يتمتّع بأعظم إيمان بقبول الله لدعاء المؤمنين. ولكنّ شكّه كان متعلّقاً فقط بخوفه من خطئه هو كإنسان ضعيف. لقد كان يخشى أن يكون قد فهم وحْيَ ربّه على وجهٍ مختلف، أو ربما يكون قد قَصَّر في واجبٍ ما تَسبب في خسارته لتأييد الله له، بسبب خطيئته هو—وهذا قد يحدث في سِيَر بعض النّبيين، كما في قصّة النبي يونس وغيره.

لقد كان المسيح يؤمن بأنّ الله غنيّ فوق كلّ شيء، وأنّه ليس في حاجة إلى يسوع المسيح ولا إلى أحد سواه.

وثمّة برهان منطقيّ آخر. وهو يتعلّق بحقيقةِ أنّه لو صحَّ زَعمُ بولُس أنّ المسيح قد تطوّع للموت ملعوناً فداءً عن البشرية، لكان **الواجب أن تكون آخر صرخة له على الصّليب هي أن يشكر ربّه مبتهجاً بعونه له على إتمام المهمّة الإلهية العظمى**، فَيُعلِن شاكراً:

'إلهي إلهي، لك الشكر أنّك قبِلتَ تطوّعي وتركتني أموت على الصّليب فداءً عن البشرية!'

وهكذا فإنّ صرخة المسيح الأخيرة على الصّليب تُزوّدنا ببرهانٍ كافٍ على أنّه كان، حتى آخر لحظة من تعليقه على الصليب، يرفضُ الموتَ على الصليب، وأنّه كان متأكّداً من أنّ الله كان سيُنقذه من الموت ملعوناً، لأنّه كان صادقاً وصدّيقاً، وأنّه قد {سَمع له من أجل تقواه}،

وما كان ليتركه ليُقتل على الصليب ويموت كما يموت الكاذبون والملعونون!

وخلاصة القول: إنّ الصّرخة الرّاعدة، التي أطلقها يسوع على الصليب، مازالت حاضرة يتردّد صداها في الأناجيل حتى اليوم. وما زالت تُخبرنا أنّ **يسوع المسيح لم يكن لديه أدنى فكرة أنّه قد أُرسِل أو تطوَّعَ ليموت على الصّليب**، كما يزعم بولُس وكنيسته—**وهو لذلك لم يُعلِن مُطلقاً أنّه قد جاء ليموت على الصّليب**، ولم يمت على الصليب!

بل أنقذه الله، إلهُه—{إلهي!، إلهي!}—ولم يتركه.

* البيان الثالث والعشرون:

خروج الدّم من خاصرة المسيح فور طعنه وللوقت

ولدى قراءتنا للأناجيل نجد برهاناً استثنائياً يجعل المؤمنين على يقين من أنّ المسيح لم يَمُت على الصّليب، بل أُنزل من عليه حَيّاً، وعاش حياة طويلة بعد ذلك.

في 34:19 من إنجيل يوحنا نطَّلع على **شهادة علمية** مؤكَّدة، كما يلي:

{لكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ **طَعَنَ جَنْبَهُ** بِحَرْبَةٍ، **وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ** وَمَاءٌ}.

لقد خرج دمٌ من جنب المسيح **لحظةَ طَعْنِ جَنْبِهِ** بحربة**!** هذه شهادة علمية ذات دلالة استثنائية وهامّة جداً يرويها لنا الإنجيل في السّياق التالي:

{وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ * لكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، **وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ** وَمَاءٌ}

(إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19 : 33-34)

فرغم أننا نقرأ في الإنجيل أنّ المسيح قد أَسلم الرّوح، ومع ذلك فنحن نقرأ هنا عن اختبار طبّي مقصود تمّ البرهان من خلاله على أنّ المسيح كان لا يزال حيّاً، حتى بعد قول الإنجيل عنه أنّه كان قد أسلم الرّوح.

أحد الجنود العاملين تحت إمرة قائد المئة كان قد تلقّى أمراً للتأكّد من أنّ المسيح كان لا يزال حيّاً، وإلاّ فإنّ عسكرياً فرداً تحت إمرة قائدٍ كبيرٍ لا يستطيعَ المبادرة بهذا التّصرّف من نفسه. وكانت الطريقة الأفضل للتأكّد من بقاء المسيح حيّاً، بعد أن تمّ تخديره وأغمي عليه، هي التأكّد من أنّه كان لا يزال يتمتّع بضغطِ دمٍ طبيعي يبرهن على أنّ قلبه كان ينبض بشكل طبيعي ولم يتوقّف نتيجة الموت. وما كان ليتمّ البرهان على بقاء المسيح حيّاً أو موته بشكل أكيد إلاّ من خلال طَعْنِ جَنْبِه طَعْنَةً غير قاتلة. وكان ذلك هو ما فعله الجندي المذكور بالضّبط، كما رأينا في 34:19 من إنجيل يوحنّا الذي ما يزال يؤكّد أنّ المسيح كان بكلّ تأكيد حيّاً، وذلك ببرهان أنّه

{**وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ**} من جَنْبِه. لم يتأخّر خروج الدم لحظة واحدة بل: {**وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ**}!

دعونا نقرأ شهادة إنجيل يوحنّا، مرّة ثانية:

{لكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، **وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ** وَمَاءٌ}.

تؤكّد الخبرة الطبيّة أنّ الدّم لا يمكن أن يخرج للوقت من جرحِ إنسانٍ ميت، وذلك لأنّه لا يوجد ضغطٌ يدفع الدّم ولا نبض في جسد الميت يَدفع دمه للخروج وَقْتَ، أو فَوْرَ طَعْنِه—هذا عدا عن أنّ الدم في هذه الحالة يكون قد دخل في حالة التجلّط، الأمر الذي يمنع اندفاعه، أو خروجه فوراً!

إنّ التعبير {**لِلوقت**} الذي أَورده يوحنا في إنجيله يعني 'حالاً' و'فوراً' بدون أيّ تأخير—كما هو معلوم. وليس ثمة جدل أو اختلاف حول ذلك. إذاً تُخبرنا الأناجيل أنّ المسيح كان حيّاً عندما طُعن في جنبه. لم يكن ميتاً، بل كان فقط مخدّراً ومغميّاً عليه.

ولقد كان ثمّة من شهد وعاين لتؤمنوا أنتم—هكذا يقول الإنجيل:

{**وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ، وَشَهَادَتُهُ حَق**، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ **لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ**}. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19 : 35)

لتؤمنوا أنتم!

لتؤمنوا أنّه لم يمت على الصّليب!

وللمزيد من التَّبَيُّن، تعالوا نتناول هذه المسألة من زاوية أخرى—لو كان الجندي الذي طَعن يسوع في جنبه متأكّداً، قَبل طَعنه، من أنّه كان قد مات أو أسلم الرّوح، فلماذا يطعنه في جنبه؟ وهل يمكن لعاقل أن يُفكّر في طَعْن جسدٍ يعتقد أنّ صاحبه قد مات، هكذا بلا مبرّر؟ وإذا ما كان قد فعل ذلك فلأنّه كان يُريد أن يتأكّد من أنّ المسيح لم يكن قد مات حقّاً. وإنّ تدفّق الدّم، بعد طعنه، للوقت فيجب أن يكون ذلك قد برهن للجنديّ، ومن خلاله لقائد المئة، أنّ المسيح لم يكن قد مات.

وأما عن عدم إخباره لزملائه الجنود ليكسروا ساقَي يسوع مثلما فعلوا باللصين اللذين كانا معلّقين على الصليبين إلى جانبي المسيح، فهذا دليل آخر على أنّ الجندي الذي طعنه كان مأموراً بذلك ومن ضمن المشرفين على سلامة المسيح من الموت، ولهذا لم يخبر الجنود الذين كانوا مكلّفين بكسر سيقان من لم يمت من المعلّقين على الصليب، حيث يُخبرنا الإنجيل بأنّ الجنود لم يكسروا ساقي المسيح، نقرأ:

{وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ}

(إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19 : 33)

هل عرف الجنودُ أن يسوع المسيح **كان قد مات** مُسبقاً لأنّ الدّم كان قد خرج للوقتِ فوراً من الجرح، الطعنة الصغيرة في جنبه، ولذلك لم يكسروا

ساقيه؟ بالتأكيد لا! وإلاّ فإنّ هذا كان سيكون مناقضاً تماماً للخبرة العاديّة المعروفة بين الناس!

* البيان الرابع والعشرون:

الذي استلم جسد المسيح

ولا تَزال الأناجيل تُزوّدنا بالمزيد من البراهين التي تدلّ على نجاة المسيح من الموت المزعوم على الصليب.

في إنجيل مرقس 15: 42-45، نقرأ:

{وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، إِذْ كَانَ الاسْتِعْدَادُ، أَيْ مَا قَبْلَ السَّبْتِ * جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، **وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللهِ، فَتَجَاسَرَ** وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ * فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ:«هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟» * وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ، **وَهَبَ** الْجَسَدَ لِيُوسُفَ}.

نُلاحظ من هذه الرواية أنّ **يوسف الذي من الرّامّة** المشير الشريف من كبار القوم **كان أيضاً من المؤمنين بيسوع**، لأنه: {**كان هو أيضاً ينتظر**

ملكوت الله}؛ ولقد كان أيضاً ذا مكانة ونفوذ، لأنّه كانّ مقرّبا من بيلاطُس إذ دخل عليه بجسارة، كما يخبرنا الإنجيل، ثمّ طلب ــــكما كانا قد اتّفقا مسبقاً، على ما يبدوــــجسدَ يسوع، فسَمح له بيلاطُس باستلامه؛ ولقد ذَكرتُ ذلك مُسبقاً. ولكنني أريد الآن أن أُثبتَ برهاناً جديداً على عدم موت المسيح على الصليب.

أراد بيلاطس التأكّد من أنّ يسوع كان قد بدا كالميت تماماً بعد أن تمّ تخديره، لأنّه لم يُرد أن يُلام أو يُتّهم بالتآمر إذا ما أَطلق سراحه بشكل مباشر. ولذلك فقد أرسل في طلب الضابط الذي أوكل إليه مهمّة الصّلبــــقائد المئة المتميّز بالإيمان بشهادة المسيح؛ وسأله فتعجّب من تمام المهمّة بهذه السّرعة؛ ثم **وهب** الجسد ليوسف[1] الذي كان قد تمّ الاتفاق معه لإتمام بقية الخطّة.

[1] – تذكُر بعض الروايات أنّ بيلاطس رغم أنّه كان يتلقّى مالاً مقابل تسليم أجساد المصلوبين لذويهم ليدفنوهم، إلاّ أنّه لم يأخذ أيّ مال مقابل تسليم جسد يسوع ليوسف، بل **وهبه** دون مقابل□لماذا؟

* البيان الخامس والعشرون:

القبر الذي وُضع فيه المسيح

ونعلم من الإنجيل عن تفعيل بقية الخطّة من أجل إنقاذ يسوع المسيح، حيث نقرأ في 27: 59-61 من إنجيل متى ما يلي:

{وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، **وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْمِيذًا لِيَسُوعَ** * فَهذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ * فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ **وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ** * وَوَضَعَهُ **فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ**، ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَاب الْقَبْرِ وَمَضَى * وَكَانَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى جَالِسَتَيْنِ تُجَاهَ الْقَبْرِ}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 27 : 57-61)

يبدو واضحاً من الأناجيل أنّ **يوسف الذي من الرّامة المشير، الشريف، الغنيّ، المتَنَفِّذ، المؤمن من تلامذة المسيح وينتظر ملكوت الله**، كان مستعدّاً تماماً للعناية بجسد المسيح الذي استلمه بموافقة بيلاطُس، حيث كان قد هيّأ **الكتّان النّقي** ليلفّ فيه جسد المسيح؛ وكان قد **أعدّ قبراً جديد خاصّاً** به نحته في الصّخر، ثم أغلقه بصخرة كبيرة حماية له، ثم جعل مريم المجدلية ومريم الأخرى تجلسان تجاه القبر وتراقبانه من بعيد بدلاً من تعيين رجال يحرسونه؛ وذلك كي لا يلفتَ نَظَرَ رؤساء الكهنة وأتباعهم.

* البيان السادس والعشرون:

شكّ اليهود في موت المسيح

كان القبر ملكيّة خاصّة، ولذلك لم يستطع الكهنة وشيوخ اليهود المسّ به، رغم أنّهم **كانوا في ريب من موت المسيح**، ولم يكونوا متيقّنين من موته حقّاً.

لم يُعطِ بيلاطُس جسدَ المسيح لرؤساء كهنة اليهود والفريسيين الذين كانوا يريدون الحصول عليه ليتأكّدوا من موت يسوع، وليدفنوه بأنفسهم، ويحرسوا القبر—كما نعلم من الإنجيل.

في إنجيل متى 27: 62-65 نقرأ أنّ رؤساء الكهنة والفريسيون جاؤوا إلى بيلاطس في مسألة كانت تُقلقهم إلى حدّ كبير. تقول رواية متّى:

{وَفِي الْغَدِ الَّذِي بَعْدَ الاسْتِعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ إِلَى بِيلاَطُسَ * قَائِلِينَ:«يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: **إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ * فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ،** لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلاً وَيَسْرِقُوهُ، **وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ: إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلاَلَةُ الأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الأُولَى!»** * فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ:«عِنْدَكُمْ حُرَّاسٌ.

اِذْهَبُوا وَاضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ» } (إِنْجِيلُ مَتَّى 27 : 62-65)

هذه الرواية الإنجيلية تُبرهن على أنّ الهدف الأهمّ بالنسبة لرؤساء الكهنة والفريسيين كان أن يُبرهنوا على أنّ المسيح قد مات فعلاً على الصليب، ليبرهنوا بذلك، وبحسب عقيدتهم في الكتاب المقدّس، **أنّه كان كاذباً وملعوناً وليس من الله**—وذلك لأنّ علامة النبيّ الكاذب عندهم في التوراة هي أنّه يموت قتلاً، فلنقرأ البيانات التالية من الكتاب المقدّس حيث يقول الله:

{إِذَا قَامَ فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلْمًا ... فلاَ تَسْمَعْ لِكَلاَمِ ذلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الْحَالِمِ ذلِكَ الْحُلْمَ. (اَلتَّثْنِيَة 13: 1-3)}... {ذلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ ذلِكَ الْحُلْمَ **يُقْتَلُ**، لأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ. (اَلتَّثْنِيَة 5:13)} ... {وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، **فَيَمُوتُ** ذلِكَ النَّبِيُّ}. (اَلتَّثْنِيَة 20:18)

وبما أنّ كلّ نبي لابدّ أن يموت باعتباره بشراً، فإنّ بيانَ الكتاب المقدّس {فيموت ذلك النبي} يعني أنّه **يموت قتلاً**، فإن لم يمُت قتلاً يَكُن صادقاً حتماً ويجب الإيمان بدعوته.

ولذلك فإنّه لو تمّ البرهان على أنّ المسيح، رغم تعليقه على الصّليب، لم يُقتل ولم يمت، بل نجا من الموت اللعين عليه، عندئذ فإنّ خطّة رؤساء الكهنة والفريسيين وأشياخ اليهود الماكرة تكون قد أُحبطت وباءت بالفشل المهين؛ إذ كان سَيثبتُ لجميع اليهود أنّه كان صادقاً، وكان هو المسيح الذي

ينتظرونه من الله وعليهم الإيمان به. وبذلك تَنْهَدّ مكائدهم ويبور مكرهم.

وهكذا فإنّ زعْم بولُس وكنيسته أنّ يسوع المسيح قد قُتل ومات على الصّليب يَنصرُ دعوى اليهود في تكذيب المسيح ويُثبتُ أنّه كان كاذباً ملعوناً ويصرف النّاس عن الإيمان بصدقه—وذلك ببرهان الكتاب المقدّس وسلطانه! ومن هنا يتعجّب المرء كيف تدعم الكنيسة البولُسيّة كُفْرَ اليهود بالمسيح من خلال نشرها عقيدة أنّ المسيح قد مات ملعوناً على الصليب—وكأنّها تتآمر ليبقى اليهود على كفرهم بالمسيح عليه السلام!

أمّا لو تمّ البرهان على أنّه رغم تعليق المسيح على الصليب لوقت قصير، إلاّ أنّه قد تمّ إنقاذه ونُجّيَ من الموت اللعين عليه، عند ذلك فإنّ الخطّة الخبيثة التي مَكَرَها رؤساء الكهنة والفريسيون تكون قد أُحبِطتْ وباءت بالفشل—يمكن البرهان على هذه الحقيقة، بكلّ يقين، من الكتاب المقدّس، كما رأينا.

ويبدو من الإنجيل بوضوح أنّ شيوخ اليهود ورؤساء الكهنة كانوا يعتقدون أنّ المسيح كان سيوضع في القبر حيّاً ويُخرج منه حيّاً أيضاً كما كان قد تنبّأ عندما طلب منه اليهود آية. تذكّروا أنّه قال إنّهم **لن يُعطَوا إلاّ آية يونان النبي،** {لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ **ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال،** هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ **ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال**} (إِنْجِيلُ مَتَّى 40:12)

لقد فهم رؤساءُ الكهنة والفريسيون تماماً أنّ المسيح كان يعني ويعتقد

جازماً – بنبوءةٍ من الله – أنّه سيوضع في القبر حيّاً—تماماً مثلما كان النبي (يونان) يونس عندما دخل بطن الحوت حيّاً—وأنّه سيخرج منه حيّاً، أيضاً مثلما خرج يونُان من بطن الحوت حيّاً.

لنتذكّرْ ثانية كيف عبَّر رؤساء الكهنة والفريسيون عن خوفهم، قالوا:

{يَا سَيِّدُ، **قَدْ تَذَكَّرْنَا** أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: **إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ**}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 27:63)

ولنتذكّر هنا أنَّ المسيح عندما أَخبر حشدَ اليهود عن **آيته الوحيدة** لم يقُل إنّه سيقوم من الموت—هو فقط قال:

{كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، **هكَذَا** يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَث لَيَال} (إِنْجِيلُ مَتَّى 12:40)

لوقا، في إنجيله، يؤكّد أنّ المسـيح كان **حيّاً** بين الأموات—**وليس ميتاً** بين الأموات، حيث قيل للنســاء: {«لِمَاذَا تَطْلُبْنَ **الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ**}؟ (إِنْجِيلُ لُوقَا 24:5)

* البيان السابع والعشرون:

دور النساء المؤمنات واستخدام الحنوط والأطياب

النساء المؤمنات مَضين إلى موقع القبر لأنهنّ أردنَ أن يعرفن مكانه، لأنّهن، بحسب الخطّة، كنّ عازمات على العودة إليه فجْر الأحد بالأطياب والحنوط لمعالجة جروح المسيح. لنقرأ رواية لوقا:

{وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُهُ * فَرَجَعْنَ **وَأَعْدَدْنَ** حَنُوطًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 23 : 55-56)

وفي 1:20 من إنجيل يوحنّا نقرأ:

{وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا عَنِ الْقَبْرِ}. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 1:20)

وهكذا فقد عادت النسوة مبكرات عند الفجر جالبات معهنّ الموادّ الطبّية اللازمة التي أعددنها لمعالجة جروح يسوع المسيح، وكنّ قد أحضرن حنوطاً وأطياباً خاصّة. ولم تكن تلك عادة عند اليهود في التعامل مع موتاهم، كما هو معلوم. في لوقا 1:24 نقرأ:

{ثُمَّ فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، أَوَّلَ الْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتٍ الْحَنُوطَ الَّذِي

أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ}.

وهكذا نعلم أنّ النساء وآخرين معهنّ كانوا قد حضّروا أنواعاً عديدة من الحنوط والأطياب (التي تكون عادة مواد معقّمة ومراهم) قبل أن يرجعوا إلى القبر فجْر الأحد إلى الغرفة التي كان يسوع المسيح مسجّى فيها—لماذا؟

ماذا كانت تلك الحنوط والأطياب ستنفع لجروح جسدٍ ميت—وخاصة بعد موته ليومين أو ثلاثة؟

لقد كانت تلك النسوة من المؤمنات، وكانت لهنّ مهمّة معيّنة ضمن **خطة إنقاذ المسيح**. لقد كنّ يعرفن أنّ يسوع المسيح لم يكن ميتاً. فقط كان على جسده جروح. وكان بحاجة إلى علاج—فأحضرتْ تلك النساءُ العلاج.

* البيان الثامن والعشرون:

الطّبيب نيقوديموس

ويُخبرنا الإنجيل عن مؤمن آخر وهو طبيب حاذق وواحدٌ من رؤساء اليهود ووجهائهم[1]، وكان من ضمن المؤتَمنين على خطّة إنقاذ المسيح، اسمعوا:

{كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ * هذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّمًا..} (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 3 : 2)

ولا شكّ في أنّ هذا الحوار كان قبل حادثة الصّلب كما هو واضح. وأمّا عمّا فعل هذا الطّبيب بعد حادثة الصّلب فيُخبرنا الإنجيل أنّه بعد أن استلم المشيرُ يوسف جسدَ المسيح ليضعه في القبر جاء نيقوديموس قبل الجميع إلى قبر المسيح ليلاً ليساعده وليعتني بجروحه، ولذلك فقد أَحضر معه أطياباً وحنوطاً {مَزِيجَ مُرّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَنًا} للمعالجة.. تعالوا نقرأ بيان الإنجيل المفصّل، حيث يقول:

{ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، وَهُوَ تِلْمِيذُ يَسُوعَ، وَلكِنْ خُفْيَةً لِسَبَبِ

1- (Where did Jesus die?) by J. D. Shams, p 39, 7th edition, London 1978
وكان نيقوديموس عضواً بارزاً في أخوية الإيسنيين **السّرّيّة** التي كان المسيح عليه السلام عضواً رفيع القدر والمستوى فيها.

الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، سَأَلَ بِيلاَطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ، فَأَذِنَ بِيلاَطُسُ. فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ يَسُوعَ * وَجَاءَ أَيْضًا نِيقُودِيمُوسُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلاً إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً، وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيجَ مُرّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَنًا * فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ، وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الأَطْيَابِ .. * وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ بُسْتَانٌ، **وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ**}.

(إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19 : 38-41)

* البيان التاسع والعشرون:

البحث عن المسيح الحيّ بين الأموات

والآن ماذا تُخبرنا الأناجيل عن جسد يسوع المسيح الذي كان مُسجّى في الغرفة التي نحتَها له المشير يوسف الذي من الرّامة في الصخر.

لوقا في 2:24 من إنجيله يروي:

{فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجًا عَنِ الْقَبْرِ ..}

ولأنّ غرفة القبر كانت واسعة بشكل استثنائي فإنّ مريم المجدلية ونساء أخريات تمكّنَّ من دخول القبر بحثاً عن المسيح.

في 3:24 من إنجيله يقول لوقا:

{فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ * وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذلِكَ، إِذَا رَجُلاَنِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ}.

يوحنّا في 20: 11-12 من إنجيله يقول إنّ هذين الرجلين كانا في الحقيقة مَلَكين:

{أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ * **فَنَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ** بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا}.

لقد أراد الرّجُلان أو الملَكان أن يُطَمْئِنا مريم المجدلية والنساء الأخريات أنّ المسيح كان لا يزال حيّاً، فقالا:

{«لِمَاذَا تَطْلُبْنَ **الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟**} (إِنْجِيلُ لُوقَا 5:24)

بالتأكيد كان عيسى المسيح لا يزال حيّاً فيما كان داخل غرفة القبر، وكذلك عندما خرج منها، لأنّه **في هذه الحالة فقط** كانتْ آية النبي يونان ستتحقق في المسيح، كما أخبر هو شيوخَ اليهود ورؤساءَ الكهنة عندما طلبوا منه آية وقال لهم:

{جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ **إِلاَّ** آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ * لأَنَّهُ **كَمَا** كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، **هكَذَا** يَكُونُ

ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال}.

(إِنْجِيلُ مَتَّى 12 : 39-40)

بحسب الكتاب المقدّس. كانت آيةُ يونان النبي أنّه دخل بطنَ الحوت **حيّاً**، ثم خرج منه **حيّاً**؛ ولا ذِكر للموت في تلك الآية. وإنّ العقيدة المقبولة الوحيدة لأن يكون المسيح قد حقّق في ذاته الآية ذاتها، التي وَعَدَ بها، هي أن يكون قد وُضِع في غرفة القبر **حيّاً**، وبقي فيه لثلاثة أيام **حيّاً**، ثمّ خرج منه **حيّاً**—ولذلك فإنّ الملَكين أو الرجلين اللذين خاطبا النساء عند غُرفة القبر، قالا:

{«لِمَاذَا تَطْلُبْنَ **الْحَيَّ** بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟} (إِنْجِيلُ لُوقَا 24:5)

وكذلك في 24:23 يروي لنا لوقا بُشرى أنّ المسيح كان حيّاً في غرفة القبر، فيقول:

{وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلاَتٍ: إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ **مَلاَئِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ**}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 24:23)

وهذا يتناقض مع عقيدة الكنيسة بأنه كان على المسيح أن يذهب إلى الجحيم، مباشرة بعد حادثة الصّلب، حيث {البكاء وصرير الأسنان} وأرواح الخطاة والمجرمين—وصار يبشرهم هناك؛ حيث {كَرَزَ لِلأَرْوَاحِ **الَّتِي فِي السِّجْنِ** * إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا}.

(رِسَالَةُ بُطْرُسَ الرَّسُولِ الأُولَى 3 : 19-20)

* البيان الثلاثون:

تَخَفّي المسيح وتَنَكُّره بهيئات مختلفة

عندما خرج يسوع المسيح من غرفة القبر كان هو ذاته يسوع المسيح الذي وُضع على الصلّيب—الشّخص ذاته، الجسد ذاته، والجروح ذاتها. وكان **لا يزال متخوّفاً** من أن يمسكه اليهود ويُلقوا القبض عليه مرّة ثانية. ولذلك يُخبرنا الإنجيل بأنّه قد **تنكّر بمظاهر مختلفة، كي لا يعرفه الناس.**

أولاً، **تَنَكّر بزيّ بستاني.** ولذلك فإنّ مريم المجدلية عندما رأته لم تعرفه. يوحنا في 20 : 14-15 من إنجيله يقول:

{وَلَمَّا قَالَتْ هذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا، **وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ** * قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» **فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ**، فَقَالَتْ لَهُ:«يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ»}.

فرغم أنّ مريم المجدلية كانت تعرف يسوع جيّداً، ولكنّها، مع ذلك، لم تستطع تمييزه، وما ذلك إلاّ لأنّه كان متخفّياً جيّداً بشكل بستانيّ، بحيث لا يستطيع أن يميّزه حتى من يعرفه.

لماذا؟

لماذا كان يتخفّى؟

ممَّ، أو ممّن كان يخاف؟

وتؤكّد لنا الأناجيل أنّه كان يغيّر هيئته باستمرار بعد خروجه من القبر.

مرقس في 12:16 من إنجيله يقول:

{وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ **بِهَيْئَةٍ أُخْرَى** لاثْنَيْنِ مِنْهُمْ، وَهُمَا يَمْشِيَانِ مُنْطَلِقَيْنِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ}.

لماذا غيّر هيئة التنكّر الأولى إلى هيئة أخرى؟

ما الذي كان يخاف منه حتى بعد أن أنهى وأتمّ مهمّة الفداء المزعومة **وعاد إلهاً كما كان؟**

إذا ما كان قد مات ثمّ قام من الموت، فكان ذلك يعني أنّ مهمّته السماوية قد أُنجزتْ وتمّت، وكان من الواجب أن يكون قد استعاد ألوهيّته، ولم يكن ثمة مبرّر منطقي لخوفه من أيّ شيء **إلاّ إذا كان يعتقد أنّ فرصة إلقاء القبضَ عليه من قِبل اليهود وتعليقَه على الصليب مرّة ثانية كانت لا تزال قائمة**—الاحتمال الذي لا يخطر في بال مؤمن من المسيحيين قبوله أو الموافقة عليه، وذلك لأنّ ما تمّ في واقعة الصّلب كان من الواجب أن يكون قد تمّ وأُكمل—كما قال هو ذاتُه:

{فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «**قَدْ أُكْمِلَ**». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ }

(إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 19 : 30)

* البيان الحادي والثلاثون:

التّوصية بالكتمان والعمل حسب الاتّفاق المسبق

لم يكتفِ المسيح بتغيير هيئته مراراً، ولكن حتّى النساء اللاتي رأينه فهمنَ أيضاً أنّه كان عليهنّ ألاّ يُخبرن أحداً عن ظهوره حيّاً، إلاّ حواريّيه المقرّبين.

مرقس في 16 :5-8 من إنجيله يُخبرنا كيف كانت التوصية للنساء بالكتمان، نقرأ الرواية كما يلي:

{وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابًّا جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لاَبِسًا حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ * فَقَالَ لَهُنَّ:«لاَ تَنْدَهِشْنَ! أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ ههُنَا. هُوَ ذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ * لكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ: إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ **كَمَا قَالَ لَكُمْ**» * فَخَرَجْنَ سَرِيعًا وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لأَنَّ الرِّعْدَةَ وَالْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ. **وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئًا** لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ}.

* البيان الثاني والثلاثون:

وقفة للتّفكّر

لماذا كانت النسوة خائفات؟

هل كنّ خائفات لأنّ الله—ابن مريم—كان قد تحرّر من التجسّد البشري، وعاد اللهَ ثانية؛ وخاصّة بعد أن أنهى مهمته في المعاناة والموت اللّعين على الصليب للتكفير عن خطايا البشر وفداءً لهم!

وإذا لم يكن قد تحرّر حتى بعد تعليقه على الصليب، فلماذا؟

وماذا كانت الضرورة التي ألجأته ليبقى بجسده البشريّ وخوفه وضعفه الإنساني مرّة ثانية؟

من المفيد هنا ملاحظة أنّ كلام الشّابّين مع النسوة كان عن شخص حيّ وليس عن جسد: {أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ **يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ**}، {**لَيْسَ هُوَ ههُنَا**} و {هُوَ ذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي **وَضَعُوهُ** فِيهِ}.

ودعونا نتوقّف الآن لحظة للتفكّر في المهمّة التي أُوكِلت إلى تلك النسوة. لقد قيل لهنّ أن يخبرن تلاميذ (حواريي) المسيح المقرّبين، وخصوصاً بطرس، أنّ المسيح سيسبقهم إلى الجليل، وأن يُخبرنهم قائلين: {هُنَاكَ تَرَوْنَهُ **كَمَا قَالَ لَكُمْ**»}.

إنّ الجملة الإنجيلية: {**كَمَا قَالَ لَكُمْ**} تجعلنا نتساءل: متى قال لهم المسيح ذلك، ومتى اتّفق معهم على اللقاء في الجليل بعد الصّلب؟ لقد خرج لتوّه من القبر؟ ولم يكن قد اجتمع بأحد بعد. وهذا يقودنا إلى النتيجة الحتميّة أنّه لابدّ أن يكون قد أَخبر بطرس وحواريين آخرين موثوقين عن هذا اللقاء ومكانه قبل أن يؤخذ إلى الصّليب—الأمر الذي يعني أنّه **كان يعرف يقيناً أنّه كان سينجو من الموت على الصليب**—كما بشّره الملاكُ الذي **أرسله الله ليقوّيه.** دعونا نتذكّر هنا أنّه، بحسب الأناجيل، كان لا يزال محتفظاً بجسده المادّي ذاته وبالجروح المادّية ذاتها.

عندما أَخبرتْ مريمُ المجدلية الحواريين أنّها رأت المسيح حيّاً، لم يصدّقوا. يقول مرقس:

{فَلَمَّا سَمِعَ أُولئِكَ **أَنَّهُ حَيٌّ**، وَقَدْ نَظَرَتْهُ، **لَمْ يُصَدِّقُوا**..}.

(إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 16:11)

والآن **لو أنّ المسيح** كان قد أَخبر، صراحةً، جميعَ تلاميذه وحوارييه أنّه سيقوم من الموت بعد الصّلب بقوّةِ آيةٍ إلهية **فلماذا لا يؤمنون عندما يُخبَرون بأنّ الآية قد تمّت وأنّه قام حيّاً**—عالمين بأنّ تلك هي آية سماوية لا يَعجزُ الله عنها؟

* البيان الثالث والثلاثون:

عدم تصديق الحواريين بظهور المسيح حيّاً

وتُخبرنا الأناجيل أيضاً بالمزيد عن عدم تصديق حواريي المسيح أنّه قام حيّاً بعد واقعة الصّلب. في إنجيل مرقس 16: 13-14 نقرأ:

{وَذَهَبَ هذَانِ وَأَخْبَرَا الْبَاقِينَ، **فَلَمْ يُصَدِّقُوا** وَلاَ هذَيْنِ * أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، **لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا** الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ}.

حتى توما لم يصدّق أنّ النساء ومؤمنين آخرين قد شاهدوا المسيح حقّاً، وأنّه كان حيّاً. إنّ توماس لم يُصدِّق لأنّ الذين نقلوا خَبَر ظهوره كانوا يتحدّثون عن ظهورٍ بشريّ مادّي، وليس عن مُعجزة تحققتْ في قيامةِ الله[1] كما يزعم بولُس وكنيستُه. لم يكن في ذهن توما أيّة فكرة عن أنّ المسيح كان سيقوم من الأموات بعد أن يُقتَل على الصليب فداءً للبشرية. ولو كان هذا ما يعتقد به لكان قد فرِح وابتهج عند سماعه بقيامة المسيح حيّاً بعد الصّلب لأنّه كان سيفهم بأنّ مهمّة الفداء الإلهية للربّ يسوع – كما يزعمون– كانت قد تمّت وتحقّقت، وأنّ الفداء قد تحقّق والكفارة قد

[1] – ألا يعتقد المسيحيون أنّ مريم أمّ الله الذي هو المسيح باعتقادهم؟

أُكملت!

لقد كان التلاميذ يتحدّثون عن ظهور المسيح حيّاً **بالمعنى المادّي وبشكلٍ واقعي**، حتى بعدما ظنّوا أنه كان قد مات. ولذلك فقد أعلن توما **شروطه المادّية الواقعية** لتصديق رواية ظهور المسيح حيّاً. لنقرأ ما يقول يوحنا في 20: 24-25 من إنجيله:

{أَمَّا تُومَا، أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ * فَقَالَ لَهُ التَّلاَمِيذُ الآخَرُونَ:«قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ!». فَقَالَ لَهُمْ:«إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ»}.

الذين رأوا المسيح لم يقولوا سوى: {«قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ!»} وهم **لم يتحدّثوا عن أيّة مُعجزة**. ولذلك فقد فهم توما أنّهم كانوا يتحدّثون عن لحمٍ ودم، **وليس عن قيامٍ إلهيّ جليل من الأموات**. ولذلك فقد **طلب برهاناً مادّياً**—يعني أن يرى المسيحَ في الجسد المادّي، وأن يضع أصبعه في جروحه الجسدية، قائلاً:

{«إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ **أَثَرَ الْمَسَامِيرِ**، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي **فِي جَنْبِهِ**، لاَ أُومِنْ»}. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 25:20)

إذا ما كان المسيح، بعد واقعة الصّليب، لا يزال في جسده المادّي، وعليه أثر المسامير والجروح المادّية ذاتها التي عاناها على الصّليب، فإنّ هذا يُبرهن

بكلّ تأكيد أنّه لم يمت على الصليب إنساناً ويقوم إلهاً، **بل كان إنساناً من قبل ومن بعد،** وأنّه ليس الله – ابن مريم، وابن الله – الذي أنهى مهمّته الإلهية وكان من المفروض أن يقوم بعد الصّلب كإله كامل كما كان دائماً! ولكنّ الأناجيل تُبرهن أنّ يسوع المسيح الذي وُضِع على الصليب قد كان، بكل تأكيد، بشراً؛ وأنّه بالرّغم من كونه قد جُرِح وعُلّق على الصليب فقد تمّ إنقاذه من قِبل جماعةٍ من المؤمنين المقرّبين، الذين كانوا مؤمنين به وبدعوته سرّاً، وهم بيلاطُس، قائد المئة، الجنود الذين كانوا يحرسون معه، والوجيه الثري الشريف المتنفّذ يوسف الذي من الرّامة، والطبيب نيقوديموس وغيرهم.

* البيان الرابع والثلاثون:

برهان المسيح ذاته على عدم موته على الصّليب

لقد أراد المسيح أيضاً أن يُبرهن على أنّه كان هو ذاته، بجسده المادّي—— لم يكن شبحاً، ولا الله ابن مريم، كما يقول رجال الكنيسة. لقد أراد فقط أن يُبرهن أنّه كان لا يزال حيّاً. في 3:1 من سفر الأعمال، نقرأ:

{اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ **حَيًّا بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ**، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، **وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ}.

وفي 24: 36-43 من إنجيل لوقا نقرأ رواية مُفصّلة عن سعي المسيح المثبَت لتقديم {**بَراهِينَ كَثِيرَةٍ**} على **بقائه حيّاً** بعد واقعة الصلب، كما يلي:

{وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ:«سَلاَمٌ لَكُمْ!» * فَجَزِعُوا وَخَافُوا، **وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا** * فَقَالَ لَهُمْ:«مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، **وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ**؟ * **اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي** وَانْظُرُوا، **فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي**» * وَحِينَ قَالَ هذَا **أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ** * وَبَيْنَمَا هُمْ **غَيْرُ مُصَدِّقِين** مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ:«أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟» * فَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَل* فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ}.

إنّ هذه الرواية الإنجيلية الموثّقة تزوّدنا بالدّليل الحاسم والوافي أنّ المسيح كان يُحاول جاهداً، وبكل ما أمكنه من قدرة، أن يُثبتَ أنّه **كان هو يسوع المسيح الإنسان ذاته** الذي وُضع على الصليب، **وهو ذاتُه** الذي نجا بلحمه وعظامه من الموت اللعين عليه. **كان هو ذاتُه**—لم يكن روحاً، ولا شبحاً، ولا الله. **كان يسوع المسيح بن مريم، البشر ذاته** من دون موت ولا قيامة. دعونا نستعرض هذا البرهان من النصّ الإنجيلي ذاته. يقول الإنجيل:

- **وقف يسوع نفسه وقف في وسطهم ..**
- **فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا ..**

– فَقَالَ لَهُمْ:«مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ (لأنّهم ظنّوا أنّهم نظروا روحاً!)

– أُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ!

– جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي»..

– أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.

وليُبرهنَ لهم أنّه كان يسوع البشر العاديّ الذي يأكل ويشرب ويقوم بما يترتّب على ذلك من ضرورات بشرية طبيعية، طلب من تلاميذه أن يأتوه بطعام، فسألهم قائلاً:

–«أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟»

– فَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَل.

– فَأَخَذَ وَأَكَلَ **قُدَّامَهُمْ**}.

لقد أراد يسوع أيضاً أن يُبرهن لِتُوما—ومن خلاله—للعالم كلّه أنّه كان ما يزال حيّاً بعد واقعة الصّلب، وأنّه لم يمت على الصّليب. لنقرأ جهد يسوع المركّز ليُبرهن على نجاته بجسده المادّي.

في إنجيل يوحنا 20: 26-27 نقرأ:

{وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلاَمِيذُهُ أَيْضًا دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ:«سَلاَمٌ لَكُمْ!» * ثُمَّ قَالَ

لِتُومَا:«**هَاتِ** إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا **وَأَبْصِرْ** يَدَيَّ، **وَهَاتِ** يَدَكَ **وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا**»}.

لقد أراد يسوعُ المسيح من توما أن يرى ويتحقّق بنفسه، فطلب منه أن يُبصر جروح جسده ويتحسّسها جيّداً. قال له **هات** يدك، وأمسكَ بيده الشريفة أصبعَ توما وقال له **ضعها** في جنبي، وحذّره: {**لاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا**}.

* البيان الخامس والثلاثون:

الإيمان الذي طلبه المسيح من أتباعه المؤمنين

والآن، لابدّ من السؤال:

أيّ إيمان أراد المسيح من توما أن يوقن به من خلال وَضعِ أصبعه في جرح جنبه؟

لقد أراد يسوع من توما أن يؤمن أنّ المسيح الموجود أمامه هو ذاته يسوع الإنسان الذي جُرح على الصليب، وأنّه ما يزال هو هوَ قبل الصّلب وبعده—هذا ما أراد المسيحُ من توما أن يؤمن به. **أراده أن يؤمن أنّه لم**

يَمتْ على الصّليب! وقدّم له براهين كثيرة، وهكذا أيضاً أراد من جميع المؤمنين أن يؤمنوا.

بحسب يسوع المسيح: الذين يعتقدون أنّه مات على الصّليب لم يكونوا مؤمنين. ولذلك فإنّه قد أَنَّب تُوما وهو يُريه جروحَه ويُبرهن له على عدم موته على الصليب ببراهين كثيرة، قائلاً: {**لا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، بَلْ مؤمناً**}.

لا شكّ في أنّ المسيحي الحقّ يرفض أن يكون غير مؤمن؛ بل يريد أن يكون مؤمناً كما أراد المسيح. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد له أن يؤمن بأنّ المسيح لم يمت على الصليب، بل تمّ إنقاذُه—تماماً مثلما هو مكتوب في الكتاب المقدّس في بيان موسى والنبيين والمزامير، وكما أرادَنا المسيح نفسه أن نؤمن. وأنا أدعو كل مسيحي مؤمن أن يضع يده في جنب المسيح ليكون مؤمناً كما أراد المسيح من توما، وبالتالي من جميع المؤمنين.

* البيان السادس والثلاثون:

نبوءات الكتاب المقدّس عن نجاة المسيح

وكي لا يترك المسيحُ حوارييه مُشوَّشين، فقد لَفَتَ انتباهَهم إلى نبوءات الكتاب المقدّس التي كان قد ذكرها لهم مسبقاُ، قائلاً:

{لأَنَّكُمْ **لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي**، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي * **فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ، فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي؟»** }.

(إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 5 : 46-47)

وهكذا فقد **ربط المسيح تصديق كلامه بتصديق موسى**؛ ووَعَظَ تلاميذَه ليفهموا النبوءات التي كُتبت عنه في كتاب موسى في العهد القديم، وقال لهم إن لم يصدّقوا ما كَتب عنه موسى فلن يصدّقوا كلامه هو؛ وزادهم بياناً فقال:

{وَقَالَ لَهُمْ:«هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ **لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ»** * حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ **لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ**}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 24 : 44-45)

{وَقَالَ لَهُمْ:«هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 24 : 46)

نلاحظ هنا أنّه قال فقط {يتألّم}، ولم يقل: يتألّم ويموت، **بل** يقوم من الأموات وهو حيّ. ولذلك فقد سأل الملاكُ النسوة: {لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ }[1]؛ والحي هو الذي لم يمت بعد، كما هو معلوم.

{وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ}. (إِنْجِيلُ لُوقَا 24 : 48)

وبسبب تعليم المسيح هذا يشير علماء الكتاب المقدّس إلى نصوص معيّنة من العهد القديم، باعتبارها نبوءات من الله عن المسيح—كما أخبرهم هو بذلك.

* ماذا تُريدنا هذه النبوءات أن نؤمن؟

دعونا نرَ:

في 16:22 من سفر المزامير، نقرأ:

{لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. **ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ**}.

إنّ المقطع: {**ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ**} يُشير بكلّ تأكيد إلى يسوع المسيح في واقعة الصّلب.

{**أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي**، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ}. (اَلْمَزَامِيرُ 22 : 17)

---

[1] – (إِنْجِيلُ لُوقَا 24 : 5)

وهذه نبوءة تُشير إلى أنّ ساقَيّ المسيح لن تُكسرا مثلما كُسِرت سيقان اللصين اللذين كانا مصلوبَين إلى جانبه. وكما نعلم، فإنّ هذا بالضّبط ما حدث.

{**يَقْسِمُونَ ثِيَابِي** بَيْنَهُمْ، **وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ**}. (اَلْمَزَامِيرُ 22:18)

إنّ هذه النبوءة تُذكرنا بالعدد 35 من الإصحاح 27 من إنجيل متّى، حيث يقول:

{وَلَمَّا صَلَبُوهُ **اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ**:«اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً»}. (مَتَّى 27:35)

ثم نرى نبوءات العهد القديم، في الكتاب المقدّس، تُخبرنا بسلسلة من الدعوات والتوسّلات التي تُشير إلى ذلك الذي قال: {لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. **ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ**}.

تُتابع هذه الدّعوات في سِفر المزامير مُستغيثةً الله وتتوسّل الإجابة:

{**أَنْقِذْ مِنَ السَّيْفِ نَفْسِي**. مِنْ يَدِ الْكَلْبِ وَحِيدَتِي * خَلِّصْنِي مِنْ فَمِ الأَسَدِ، وَمِنْ قُرُونِ بَقَرِ الْوَحْشِ اسْتَجِبْ لِي}. (اَلْمَزَامِيرُ 22 : 20-21)

وتتحدّث النبوءة المتعلّقة باستجابة الله له فتقول:

{لأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ مَسْكَنَةَ الْمِسْكِينِ، وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ، **بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ اسْتَمَعَ**}. (اَلْمَزَامِيرُ 22:24)

تُذكّرنا هذه النبوءة بصرخة المسيح الأخيرة على الصّليب:

{إِلهي، إِلهي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟} (إِنْجِيلُ مَتَّى 46:27)

وكذلك تُذكّرنا بشكر المسيح لربّه على استجابته له، حيث شَكَرَ يسوعُ المسيح اللهَ لأنّه استمع له واستجاب دعاءه فقال:

{وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ:«أَيُّهَا الآبُ، **أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي** * وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ **فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي**}. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 11 : 41-42)

وتُشير إلى أنّ الله لم يتركه يموت على الصّليب.

وكذلك يورد سفر المزامير نبوءة خلاص يسوع المسيح الذي تبتهج به نفسه؛ تقول النّبوءة:

{**أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ بِخَلاَصِهِ** * جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: «يَا رَبُّ، مَنْ مِثْلُكَ الْمُنْقِذُ الْمِسْكِينَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ}. (اَلْمَزَامِيرُ 35 : 9-10)

{**يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لاَ يَنْكَسِرُ**}. (اَلْمَزَامِيرُ 20:34)

هذا يُذكّرنا بشهادة يوحنّا في العهد الجديد، حيث يقول:

{وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ **لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ**، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ}.

إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 33:19

وما زلنا نقرأ المزيد في العهد القديم كما لفتَ المسيحُ نظرَنا.

في سفر المزامير نقرأ:

{طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمَسْكِينِ. **فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ** * **الرَّبُّ يَحْفَظُهُ وَيُحْيِيهِ.** يَغْتَبِطُ فِي الأَرْضِ، **وَلاَ يُسَلِّمُهُ إِلَى مَرَامِ أَعْدَائِهِ**}.

(41 : 1-2)

وفي 19:34 من سِفر المزامير نقرأ:

{كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ، **وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ**}.

ولا شكّ في أنّ الصّديق المقصود هنا هو يسوع المسيح. وتُتابِع نبوءاتُ الكتاب المقدّس فتقول:

{أمّا **خَلاَصُ الصِّدِّيقِينَ فَمِنْ قِبَلِ الرَّبِّ**، حِصْنِهِمْ فِي زَمَانِ الضِّيقِ * **وَيُعِينُهُمُ الرَّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ. يُنْقِذُهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ وَيُخَلِّصُهُمْ**، لأَنَّهُمُ احْتَمَوْا بِهِ}. (اَلْمَزَامِيرُ 37 : 39-40)

وبحسب علماء الكتاب المقدّس فإنّ النبوءات المتعلّقة بالمسيح تُتابع كما يلي:

{.. **وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ. إِلَى الأَبَدِ يُحْفَظُونَ**}. (اَلْمَزَامِيرُ 28:37)

{لأَنِّي لَكَ يَا رَبُّ صَبَرْتُ، **أَنْتَ تَسْتَجِيبُ يَا رَبُّ إِلهِي**}. (اَلْمَزَامِيرُ 15:38)

{أَمَّا أَنَا **فَإِلَى اللهِ أَصْرُخُ**، وَالرَّبُّ **يُخَلِّصُنِي**}. (اَلْمَزَامِيرُ 55 : 16)

وهكذا صرخَ المسيحُ {**إلهي، إلهي!**}، فخلّصه الرّبُّ وسَلَّمه من أعدائه وبيّنَ سروره بخاتمة البشرى التي أعلنها في كتابه المقدّس ببيان عظيم:

{«**لِيَتَعَظَّمِ** الرَّبُّ **الْمَسْرُورُ بِسَلاَمَةِ عَبْدِهِ**»}. (اَلْمَزَامِيرُ 35:27)

ليتعظّم الرّب إله يسوع المسرور بسلامة عبده!

هكذا أتت نبوءات الكتاب المقدّس المبشّرة بسلامة المسيح في أسفار موسى، ومن قبل أن يبعث الله المسيح!

* ما كان له أن يموت على الصّليب!

إنّ براهين الكتاب المقدّس لا تُزوّد المؤمنين بالدلائل والبراهين على أنّ المسيح لم يمت على الصليب وحسب، ولكنّ هذه البراهين تُنقذ الكتاب المقدّس من التناقضات البارزة أيضاً، كما أنّها تُنقذ شرفَ المسيح ورِفعة شأنه من أيّة شائبة لا يمكنه البراءة منها إذا ما بقينا مُصرّين، بشكل أعمىً، على الاعتقاد الزائف بموته اللعين على الصّليب كما يموت المجرمون والدّجالون.

* البيان السابع والثلاثون:

لو مات المسيح على الصليب لَبَطَلَت الآية التي وَعَد بها اليهود

أولاً، إذا ما صحّ الزّعم بأنّ المسيح قد مات على الصّليب، فسيوجب ذلك علينا أن نعترف بأنه لم يكن يقول الصّدق عندما أَخبر اليهودَ، الذين طلبوا آيةً، أنهم لن يُعطَوا **إلاّ آية يونان النبي**، حيث:

{أَجابَ وَقَالَ لَهُمْ:«جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، **وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ** * لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال}.
(إِنْجِيلُ مَتَّى 12 : 39-40)

والآن، ماذا كانت آية يونان النبي؟ لقد كانت أنّه دخل بطنَ الحوت **حيّاً**، وخرج منه **حيّاً**.

والمعضِلة هي أنّ الاعتقاد بأنّ المسيح قد مات على الصليب، وسُجّيَ في القبر ميتاً، يجعلنا نواجه حالةً معكوسة تماماً؛ وذلك لأنّه، في هذه الحالة، يجب علينا الاعتراف بأنّ المسيح قد دخل بطنَ القبر **ميتاً**، **على عكس ما حدث في حالة يونان النبي** الذي دخل بطن الحوت **حيّاً**، وليس ميتاً—

وهذا نقيض الآية التي أَعلنَ عنها يسوع ووعد بها!

السبيل الوحيد لإنقاذ المسيح من وصمةِ أنّه قال كلاماً باطلاً وأَخبرَ كَذِباً هي الإيمان بأنّه **كان حيّاً** عندما أُخِذ إلى غرفة القبر—وهذا ما قدّمنا البرهان عليه مسبقاً بسُلْطة الإنجيل في الكتاب المقدّس.

* البيان الثامن والثلاثون:

لو مات المسيح على الصليب لتناقض ذلك مع الإنجيل أن الله قد

{سمع له من أجل تقواه}

ثانياً، إنّ الاعتقاد بأنّ المسيح قد مات على الصليب يؤدّي إلى اتّهام الله سبحانه بالكذب والعياذ بالله. وذلك لأنّه، بحسب الإنجيل، رغم أنّ الله قد سمع ليسوع المسيح عندما دعاه متوسّلاً بحرقة وحماس لينجيه من شرب كأس الموت على الصليب؛ وأَرسل له أيضاً ملاكَه بالبشرى التي ما تزال مؤكّدة في الإنجيل: {**وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ**} (اَلرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ 5:7)، إلاّ أنّه ترك أعداءه يبطشون به، وتركه يموت على الصّليب غير عابئ به ولا باستجابته لدعائه!

إذ لاشكّ في أنّ من المترتّبات على الاعتقاد بموت المسيح على الصليب هي أن يعتقد العالَمَ بأنّ الله قد كذَبَ على المسيح وخَذَلَه وترَكَه يموت ملعوناً على الصليب رُغم أنّ الملاك قد أخبره بأن الله قد {سمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ} !

* البيان التاسع والثلاثون:

لو مات المسيح على الصليب وهبط إلى الجحيم ثم صعد إلى السماء لكان قد كذب في وعده لِلّص، الذي كان معلّقا على الصليب إلى جانبه، أنّه سيكون معه في الفردوس في ذلك اليوم ذاته!

ثالثاً، يُخبرنا سِفر الأعمال في الإنجيل أنّ المسيح قد مات لثلاثةِ أيّامٍ هبط خلالها إلى الجحيم مباشرة بعد موته، حيث نقرأ في 2:31 من أَعْمَال الرُّسُلِ ما يلي:

{وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ[1] وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا}.

أي – رغم أنّه قد هبط إلى الجحيم – إلاّ أنّه لم يُترك في الجحيم؛ ولم يفسد جسده فيه.

[1] – الهاوية هنا مترجمة عن لفظة الجحيم HELL الواردة في نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدّس.

وفي 3: 19-20 من رِسَالَةُ بُطْرُسَ الرَّسُولِ الأُولَى نقرأ أنّ المسيح خلال فترة موته هبط إلى الأرواح الشرّيرة التي عَصَتْ قديماً فبَشّرها في سجنها الذي هو الجحيم[1]:

{الَّذِي فِيهِ أَيْضًا **ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ** * إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا}.

هذه العقيدة الباطلة تجعل المسيح كاذباً لم يفِ بوعوده التي وعدها. ويُمكن تَبيّن هذه الحقيقة من خلال التّفكّر في ما ورد في إنجيلَي متّى ولوقا. دعونا نتحقّق.

في 27: 38-44 من إنجيل متّى نقرأ:

{حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ * وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ * قَائِلِينَ:«يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!» * وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: * «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيب فَنُؤْمِنَ بِهِ! * قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!» * **وَبِذلِكَ أَيْضًا كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ**}.

[1] – يقول المفسّرون المسيحيون إنّ سجن الأرواح الذي هبط إليه المسيح هو الجحيم. انظر ص 2701 من (التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس).

دعونا لا ننسى أنّنا نجد في هذه الرواية، أنّ كِلا اللصّين اللذين صُلبا مع يسوع {كانا يُعيّرانه} تماماً مثل رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ. ولكننا إذا ما تحرّينا الحدث ذاته في 23: 39-42 من إنجيل لوقا فإنّنا نجد أنفسنا مضطرّين إلى الاعتقاد برواية مختلفة ومتناقضة مع ما جاء في إنجيل متّى—— الأمر الذي يضع يسوع المسيح والأناجيل بصورة مُسيئة وغير مقبولة.

في 23: 39-43 من إنجيل لوقا نقرأ:

{وَكَانَ **وَاحِدٌ** مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً:«إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!» * فَأجَابَ **الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ** قَائِلاً:«أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ * أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْل، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» * ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ:«**اذْكُرْنِي** يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» * فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«**الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ**»}.

(إِنْجِيلُ لُوقَا 23 : 39-43)

من مقارنة الروايتين لهذه الواقعة الواحدة في إنجيلَيّ متّى ولوقا نجد أنّ إحداهما تُناقض الأخرى بشكل فاضح، لأنّ رواية متّى تقول إنّ اللّصين **كليهما** كانا يُعيّران يسوع المسيح ويستهزئان منه تماماً مثلما كان يفعل رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود؛ في حين تُخبرنا رواية لوقا أنّ **واحداً فقط** من اللصّين هزأ من المسيح، فيما **انتهر اللصُّ الآخرُ** اللصَّ المستهزئَ دفاعاً عن المسيح، وطلبَ منه بإيمان أن يذكره في ملكوت الله، ولذلك بشّره

يسوع بأنّ إيمانه قد قُبِل وأنّه **في ذلك اليوم ذاته** سيكون معه في الفردوس:{**«الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»**}. هذا ما وعده به يسوع المسيح بحقّ فقال له:{**«الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»**}.

أليس هذا تناقضاً واضحاً في الأناجيل التي من المفروض أنّها قد كُتبت بوحيٍ وإرشادٍ من الرّوح القدس الذي هو اللهُ أيضاً في عقيدة الكنيسة؟

كيفَ مرّر اللهُ إذاً روايتين متناقضتين باعتبارهما رواية واحدة لواقعة واحدة؟

وهنا لا نزال نجد أيضاً فضيحة أخرى، أكثر إهانة، تتعلّق بسمعة المسيح وشرفه كنبيّ وابنٍ لِلّه، وهي تتعلّق بأنّ يسوع المسيح كان قد وعد اللصّ الذي دافع عنه، بقوله:{**«الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»**}.

لقد كان هذا وعْد المسيح لِلّصّ الذي آمن به ورجاه أن يذكره في ملكوت الله. ولكنّ السؤال هنا هو: **هل صَدَقَ يسوعُ وَعْدَه مع هذا اللص المؤمن؟**

بالتأكيد لا!

بل كان وعده كاذباً—لو صحّت هذه الرواية الإنجيلية!

هذا ما يُخبرنا به الإنجيل!

لم يفِ المسيح بوعده لهذا التّائب الذي آمن به ورجاه أن يذكره! إذ يُخبرنا

الإنجيل أنّ المسيح بعد أن قال لذلك اللص المسكين: { **إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ**»}. مات لثلاثة أيّام هَبَطَ فيها إلى الجحيم وسِجْنِ العُصاة بدلاً من أن يصعد إلى الفردوس، أو السماء. وبقيّ اللصّ المسكين في قبره ينتظر ذلك اليوم، ثم اليوم الذي بعده، ثم الذي بعده، وهكذا بلا أمل ليس لثلاثة أيّام فقط، بل حتى لأكثر من أربعين يوماً، كان المسيح خلالها منشغلاً بإراءة نفسه حيّاً {**ببراهين كثيرة**} لتلاميذه **كي لا يعتقدوا أنّه قد مات على الصّليب**، فيظنّ الناس أنه كان كاذباً وملعوناً ولم يُرسله الله من عنده.

لو كان المسيح حقّاً قد وَعَد اللصَّ المؤمن بأنّه سيكون، في اليوم ذاته، معه في الفردوس، إذاً، بحسب الإنجيل، يكون المسيحُ قد كذب فعلاً، ولم يفِ بوعده مُطلقاً!

لقد كان عليه أن يصعد إلى الفردوس، لا أن يهبط إلى الجحيم!

* البيان الأربعون:

لو مات المسيح على الصليب لكان قد كذب في وعده بالمجيء بالخراف الضّالة!

ومن العجيب أننا نجد، بحسب الإنجيل، أنّ المسيح لم يكذب على اللّص المؤمن المسكين فحسب، **ولكنّه كذب أيضاً على حوارييه وتلاميذه جميعاً**[1]، وذلك حين أعلن لهم قائلاً:

{**وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ**}. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 10:16)

وكي يفهم تلاميذُ المسيح قصده، ضرب لهم مثلاً، فقال:

{مَاذَا تَظُنُّونَ؟ إِنْ كَانَ لإِنْسَـــانٍ **مِئَةُ خَرُوفٍ**، وَضَـــلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا، **أَفَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ؟**} (إِنْجِيلُ مَتَّى 12:18)

وأكّد قائلاً:

{«**لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**»}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 15:24)

---

[1] – نحن لا نعتقد بأنّ المسيح قد كذب بأيّ من الأحوال، وحاشاه أن يكون قد فعل؛ ولكننا هنا نناقش المنطق المترتّب على الأخذ بالعقيدة الخاطئة المتوارثة من غير تفكّر ولا تدبّر.

إنّ هذا الإعلان الواضح من قِبل المسيح يُبيّن أنّ الله لم يُرسِل المسيحَ إلى خراف بيت إسرائيل الذين كانوا في فلسطين **فحسب**، ولكنّه قد أرسله أيضاً إلى الخراف الأُخر الضّالّة (الشاردة) التي لم تكن من حظيرة الذين كانوا مع تلاميذه في فلسطين، بل كانوا خارجها. وكما جاء ليُنقذ هؤلاء الذين كانوا في فلسطين، فقد كان عليه أن يَخْرُج خارج فلسطين ليُنقذ الخراف الأُخر الضّالة **فتسمع صوتَه** {**وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ**}.

ويبدو واضحاً من الأناجيل أنّ المسيح، بين وقتِ وَعْدِه هذا وبين واقعة تعليقه على الصليب، لم يُغادر أرض فلسطين إلى أيّ مكان آخر. وكذلك يؤمن الإخوة المسيحيون أنّه بعد أن أُنزل من على الصليب على أساس أنّه قد مات، فإنّ روحه قد عادت إلى جسده ليخرج حيّاً بعد ثلاثة أيّام. وبعد أن قام برحلات محلّية لمدّة أربعين يوماً ليُري نفسه لتلاميذه، ببراهين كثيرة، أنّه كان حيّاً ارتفع إلى السماء ليجلس عن يمين الله بحسب إنجيل مرقس الذي يقول:

{ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ}.

(إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 16 : 19-20)

إذا ما كان هذا صحيحاً، فإنّ مسيحية الكنيسة تواجِه معضلة خطيرة حقّاً. فلو أنّ يسوع المسيح كان صادقاً بوعده، فقد كان عليه، قَبْل صعوده إلى السماء، أن يتذكّر وعْدَه، وكان يجب أن يطلب، من الله الأب، المزيدَ من الوقت ليبقى في الأرض فيتمكّن من الذهاب إلى البلاد التي كان العديد

من أسباط بني إسرائيل قد مضوا إليها واستوطنوا فيها قَبْل مجيئه. وهذا لأنّه ما كان يُمكن أن يكون قد صعد إلى السماء دون أن يكون قد أخلف بوعده—وبهذا يكون قد لَطّخ شخصَه وأفسد صورتَه وأساء إلى مصداقيته، بشكل لا يُمكن إصلاحه، ليس كإله كامل وحسب، بل وكإنسان كامل أيضاً.

وأمّا إذا تمّ اعتبار عقيدة الكنيسة سليمة، وإذا ما قَبِلنا أنّ المسيح قد نسي فعلاً التزامه بأن يأتي بخراف بني إسرائيل الضّالّة، إذ نزل إلى الجحيم، ثمّ ظهر لحوارييه وبقي يقنعهم ببراهين كثيرة أنّه كان لا يزال حيّاً، ثمّ غادَرَ مباشرة إلى السماء، إذن سيُحتِّم هذا علينا أن نستنتج، بقلب حزين، أنّ الكنيسة المسيحية لابدّ أن تكون زائفة. وهذا لأنّه إذا ما ثبت أنّ المسيح كان زائفاً في وعده، فلا يمكن أن تكون الكنيسة صادقة.

لا شكّ في أنّ كلّ مسلم وكلّ مسيحي مخلص، يؤمن بشكل مطلَق أنّه ما كان للمسيح أن يكذب مطلقاً؛ وما كان له أن يعطي وعداً كاذباً، بأيّ شكل كان، ولأيّ سبب كان.

الذي قصَده المسيح بالخراف الضّالة هو الأسباط العشرة من بني إسرائيل، الذين كانوا قد أُسِروا وأُخِذوا من فلسطين في وقت سابق ومضوا إلى البلاد الشرقية النائية. ولذلك **فإنّ وعْده كان يعني نبوءةً وبشارة بأنّه لن يموت على الصليب**، ولكنّه كان، رغم مكر شيوخ اليهود ورؤساء الكهنة، سيعيش حياة طويلة ليُتابع مهمّته، وأنّه كان نبيّاً ورسولاً ليس فقط للسِّبطَين

من اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين حوله في اليهودية، ولكنه كان رسولاً لجميع أسباط اليهود المقيمة في الدّاخل **والضّالة في الخارج**. ولذلك فقد كان عليه أن يمضي إلى الأسباط العشرة الأُخرى الضّالّة من بني إسرائيل وأن يهديهم إلى الله برسالته ودعوته المقدّسة. ولذلك فقد أعلن، قائلاً:

{وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضًا **فَتَسْمَعُ صَوْتِي**، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ}. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 16:10)

على ضوء هذا الإعلان الواضح من قِبل المسيح، يجب أن يكون واضحاً تماماً، أنّه إذا ما رُفع إلى السماء بعد حادثة الصلب وبعد خروجه من سجن الجحيم، **وقبل أن تَسمع خرافُ الحظيرة الأُخر صوتَه، وقبل أن يأتي بها أيضاً كما وَعد**، فإنّه كان سيبرهن على أنّه قد كذب أيضاً وذلك بسبب إخلافه وعْده العام لتلاميذه وحوارييه.

في سِفر العدد 19:23 نقرأ دفاع الله عن نفسه ضدّ الزّعم أن يكون إنساناً أو ابن إنسان **فيكذب** أو يندم، أو **يقول ولا يفعل**، أو **يتكلّم ولا يفي**، فيقول مبيّناً ومؤنّباً:

{**لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا** فَيَكْذِبَ،

وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ.

هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟

أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟}

ولأننا نؤمن أنّ يسوع المسيح، باعتباره كان رسولاً من الله، فقد كان صادقاً ولا ريب، وما كان له إلاّ أن يكون صادقاً، فنحن نعتقد أنّه لم يمت على الصّليب، بل تمّ إنقاذه وبقي حيّاً فغادر فلسطين ليأتي بخراف بني إسرائيل الضّالّة الأخرى التي ليست من حظيرة اليهود الذين كانوا في فلسطين، بل من الذين شُرّدوا خارجها، لتسمع صوته وتكون رعية واحدة وراع واحد—كما وعد بصدق.

وليس بعيداً اليوم الذي سيَعرف فيه العالّمُ كلّه البلاد التي مضى يسوع المسيح إليها، والمكانَ الذي مات ودُفنّ فيه.

سيعرِفُ العالَمُ كلّه،

وسيصعقه الذّهول،

وتنوح الأمم!

الملف الخامس

من باب العقل والتفكّر

عندما نقرأ في كتاب الله أنّه واحدٌ أَحد، ونقرأ أنّه لا مبدّل لكلماته وأننا لن نجد لسنّة الله تبديلاً، ولن نجد لسنّة الله تحويلاً نوقن بأنّه لا يصحّ الاعتقاد بأنّ معجزات الله يُمكن أن تَخرق قوانينَه ولا أن تُبدِّل أو تُحوِّل سُننه، وهذا لأنّ قوانين الله وسننه راسخة مُحكمة منذ الأزل، وقدرته لا نهاية ولا حدّ لها فهو لا يحتاج -كما يحتاج البشر - إلى أنّ يُحدِث تصحيحات في قوانينه، أو يضيف إضافاتٍ إلى سننه في خلقه تَفرضها عليه الضّرورةُ أو يُلجئه إليها ظهورُ أمرٍ لم يكن في حسبانه، بل إنّ عِلْمه وقدرته وجميع صفاته تشمل الأزل والأبد، وهو يعلم الغيب قبل وقوعه، والأمر له من قبل ومن بعد.

من هذا المنطلق يحقّ للسّائل المتفكّر أن يسأل: 'هل كان ثمة حاجة عند الله أَلْجأَتْه لأن يخرق قانونَه المتعلّق بالحياة والموت؟ القانون الذي يريدنا أن نؤمن به كما أنزله في القرآن الكريم فقال:

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ **وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ** وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} (طه 56)

وكذلك أنزل الله قانونه الذي فرض علينا الإيمان به فقال:

{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا **أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ**} (الأنبياء 96)

وأيضاً بيانه الذي أكّد لنا فيه بقوله:

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}.

(المؤمنون 100-101)

فإذا كان اللهُ قد كَتب على كلّ نفسٍ الموتَ ضمن قانونه الطّبيعي، وقضى أنه لا يمكن للأنفس أن تعود بعد الموت، فلماذا يخرق قانونه لعيسى وهو لا يعدو عن كونه عبداً من عباده إن أراد أهلكه، مثلما يموت جميع البشر، حتى لو كان نبيا أو رسولاً؛ قال تعالى:

{قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا **إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ** وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (المائدة 18)

ثم إذا أراد اللهُ أن يبعث حَكَما مُصلحاً يملأ الأرض عدلاً، أليس هو بقادر على أن يخلق من عباده ويصطفي منهم من يشاء، وهو الذي قال في كتابه:

{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج 76)

فأيّ حاجة تضطرّ اللهَ لأن يبعث بعد محمّد صلّى الله عليه وسلّم نبيّاً ورسولاً **من بني إسرائيل** ليصلح أمّة محمّد والناس أجمعين؟

وهل كان عيسى عالماً برسالة محمّد أم برسالة موسى؟ وهل بعثه الله ليُكمل القرآن وشريعة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم أم ليكمل ناموس (شريعة–توراة) موسى والأنبياء؟ تعالوا نقرأ بيان عيسى في الكتاب المقدّس فنجده يقول:

{«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ}. (إِنْجِيلُ مَتَّى 5 : 17)

ومن أجل أن يكمل عيسى النّاموسَ والأنبياء، فقد كان لابدّ أن يُعلّمه اللهُ علوماً معيّنة تُؤهّله لأن يكون حَكَماً ومصلحاً في بني إسرائيل. قال تعالى:

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ*وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} (آل عمران 49-50)

ولا يذكر لنا اللهُ في كتابه أنّه قد عَلّم عيسى القرآنَ ليُنذر به العالمين، وذلك لأنّه لم يُرسل **إلاّ** إلى بني إسرائيل، ولا يمكن أن يكون مُرسَلاً أو مصلحاً أو نذيراً للعالمين—فهذا اختصاص محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وحده واختصاص أمّته من بعده. والله قادر على أن يبعث من أمّة محمّد إماماً مقسطاً وحَكماً عدلاً يملأ الأرض بعدل الإسلام على قدم محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ولو كان منطق إيماننا كمسلمين يسمح لنا بالاعتقاد أنّ يخلد أحدٌ من

البشر عند الله ليعود في وقتٍ محدّد لإصلاح الأرض بعد فسادها، لكان الأولى بنا أن نعتقد أنّ الأولى بالرّجوع هو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسه؛ خاصّة وأنّنا نقرأ خطابَ ربّنا عزّ وجلّ للرسول الكريم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن بقوله:

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} (القصص 86)

تخاطب الآيةُ الكريمة هنا الرّسول الكريم محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقول: لرادّك أنتَ يا محمّد إلى معاد، وليس لرادّك يا عيسى. ومن الملفت أنّ الآية الكريمة هنا تؤكّد أنّ الله عزّ وجلّ قد فرض القرآن على محمّد بالذات وليس على غيره من النبيين. ولذلك فإنّه لا يُمكن لمن لم يُفرض عليه القرآن أن يُردّ إلى معاد في أمّة القرآن ليُصلحها، ثم ليُصلح أمم الأرض كلّها، في حين أنّ الله قد بعثه فقط ليُقيم التوراة، شريعة موسى والأنبياء، بالإضافة إلى أنه كان رسولاً إلى بني إسرائيل فقط.

ولذلك فإنّ المقام المحمود الذي قدّر الله أنّه سيبعث فيه محمّداً من جديد لابدّ أن يتمّ على يد واحد من أتباعه من أمّته وعلى قدمه فيكون إماما ممثِّلاً لسيّده محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، وبذلك يكون حَكماً عدلاً يملأ الأرض بقسط وعدل الإسلام ويُجيح ظلماتها بأنوار القرآن الكريم— الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله ونبيّه محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم وجعله خاتم النّبيين.

وأما عن الإجابة على السؤال فلماذا لا يُبعث محمّدٌ صلى الله عليه وآله

وسلّم ذاته؟ فالجواب هو أنّ الله قد قضى في كتابه – كما بيّنا – أنّه لا يُرجِع إلى الدّنيا من مات أبداً.

الآثار والنتائج المترتبة على العقيدة السائدة عن بقاء عيسى حيّاً في السماء

* لا يستوي محمّد بعيسى، لأنّ عيسى من الأحياء، وأمّا محمد فهو من الأموات!

إنّ عقيدة المسلمين بأنّ عيسى لا يزال من الأحياء في حين أنّ سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الآن من الأموات تنصر الاعتقاد بأنّ عيسى أفضل من محمد عليه الصلاة والسّلام، إذ يقول القرآن الكريم:

{وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ} (فاطر 23)

* عيسى أفضل من محمّد لأنه خَلَق الطير وأمّا محمد لم يخلق شيئاً !

وكذلك الاعتقاد بأنّ عيسى قد خلق من الطّين طيراً، فيما لم يخلق محمّدٌ صلّى الله عليه وآله شيئاً، يَنصر الاعتقادَ بأنّ عيسى خيرٌ من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وذلك بدليل قول ربّنا عزّ وجل:

{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} (النحل 18)

فلو أن عيسى عليه السّلام كان قد خلق الطّير بالمعنى الحرفي لكان خيراً من سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لم يَذكر القرآن أنّه قد خلق شيئاً.

* عيسى أفضل من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنه أحيى الموتى، وأمّا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم فلم يحي أحداً!

قال تعالى عن نفسه بصيغة الحصر:

{لا إِلَهَ إِلاَّ **هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ**} (الأعراف 159)

هو وحده يحيي ويميت، وقال:

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ **وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى** وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الشورى 10)

هو وحده يحيي الموتى لأنه على كل شيء قدير، وقال:

{**لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ** يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ} (الدخان 9)

ربّكم وحده الذي يحيي ويُميت.

واستشهد خليلُ الله إبراهيم، في جداله مع النمرود، بتفرّد الله عزّ وجلّ بهذه القدرة فوحّده بها قائلاً:

{**رَبِّيَ** الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} (البقرة 259)

وقال:

{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (المؤمنون 81)

أفلا تعقلون؟

وقال:

{هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (غافر 69)

* عقيدة بقاء المسيح حيّاً في السماء تدعم تكذيب اليهود للمسيح وكفرهم به، وتؤيّد عقيدة بولُس الوثنية وتهزم تبليغ الدعوة إلى الإسلام

إذاً الاعتقاد بأنّ الله قد أبقى عيسى المسيح، رسولَ بني إسرائيل، حيّاً خالداً باقياً عنده حتى الآن في السّماء من أجل أن يُنزله عند السّاعة ليكون حَكما عدلاً وإماماً مقسطاً ليصلح المسلمين ويهدي العالمين ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً—إنّ هذا الاعتقاد لا يُناقض القرآن الكريم فحسب، بل هو ينصر ويُقوّي عقيدة النّصارى أيضاً بأنّ الإصلاح الشامل والهداية الكاملة والرّحمة العامّة ستكون على يد المسيح، نبيّ بني إسرائيل وعقيدته، وليس بهداية محمّد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم—وهذا لا يصحّ. ولا مبرر لهذا الاعتقاد إلاّ الجهل والتّعصب وعدم التفكّر والتّعقل والتّدبر.

وكذلك الاعتقاد بأنّ المسيح عيسى بن مريم قد أَحيى الموتى وخَلَقَ الطير بالمعنى المادّي يؤيّد العقيدة النصرانية في تأليه المسيح عيسى ويرفعه فوق مقام محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم—وهذا أيضاً لا يصحّ.

لابدّ للمتفكّرين أن يتفكّروا ..

وللعاقلين أن يعقلواّ ..

وللأتقياء أن يتّقوا ..

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم!

الملفّ الأخير

من هو الإمام الموعود إذاً؟

لا شكّ في أنّ المسلمين يؤمنون بأنّه حين يأتي زمانُ أشدِّ الفتن، ويفسد الناس جميعاً، ومنهم المسلمون، وتمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، فإنّ الله سيبعث برحمته مصلحاً مسلماً يجعله حَكَماً عدلاً وإماماً مُقسطاً، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بدين الله ورسوله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما ملئت ظلماً وجوراً. قال سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم:

(لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ، لبَعث اللهُ رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.) عن عليّ رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سنن الترمذي.

فهل يكون المسيح الموعود هو الإمام المهدي عليه السلام؟

تعالوا نبحث ونتحقّق لنعلم حقيقة الأمر.

جاء في سنن ابن ماجة عن الحسن، عن أنس بن مالك –رضي الله تعالى عنه– قال:

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم:

(لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدِّين إلا إدبارا، ولا الناس إلا شُحّاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، **ولا مهدي إلا عيسى بن مريم)**

ولقد ورد مثل هذا الحديث في المستدرك على الصحيحين، وفي الجامع الصغير عن أنس؛ وأيضاً في معجم الطبراني الكبير.

* هل ثمة مسيح واحد أم مسيحان؟

في صحيح البخاري، نقرأ الحديث التالي:

عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة أسري بي: رأيت موسى، وإذا هو رجل ضرب، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى، فإذا هو **رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس)** / صحيح البخاري

وقد جاء في صحيح البخاري أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ذَكر ليلة أسري به فقال: (موسى آدم، طوال، كأنه من رجال شنوءة، وقال: **عيسى جعد مربوع)**. أخرجه مسلم في الفضائل، باب: في ذِكْر يونس عليه السلام.

وفي مسند أحمد عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال:

(رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة،

ورأيت عيسى **رجلاً مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض**"

اللفظ للبخاري والتخريج (مفصلا): أحمد في مسنده ومتفق عليه (البخاري ومسلم) عن ابن عباس. وهو في تصحيح السيوطي: حديث صحيح.

في هذين الحديثين في صحيحي البخاري ومُسلم والحديث الصحيح الذي أورده الإمام أحمد في مسنده، يتبيّن لنا مِن وصفِ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ **المسيح عيسى بن مريم رجلٌ مربوع، إلى الحمرة والبياض، أحمر الوجه كالخارج من ديماس—يعني الحمّام. وأنّه جعد.** وهذا وصفٌ واضح تماماً لا يُمكنُ اللّبسُ ولا الشّك فيه لأنّ الذي أخبر به هو سيّدنا خاتم النّبيين محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في الصحيح، كما بيّنا. ومع ذلك فإنّ ثمّة للمسيح عيسى بن مريم وصفاً آخر، مختلفاً تماماً، أخبَرنا به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في الصّحيح أيضاً!

تعالوا نر.

نقرأ في صحيح البخاري الحديث التالي:

حدثنا إبراهيم بن المنذر: حدثنا أبو ضمرة: حدثنا موسى، عن نافع: قال عبد الله:

ذَكر النبيُّ صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهري الناس المسيحَ الدجال، فقال: (إنّ الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا **رجل آدم، كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمّته بين منكبيه، رَجِل الشعر، يقطر رأسه**

ماء، واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: **هذا المسيح بن مريم.**) صحيح البخاري

وفي رواية أخرى في البخاري أيضاً نقرأ:

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت ليلة أسري بي موسى، رجلا آدم، طوالا جعدا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت **عيسى رجلا مربوعاً، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس..**)

أخرجه مسلم في الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وجاء في الشرح ما يلي:

"(**آدم**) من الأدمة **وهي في الناس السّمرة الشديدة** (قارن مع:" **إلى الحمرة والبياض، أحمر الوجه.**"

(جعداً) غير سبط الشعر، والشعر الجعد هو ما فيه التواء وتقبض. (سبط الرأس) مسترسل الشعر."

وفي الشرح من فتح الباري في شرح صحيح البخاري نقرأ:

"قوله: (**آدم**) بالمد **أي أسمر**.

قوله: (**تضرب لمّته**) بكسر اللام أي شعر رأسه، ويقال له إذا جاوز شحمة الأذنين وألمّ بالمنكبين لمة.

قوله: (**رجِل الشعر**) بكسر الجيم أي قد سرّحه ودهنه.

وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى ' أنه جعد ' **والجعد ضد السبط**."

في هذين الحديثين الصّحيحين نجد أنّ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يصف المسيح عيسى بن مريم بصفات تتناقض تماماً مع ما ذكرناه آنفاً من الصّحيح. ففي حين أنّه قد وَصَفَه في الأحاديث السّابقة بأنّه **أبيض الوجه أحمره كالخارج لتوّه من الديماس**، يعني الحمّام، نجده، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، يصفه هنا بأنّه '**آدم**'، **يعني أسمر جميل السمرة** كأحسن ما يرى المرء من سمرة الرجال.

وفي حين أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يصف المسيحَ عيسى بن مريم في الأحاديث التي ذكرناها بأنّه '**جعدٌ**'، يصفه هنا بصفة معاكسة تماماً وهي أنّه **رَجِلُ الشعر وسَبْطه**، يلمع وكأنّه مشبع بالماء يقطر منه لشدّة سواده ولمعانه.

ورغم أنّ هذه الأوصاف تُشير بشكل واضح إلى شخصين مختلفين متناقضين في الأوصاف، إلاّ أنّ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد ذكر الاثنين **بِاسْمِ** شخص واحد. وهو '**المسيح عيسى بن مريم**'!

فكيف نفهم هذا؟

آخذين بعين الاعتبار أنّ هذه الأوصاف للمسيح عيسى بن مريم قد وردت بحسب وصْفِ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الصّحيح؛

فهل يمكننا القول بأنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله قد أخبَرَنا بأنّ عيسى هو **أبيض وهو، أيضاً، أسمر**؟ أم هل يُمكننا القول بأنّه **جعدُ الشعر وكذلك سَبط الشعر**؟

إنّ هذه الصفات متناقضة تماماً، ومع ذلك فقد أخبرنا بها سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في الصحيح! فكيف يمكننا حلّ هذا الإشكال المبين؟

أولاً: لنلاحظ أنّ المسيح عيسى بن مريم الذي وصفه سيدنا رسول الله عليه وآله وسلّم بأنّه **جعد أبيض أحمر الوجه** هو المسيح ابن مريم الذي قال إنّه **رآه ليلة أسري به**، فقال: **(ليلة أسري بي)**. في حين أنّه **رأى المسيح الأسمر سَبْطَ الشعر في المنام يطوف بالكعبة**، وقد جاءت الرؤيا مقترنة **برؤية الدّجال** أيضاً وهو يحوم حول الكعبة. لنذكر الحديث:

جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:

(**بينا أنا نائم** رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا **رجُل آدم، سبط الشعر**، بين رَجُلَين، **ينطف رأسه ماء**، فقلت: من هذا؟ قالوا: **ابن مريم**، فذهبت ألتفت فإذا رجُلٌ أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور العين اليمنى، كأنَّ عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: **هذا الدجَّال**..)

وفي فتح الباري نقرأ الحديث بالشكل التالي:

عَنْ نَافِعٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيْ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلا إِنَّ **الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ** الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ.

وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ **فِي الْمَنَامِ** فَإِذَا **رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً**، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا **الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**. ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلاً وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا **الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**.)

والآن متلمّسين خيط البيان نعود إلى ذكر الحديث المُلْفِتْ الذي ذكرناه آنفاً ثمّ نُتابع:

(قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلاّ إدباراً، ولا الناس إلاّ شُحّاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، **ولا مهدي إلا عيسى بن مريم."**) جاء في المستدرك وفي سنن ابن ماجة عن الحسن، عن أنس بن مالك –رضي الله تعالى عنه.

وفي مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي نقرأ:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ألا إن عيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول، إلاّ أنه **خليفتي في**

أمتي من بعدي، ألا إنّه يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها، ألا فمن أدركه منكم فليقرأ عليه السلام." رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

لابدّ من الملاحظة هنا أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم يقول إنّ عيسى بن مريم **يكون خليفته (خليفة رسول الله) في أمّته (أمّة رسول الله)** من بعده، ولكننا نعلم أنّ **المسيح عيسى بن مريم ليس من أمّة رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلّم، بل هو **من أمّة موسى من بني إسرائيل**، ولم يرسله الله تعالى **إلاّ إلى بني إسرائيل**، ولم يجعله مثلاً إلاّ لهم فقط، كما نعلم من قول ربّنا عزّ وجل الذي أشرنا إليه مراراً:

{وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً **لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**} (الزخرف 60)

من هذا نستخلص أنّ المسيح الذي بَشّر سيُدنا محمد صلى الله عليه وآله ببعثته لابدّ أن يكون من أمّة محمّد وليس من بني إسرائيل. وهذا ما يقوله سيّدُنا خاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم.

* ممّن يكون الإمام الموعود؟

في حديث عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أنّ أبا هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح بن مريم وإمامُكم منكم). (أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد)

يعتبر أغلب المسلمين أنّ هذه الحديث يعني أنّ الإمام—زمن نزول المسيح—يكون غير المسيح، بل يكون واحداً آخر؛ والبعض يقول إنّه يكون المهدي. ولكنّ هذا الفهم يؤدّي بنا إلى معضلة أنّ المسيح لا يكون حال نزوله إماماً، لأنّ الإمام سيكون المهدي، في حين أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلّم قد أكّد بأن المسيح يكون إماماً مقسطاً وحكماً عدلاً. فهل المقصود من هذا أنّه سيجرّدِ، حال بعثته، إمامَ المسلمين من إمامته ويأخذها هو لنفسه؟!

طبعاً لا! هذا لا يمكن!

وثمّة حديث صحيح آخر، يفيدنا بتفصيلٍ آخر، ربّما نجد فيه حلاً لهذه المعضلة:

في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:

"كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم **وإمامكم منكم**). وفي رواية: (**فأمّكم منكم**)."

إذن ثمّة رواية صحيحة عن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تُبيّن أنّ المسيح الموعود عليه السّلام يؤمّ المسلمين، ويكون إمامَهم فور نزوله ويكون منهم: (فأمّكم **منكم**).

وقد أخرج هذا الحديث مسلم بلفظ: "(كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم

فأمّكم).

وفي صحيح مسلم بشرح الإمام النّووي نقرأ الرّواية التالية:

(عَنْ نَافِعٍ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ **فَأَمّكُمْ مِنْكُمْ**؟")

أيّ فأمّكم، **وهو منكم**.

وكذلك ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، وفي كنز العمال:

(كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم **فأمّكم**.)

وقد أخرج هذا الحديث مسلم في كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم عن أبي هريرة.

وفي مسند الإمام أحمد نقرأ الحديث التالي:

(عن نافع مولى أبي قتادة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"كيف بكم إذا نزل بكم ابن مريم فأمّكم (أو قال) إمامكم **منكم**."

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينزل عيسى بن مريم **فيؤمهم**."

في الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي.

* المسيح إماماً مهديّاً، ولا مهدي إلاّ عيسى بن مريم

في الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي نقرأ ما يلي:

"وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى بن مريم **إماما مهدياً** وحَكَماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير وتوضع الجزية وتضع الحرب أوزارها."

وروى الطبراني في الكبير والأوسط عن عبد الله بن مغفل أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

"ما أهبط الله عز وجل إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال، وقد قلت فيه قولا لم يقله أحد من قبلي ... يلبث فيكم ما شاء الله، ثم ينزل عيسى ابن مريم مُصدِّقا بمحمد على ملّته **إماما مهديا** وحكما عدلا فيقتل الدجال."

ولقد ورد هذا الحديث أيضاً في الزوائد للحافظ الهيثمي ورجاله ثقات.

وفي مسند الإمام أحمد ومسند أبي هريرة نقرأ الحديث التالي:

"حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا هشام بن حسان عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(يوشـــك من عاش منكم أن يلقى عيســـى بن مريم **إماماً مهديا**ً وحَكَماً عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحربُ أوزارَها)"

وفي الحاوي للفتاوي للإمام السيطي نقرأ الرواية التالية:

"أخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في البعث بسند جيد عن عبد الله بن مغفل قال:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبث الدجال فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد وعلى ملته إماماً مهدياً وحَكماً عدلا فيقتل الدجال.

إذن يكون المسيحُ عيسى بن مريم – بحسب هذا الحديث – إماماً مهدياً. ويفيدنا هنا أن نتذكّر الحديث الآخر الذي **يوحّد** فيه سيّدُنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بين المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام فيعدّهما واحداً، فيقول (**ولا المهدي إلاّ عيسى بن مريم**) كما في الحديث التالي:

عن أنس ابن مالك، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال:

"لا يزداد الأمر إلاّ شدّة، ولا الدّنيا إلاّ إدباراً، ولا النّاس إلاّ شحّاً، ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس، **ولا المهدي إلاّ عيسى بن مريم**."

أخرجه ابن ماجة من كتاب الفتن سنن ابن ماجة 2-1341 والمستدرك 441/4. وأبو نعيم في الحلية، وورد في عقد الدرر ص 6

* عيسى حكماً مقسطاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير، وكذلك الإمام المهديّ يكون حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير!

ولابدّ هنا الانتباه الجادّ إلى الروايات المنقولة عن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والتي بيّن فيها أنّ المهمّة ذاتها منوطة بابن مريم[1]، وكذلك بالإمام المهدي عليه السلام. تعالوا ننتبه:

حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا الليث، عن ابن شهاب، عن ابن المسيّب: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده، ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد).

أخرجه مسلم في الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم

وكذلك في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه عن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نقرأ أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "يخرج **المهدي حَكَماً عدلاً**، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير .." أخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي

---

[1] – جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران 46)

من هذين الحديثين الصحيحين نعلم أنّ المسيح الموعود يكون في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم **حَكَماً مُقسطاً**؛ وكذلك يكون الإمامُ المهديُّ **حكماً عدلاً، أي حَكَماً مُقسطاً**.

وتكون مهمّة **المسيح الموعود** أن **يكسر الصليب** فيكسر الصّليب. وكذلك تكون مهمّة **الإمام المهدي** أن **يكسر الصليب** فيكسر الصّليب.

وتكون مهمّة المسيح الموعود أن يقتل الخنزير فيقتل الخنزير، وكذلك تكون مهمّة الإمام المهديّ أن يقتل الخنزير فيقتل الخنزير!

ألاّ تدلّ هذه الأحاديث الصّحيحة على أنّ **الاسمين هما لإمام واحد**، بمعنى أنّ الاسمين وَصْفيان يُطلقان على **إمام واحدٍ يقوم بالمهام ذاتها** من غير اختلاف، فيكون حكماً عدلاً وإماماً مُقسطاً، فيكسر الصّليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب—كما جاء في روايات أخرى؟

ونقرأ في الموسوعة الفقهية التي أصدرتها وزارة الأوقاف الكويتية ما يلي:

"ومن المعلوم أنّ الْفُقَهَاءُ قد اتَّفَقَوا عَلَى أَنَّهُ إذَا تَعَيَّنَ لأَهْلِ الاخْتِيَارِ وَاحِدٌ هُوَ أَفْضَلُ الْجَمَاعَةِ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِمَامَةِ، فَظَهَرَ بَعْدَ الْبَيْعَةِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، انْعَقَدَتْ بَيْعَتُهُمْ على إمَامَةَ الأَوَّلِ وَلَمْ يَجُزْ الْعُدُولُ عَنْهُ إلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ.)

ونقرأ في الجامع لأحكام القرطبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما). رواه أبو سعيد الخدري وأخرجه مسلم.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه يقول: (من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع. فإن جاء آخر **ينازعه**[1] فاضربوه عنق الآخر.) رواه مسلم أيضا، ومن حديث عرفجة: (فاضربوه بالسيف كائنا من كان).[2]

فكيف يصحّ إذن أن يوجد في زمن أشدِّ الفتن إمامان، واحد من بني إسرائيل، والآخر من أمّة محمّد، صلى الله عليه وآله وسلّم، يدعوان النّاس إلى قبول دعوتهما للقيام بمهامّ (واحدةٍ) خُصِّصت للاثنين؟

ماذا إذا قال البعض نفضّل اتّباع المهديّ لأنّه يعنينا، وقال آخرون نحن لا يعنينا المهديّ، بل نتّبع المسيح الذي بعثه الله لخلاصنا؟ فعلى ماذا يتّفق الناس وينصلح العالم؟

أو إذا ما اتّفق المسلمون على اتّباع الإمامين عيسى والمهديّ معاً، وكان ثمّة حُكم يَلزم الناس، فمن يقوم بإصدار الحكم عندها: المسيح عيسى؟ أم الإمام المهدي؟ أم يفعلان ذلك بالتّناوب حتى لا يختلف الأَتْباع ولا يختصمون؟

---

[1] – أي إذا قام لحربه منازعاً.

[2] – قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة 33) ولا شكّ في أنّ معنى (فاقتلوا الآخر منهما) أي أبطلوا دعوة الآخر بإهماله وكأنّه لم يكن، إذ لا يجوز في الإ سلام قَتل نفسٍ إلاّ بنفسٍ أو فساد في الأرض، كما قال تعالى في كتابه المجيد. أما عن ضرب عنق الآخر بالسيف فذلك عندما يصل الأمر إلى الحرب والمنازعة وكما هو واضح من الحديث، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾(البقرة 192)، كما هو معلوم من القرآن الكريم.

لقد أوردتُ هذه التساؤلات على سبيل التفكّر لا الحصر؛ وإلاّ فإنّ ثمّة الكثير والكثير من المغالطات والمخالفات التي تنشأ عن القبول بفكرة أن يكون للمسلمين إمامان أحدهما من أمّة موسى من بني إسرائيل، والآخر من أمّة محمّد، يبعثهما الله في وقت واحد ليوحّدا أُمم العالم جميعاً بدعوة واحدة وهي الإسلامُ دين محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

لاشكّ في أن ظهور إمامين في زمن واحد سيؤدّي إلى المزيد من الخلاف والفرقة والنّزاع الذي لا يُستبعَد أن يصل إلى حدّ الحروب المهلكة التي تُغرِق العالم في بحارِ دمٍ ربما تؤدّي إلى انقراض الجنس البشري بإمعان القتل فيه باسم الدّين والدّفاع عن الدّين، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ولذلك فلا بدّ من الانتباه إلى أنّ الأحاديث الشريفة تُشير إلى أنّ الإمام الذي يبعثه الله هو الإمام المهدي من أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وأنّه يكون خليفةَ محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم في أمّته، كما قال: (**يكون خليفتي من بعدي في أمّتي**).

* لماذا سمّي المهدي باسم المسيح عيسى؟

جاء في المستدرك الحديث التالي:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من قبلكم باعاً فباعاً، وذراعاً فذراعاً، وشبراً فشبراً، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه معهم، قال: قيل: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذا؟) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

إذاً أَنْذَرَ سيدُنا محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلّم أمَّته بأنّهم سيفسدون ويضلّون تماماً مثلما ضلّ وفسد اليهود والنّصارى، وأنّهم سيتبعونهم في ضلالهم باعاً فباعاً، وذراعاً فذراعاً، وشبراً فشبراً، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه معهم متّبعين إيّاهم في كلّ أمر. ونعلم أنّه لما فسد اليهود وضلّوا عن ربّهم الله، وكتابهم التوراة، ونبيّهم موسى عليه السلام، أرسل اللهُ إليهم المسيح الموعود الذي كانوا ينتظرونه، فكانت بعثة المسيح عيسى بن مريم الذي بَعثه اللهُ لهم ليصلحوا إيمانهم بالله ربّهم فيوحّدوه حق التوحيد.

لقد أعادهم المسيح عليه السلام إلى التّوحيد الحق فقال:

{**مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».**} (إِنْجِيلُ مَتَّى 4 : 10)، ولذلك فإننا نقرأ في الإنجيل بأنّ الله واحد ولا إله إلاّ هو، كما جاء في إنجيل مرقس:

{**اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ**} (إِنْجِيلُ مَرْقُسَ 12 : 32)

ولأنّ المسيح عليه السلام كان مصلحاً ونبيّاً تابعاً وليس مشرّعاً فقد دعا اليهودَ إلى التمسّك بكتاب نبيّهم موسى وشريعته حقّ التمسّك، فأعلن لهم قائلاً:

{لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ*فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّــــمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ}

إِنْجِيلُ مَتَّى 5 : 17-18

ولذلك فقد كان كلّما سأله اليهودُ سؤالاً كان يقول لهم: {مكتوب}[1] ثم يجيبهم؛ ليؤكّد لهم أنّه قد جاء تابعاً لموسى وشريعته دون أيّ زيادة أو نقصان.

وهكذا فبعد أن ضلّ اليهود عن ربّهم الله، ونبيهم موسى، وكتابهم التّوراة، بعث اللهُ إليهم مسيحَهم الموعود ليعيدهم بالحق إلى ربهم الله ونبيهم موسى وكتابهم التوراة، دون أن يضيف حرفاً ولا حتى نقطة واحدة على كتاب موسى وشريعته، وذلك لأنّه، كما أعلن هو عن نفسه، كان نبياً تابعاً لموسى، وليس نبيّاً مُشرّعاً.

وكان من الطّبيعي بعد أن انحرف اليهود عن دينهم الحق أن يكونوا قد

[1] – أي أن الـ شريعة مكتوبة في ما جاء به مو سى في العهد القديم والجواب فيه. ولقد تكررت كلمة مكتوب في الأناجيل 110 مرّات.

انحرفوا عن الأخلاق والسلوك والقِيَم الدينية الحقّة فَفَسَقوا وأَفسدوا وتنازعوا على الدنيا والمكاسب والمناصب، واستسلموا إلى الرّغبات والشهوات، ونزعوا إلى الانتقام والحروب، وصارت قلوبهم قاسية ونفوسهم شحيحة وما عادوا مؤمنين حقّ الإيمان ولا متّبعين لربّهم ونبيّهم حق الاتّباع، ولم يستفيدوا من التوراة التي كانوا قد حُمِّلوها ثمّ لم يحملوها، ففشلوا وذهبت ريحُهم، وضُربت عليهم الذّلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله، ولم يعد بالإمكان إصلاحهم إلاّ من خلال مُصلح سماوي يعيدهم إلى عبادة الله الواحد من خلال العودة إلى هَدي نبيّهم وتعاليم كتابهم وشريعتهم.

ولأنّ، نبوءة الرسول الكريم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أخبرتنا بأنّ المسلمين كانوا، في علم الغيب، سيضلّون كما ضلّ اليهود والنصارى، فكان لابدّ أن يرسل الله إليهم مسيحاً موعوداً **منهم**، كما أَرسل إلى اليهود، فيكون خليفةَ الرسول في أمّته، من بعده، فيُصلِح ضلالهم بدعوتهم إلى العودة إلى عبادة ربّهم حق العبادة، والتمسّك بكتابهم (القرآن) حقّ التمسّك، واتّباع رسولهم الكريم محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم حقّ الاتّباع، فيكون هذا الإمام إماماً لهم وحَكماً في الدّين، فيبيّن لهم الذي اختلفوا فيه، فيثوبون إلى سبيل الله الحق وصراطه المستقيم وإلى عدل الإسلام الذي يَملؤون بهداه الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

وإذا ما تفكّرنا بمهمّة المسيح الناصري عليه السّلام في اليهود، نجد أنّها تتوافق تماما مع مهمّة الإمام المهدي عليه السلام في المسلمين الذين تنبّأ

عنهم الرسّول صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّهم كانوا سيتّبعون اليهود والنصارى في ضلالهم شبراً بشبر، وحذو النّعل بالنّعل رغم أنّهم يحملون القرآن ولكنّهم لا يستفيدون منه؛ ولذلك فقد ضرب الله للمسلمين مثلاً مُبيناً ليفهموا ويتبيّنوا ويثوبوا إلى رشدهم فقال:

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} (الجمعة 6)

وهكذا فقد كانت مهمّة الإمام المهديّ عليه السّلام تنطبق تماماً مع مهمّة المسيح الناصريّ عيسى بن مريم عليه السّلام، فسمّاه محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم باسمه لتشابه المهمّة—وهذا بيان واحد فقط من مجموعة بيانات تتعلّق في هذه الأمر لا مجال لذكرها الآن.

هذا وإنّ من المعلوم، في بيان القرآن الكريم، أنّ صفة الإمام المهدي تنطبق على جميع أنبياء الله تعالى، حيث يُخبرنا القرآن الكريم بأنّ كلّ نبيّ من أنبيائه **إنّما هو إمام مهدي،** فيقول تعالى عنهم:

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} (الأنبياء 74)

الخاتمة

وهكذا بعد أن تمّ البرهان من كتاب الله القرآن، وأحاديث سيّدنا خاتم النّبيين محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّ المسيح الناصري عيسى بن مريم قد مات ولن يعود، فلم يعد لدى المسلمين مناص من الأخذ بالحديث الذي يبيّن بأنّ المهدي هو ذلك الإمام الذي تنطبق عليه مهمّة المسيح عيسى بن مريم الذي جاء مُصلحاً لأمّة موسى من بعده، كما كان من المقدّر أن يبعث الله الإمام المهديّ مصلحاً في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من بعده. قال تعالى:

{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً}
(المزمل 16)

فمن مقارنة بعثة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم في المسلمين ببعثة موسى عليه السلام في قومه، نفهم كيف كان لابدّ من بَعث مسيحٍ موعود في الأمّة المحمّدية—والذي يأتي بصفة الإمام المهدي الذي يأتي باسم المسيح الموعود—كما بعث الله مسيحاً موعوداً في الأمة الموسوية، وقد كان أيضاً إماماً مهدياً باعتباره كان نبيّاً يوحى إليه من الله ليهدي قومه إلى ربهم الحق، وكتابهم الحق، ورسولهم الحق. ولا يكون الحق إلاّ من ربّ العالمين، قال تعالى:

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} (الكهف 30

صدق الله العظيم

وأمّا عن علامات الإمام المهديّ الصادق عليه السلام، فقد أوردناها، بعون الله تعالى، في كتابنا (**النّبأ العظيم**) الذي صدر في طبعته الأولى عام 2000 وبرهنّا فيه أنّ الله قد بعث الإمام المهديّ عليه السلام، وأنّه الآن يملأ بدعوته الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

والحمد لله ربّ العالمين.

تمّ بحمد الله تعالى في 14 آذار 2011

مراجع الكتاب

اسم المرجع	المؤلف
1- القرآن الكريم	
2- التفسير الكبير	الإمام فخر الرازي
3- مختصر تفسير ابن كثير	محمد علي الصابوني
4- الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
5- تفسير جامع البيان	للإمام ابن جرير الطبري
6- الدر المنثور في التفسير بالمأثور	للإمام جلال الدين السيوطي
7- تفسير ابن كثير	للإمام الحافظ ابن كثير
8- تفسير الجلالين	للإمام المحلي وجلال الدين السيوطي
9- ظلال القرآن	سيد قطب
10- تفسير روح المعاني	الإمام محمود الألوسي
11- تفسير المراغي	أحمد مصطفى المراغي
12- أسباب النّزول	للإمام النّيسابوري
13- تفسير البحر المحيط	الإمام أبو حيّان الأندلسي
كتب الحديث	
14- صحيح البخاري	الإمام أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري
15- صحيح مسلم	الإمام مسلم بن الحجاج

16- سنن الترمذي — الإمام محمد بن عيسى الترمذي

17- سنن ابن ماجة — الحافظ محمد بن يزيد القزويني

18- شرح صحيح مسلم — للإمام يحيى بن شرف النووي

19- المستدرك على الصحيحين — للإمام الحاكم النيسابوري

20- مسند ابن عمر — ابن عمر بن الخطاب

21- مسند الإمام أحمد — الإمام أحمد بن حنبل

22- كنز العمّال — للمتقي الهندي

23- شرح مسند الإمام أبي حنيفة — للإمام علي القاري

24- فتح الباري في شرح البخاري — للإمام العسقلاني

25- فيض القدير شرح الجامع الصغير — للإمام المناوي

26- الجامع الصغير — للإمام جلال الدين السيوطي

27- رياض الصالحين — يحيى بن شرف النووي

28- تخريج أحاديث الإحياء — للحافظ العراقي

مراجع لغوية

29- لسان العرب — لابن منظور

30- أقرب الموارد — قاموس أقرب الموارد

31- القاموس المحيط — للإمام مجد الدين الفيروز أبادي

32- المنجد — قاموس المنجد في اللغة والأعلام

33- الكتاب المقدس

34- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس

مراجع متفرّقة

35- المواهب اللدنيّة — أبو العباس بن أحمد الخطيب القسطلاني

36- دلائل النبوّة — الحافظ أبو بكر البيهقي

37- مجمع البحار — محمد طاهر الصديق الفتّني

38- كبرى اليقينيات الكونية ط8 — الدكتور سعيد رمضان البوطي

39- زاد المعاد — الحافظ ابن قيّم

40- مدارج السالكين — ابن قيم الجوزية

41- كشف الخفاء — للإمام العجلوني

42- مجمع الزوائد — للحافظ نور الدين بن أبي بكر الهيثمي

43- المقاصد الحسنة — للإمام السّخاوي

44- السيرة النبوية — ابن هشام

45- محمد صلى الله عليه وسلم — لمحمد رضا

46- تفسير الأحلام — الإمام ابن سيرين

47- زيادة الجامع الصغير — الإمام جلال الدين السيوطي

48- تاريخ الطبري—تاريخ الأمم والملوك — لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

49- الموسوعة الفقهية — إصدار وزارة الأوقاف الكويتية

كتب للمؤلّف باللغة العربية

1) قتل المرتد، الجريمة التي حرّمها الإسلام

2) أبناء آدم من الجنّ والشياطين

3) انتبهوا! الدجال يجتاح العالم

4) مات المسيح وما قام (ملف المسيح يُفتح من جديد)

5) النّبأ العظيم

6) نزع فتيل الإرهاب الدّولي (إسلام السلام وأمان العالم)

كتب للمؤلّف باللغة الإنكليزية

*(**Beware**, **Addjjal–Antichrist Is Ravaging The World**!)

* (**انتبهوا! الدّجال يجتاح العالم**)

* (**Heaven is your make**, **life**, **and destiny**)

* (**الجنّة أنت تصنعها، وهي حياتك ومصيرك**)

* (**Beware**, **America**!)

* (**احذري يا أمريكا!**)

* (**Doctor Faust In The Court Of Heaven**) / **fiction** /

* **(الدكتور فاوست في محكمة السماء)** / **رواية** /

ترجمات للمؤلّف

* **(المسيحية، رحلة من الحقائق إلى الخيال)** / المؤلّف ميرزا طاهر أحمد / صدر في لندن

* **(شروط البيعة وواجبات الأحمدي)** / المؤلّف ميرزا مسرور أحمد / صدر في لندن

* **(صلب المسيح برواية شاهد عيان)** / المؤلّف شاهد عيان عايش المسيح الناصري عليه السلام

القول الصريح في ظهور المهدي للمسيح / ترجمة إلى الإنكليزية

الفهرس

Contents